# العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٣ و٤ س ٥٥

رمضان وشوال ١٤٤٠هـ

أيار-حزيران/مايو-يونيو ٢٠١٩ م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية


## في هذا العـــــــــدد


- نشوء بلدة الزبير النجدية أوائل القرن ٢اهـ/٨ام
- قراءة في التأويل عند نقادنا القدامى
- أبوعامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني: حياته وما تبقّى من شعره (١)
- شعر أبي اليمن بن عساكر (١)
- دور بعض الخلفاء والسلاطين في عمارة المسجد الحرام في ضوء النقوش الإسلامية
- مراجعة نقدية لتحقيق إستبرق (٢)
- أعلام العرب: أحمد الشرقاوي إقبال
- مكتبة العرب: العقيلات، مآثر الأجداد على ظهور الجياد



arab@hamadaljasser.com

# العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الثالث والرابع – السنة ٥٥

رمضان وشوال ١٤٤٠هـ
أيار – حزيران / مايو – يونيو ٢٠١٩م



**رئيس التحرير**

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب

**أعضاء هيئة التحرير**

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ. د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق



**العنوان:**

**التحرير**: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

**هاتف**: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

**الاشتراكات**: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

**هاتف**: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

## ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

**الاشتراك السنوي:**

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

# الفهرس


| | | |
|---|---|---|
| نشوء بلدة الزبير النجدية | | |
| أوائل القرن ١٢هـ/١٨م | د. عبداللطيف بن ناصر الحميدان | ١٦١ |
| قراءة في التأويل عند نقادنا القدامى | د. بن عيني عبدالله | ١٨٩ |
| أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني: | | |
| حياته وما تبقّى من شعره (١) | د. محمد عويد الساير | ٢٠٧ |
| شعر أبي اليمن بن عساكر (١) | د. عبدالرازق حويزي | ٢٢٧ |
| دور بعض الخلفاء والسلاطين في عمارة | | |
| المسجد الحرام في ضوء النقوش الإسلامية | د. فيصل عبدالله بني حمد | ٢٥٣ |
| مراجعة نقدية لتحقيق إستبرق (٢) | د. محمد الدربي | ٢٦٩ |
| أعلام العرب: أحمد الشرقاوي إقبال | أ. أحمد متفكر | ٢٩٧ |
| مكتبة العرب:العقيلات، | | |
| مآثر الأجداد على ظهور الجياد | أ.د. أحمد بن محمد الضبيب | ٣١٣ |

# نشوء بلد الزبير النجدية
# أوائل القرن ١٢هـ/ ١٨م

د. عبداللطيف بن ناصر الحميدان(*)

**تمهيد:**

تمثل البداية الأولى لنشوء بعض المدن والبلدات إشكالية تاريخية، مما يتطلب البحث والتقصي. وإن بلدة الزبير ليست استثناءً من ذلك، والذي ارتبط اسمها (الزبير) باسم الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه، الذي استشهد في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. ويرجع بعض من كتب عن تلك البلدة إلى ارتباط نشوئها ببناء العثمانيين قبة فوق ضريح الزبير بن العوام رضي الله عنه في النصف الثاني من القرن ١٠هـ/ ١٦م، فاتخذ الناس منذ ذلك الوقت السكن بجواره تبركًا بالضريح؛ أي إنّ قدسية المكان كانت السبب الأساس فيما يراه هؤلاء. وأنه مرتبط زمنيًّا بإخضاع العثمانيين البصرةَ لحكمهم. وفي تقديرنا أنّ تمسك هؤلاء بهذا الرأي مردُّه إلى عدم إحاطتهم بما يكفي بالوقائع التاريخية. فكان لزامًا والحالة هذه القيام برحلة تاريخية طويلة شاقة للتنقيب والتقصي بخصوص حالة ضريح الزبير بن العوام نفسه. ومثل ذلك استعراض تاريخ لمدينة البصرة القديمة منذ نشوئها حتى موتها وبناء بصرة جديدة. إضافة لأثر العثمانيين في ذلك كله لكي يتم تأصيل الوقائع والأحداث بما يتوافق مع متطلبات البحث وأهدافه.

**ضريح الزبير عبر التاريخ:**

إنّ أول ما يلفت الانتباه هو أن مصادرنا لم تشر إلى أي اهتمام قد أبداه أبناء الزبير بن العوام أنفسهم بضريح والدهم بالرغم من أنهم حكموا البصرة لمدة ما بين ثمان سنوات ٦٤-٧٢هـ بشكل مستقل عن حكم الأمويين في دمشق[١]. كما أنّ المؤرخين البصريين في العهد العباسي: ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، وابن خياط (ت: ٢٤٠هـ)، لم يحددا موضع قبر الزبير بن العوام بصورة دقيقة، بل اكتفيا بالقول إنه استشهد بسفوان من ناحية البصرة[٢]. أما موقع سفوان، فقد حدده الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) بقوله: تقع على مرحلة من باب المربد [٣] والمرحلة ثلاثون كيلومترًا. ويظهر أنّ ياقوتًا الحموي (ت: ٦٢٦هـ)[٤] يتفق في هذا القول مع الأزهري. وفي السياق نفسه نرى أنّ ابن حوقل (ت: ٣٦٧هـ) لم يذكر من قبور الصحابة في البصرة سوى قبر أنس بن مالك رضي الله عنه. أما من بين التابعين، فقد ذكر الحسن البصري وابن سيرين[٥]. فهل أنّ قبر الزبير بن العوام كانت معالمه قد اختفت، ولم يكن يُعرف موقعُه نظرًا إلى كون المسلمين إبَّان القرون الأربعة الأولى التي أعقبت ظهور الاسلام، لم يكونوا يعيرون أهمية لتلك القبور، مما عرَّضها للاندثار؟

للإجابة على هذا التساؤل يجدر التأمل في قول ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) عن أحداث سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) أنّ أهل البصرة ادَّعوًا في شهر محرم أنهم كشفوا قبرًا عتيقًا، فوجدوا فيه ميتًا طريًّا بثيابه وسيفه، وأنه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه بالمربد بين الدربين، وبنى عليه الأثيرُ أبو المسك عنبر بناءً، وجعل الموضع مسجدًا أيضًا. ونقل إليه القناديل والآلات والحُصُر، وأقيم فيه قُوَّامٌ وحَفَظَةٌ، ووَقَف عليه وقوفًا[٦].

ويُفهم من النص المذكور أنّ قبر الزبير بن العوام كان قد اندثرت رسومه، ولم يكن يُعلم موضعه حتى اكتشف سنة ٣٨٤ للهجرة، فدفن في المربد. وبنى عليه

أمير البصرة بناءً، وفي موضعه بنى أيضًا مسجدًا. ويفهم من عبارة ابن الجوزي أيضًا «إن أهل البصرة ادعوا»، أنه غير مطمئن لهذا الادعاء. ومثله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨) الذي نقل الخبر عن ابن الجوزي، وقال: «اللّٰه أعلم مَن ذلك الميت»[٧].

والمشهور والمعروف أن العناية بأضرحة الصحابة والأولياء والزُّهاد في العراق لم يحدث إلا في القرن الرابع الهجري وبتشجيع من السلطة في بغداد. كما يرى المستشرق الفرنسي ماسنيون أن التقرُّب من الأولياء بزيارتهم لم تتضح على نحوٍ عامٍّ إلا من خلال القرن الرابع الهجري[٨].

أيًّا ما كان الأمر، فعند زيارة أبي الحسن علي الهروي (ت:٦١١هـ/ ١٢١٤م) للأضرحة في البصرة، قال: «قبر طلحة بداره عند نهر مرة، شرقي الجامع، وقبر الزبير بن العوام بالمربد. ومثل ذلك قبر محمد بن سيرين والحسن البصري. بقيت أسماؤهم وذهبت رسومهم»[٩].

إلا أنّ البصرة شهدت حركة تعمير واسعة بُعيد ذلك، والتي قام بها الأمير باتكين الرومي الناصري، الذي تولى حكم البصرة سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين اللّٰه (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠- ١٢٢٥م)، حيث استمر بها حاكمًا لمدة ثلاثة وعشرين عامًا. فقد جدد مدارس كانت بها قد اندثرت، وأنشأ مدرسة للحنابلة، ولم يكن يُعرف لهم بالبصرة مدرسة. وعمل مدرسة يُقرأ فيها الطب. وعمَّر مارستانًا (مستشفى) كان قد خرب وتعطل. ولما احترق جامع البصرة في سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، وانهدم معظمه، أعاد عمارته، وأحضر حجارة أساطينه من جبل الأهواز، وجلب الخشب والصنوبر والعاج من شيراز والهند. وأنشأ رباطًا متصلاً بالجامع ورباطًا آخر قريبًا منه، وأسكن فيها جماعة من الصوفية .. ووقَف في جميع المدارس كتبًا. وانتشر العلم في زمانه، وكان العلماء وغيرهم يقصدونه من جميع الآفاق. وبنى على قبر طلحة بن

عبيـدالله بنيانًا حسـنًا، وجعل فيـه الفرش والقناديل، وكذلـك على قبر الزبير، وبنى سـورًا على بني مازن، وسورًا على المدينة محكمًا بالأبواب الحديدية، وجدَّد في البصرة الخانات وغير ذلك[١٠].

إلا أنه في أعقاب تلك الجهود الكبيرة التي بذلها الأمير باتكين، بفترة زمنية قصـيرة، هبت الرياح الصـفراء من الشـرق تدفع بالمغول نحو مركز الحضـارة الإسـلامية ليطفؤوا أنوارها المشعَّة بسنابك خيولهم أينما حلُّوا. وعندما زار ابن بطوطة، الرّحّالة المغربي المشهور، البصرة في العهد المغولي الجلائريين في حدود عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ذكر «أنّ مشهد الزبير بن العوام خارجها ولا قبّة عليه، وله مسـجد وزاوية فيها الطعام لأبناء السـبيل. وأنّ القبور هناك على كل قبر قبرية كتب عليها اسم صاحب القبر وتاريخ وفاته»[١١].

**موت البصرة القديمة وقيام بصرة جديدة:**

إنّ السياق التاريخي للبحث يتطلب الحديث عن موت البصرة القديمة وقيام البصـرة الجديدة؛ فالمدن مثلها مثـل الدول تمر بمراحل النشـوء والارتقاء، ثم تأخـذ بالانحدار والانحلال حتى تزول، وتختفي ولا يبقى سـوى أطلالها شـاهدًا عليها. ومدينة البصـرة القديمة ليسـت اسـتثناءً من ذلـك؛ فازدهارها وغِناها جعـلا الطامعين والمتربصـين بها يتحيَّنون الفرص للانقضـاض عليهـا، فما إن تضعف السلطة فيها حتى يتم مهاجمتها بعنف، وهذا ما فعله القرامطة حين قاموا بنهبها سـنة ٣١١هـ. كما قاسـت البصـرة من هجمات البدو المدمرة والمتكررة، فأخذ الخراب يتسلل إلى معالمها، وكأن تاريخها سجلٌّ من الأحداث الجسام[١٢].

فالإدريسـي الجغـرافي المغربـي، الذي عاشـ في القرن السـادس الهجري، كتـب تعليقًـا على مخطوطـة كتاب ابن حوقـل جاء فيه: «دخلت البصـرة سـنة ٥٣٧هـ/١١٤١م وقـد خربت ولم يبق من آثارها إلا الأقل، وطُمسـت محالُّها، ولم يبق إلا محالٌّ معلومة، ... وجامعها وسـط الخراب كأنه سـفينة وسط بحر لَجِب،

وسورها القديم قد خرب .... وإن القاضي عبدالسلام الجيلي، يرحمه الله، قد بنى في سنة ٥١٦هـ سورًا على ما بقي بينه وبين السور القديم دون النصف فرسخ»[١٣].

أما ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الذي كان قد تردد على البصرة سبع مرات للتجارة، فقد قال: «كان المربد من أشهر محالِّها، وهو الآن بائن من البصرة، بينه وبينها ثلاثة أميال، وكان ما بين ذلك كله عامرًا، وهو الآن خراب. فصار المربد كالمفردة في وسط الصحراء»[١٤].

ورغم الجهد الذي بذله فيما بعد الأمير باتكين في تعمير ما كان قد خرب واندثر، وهو ما سبق أن ذكرناه، فإن سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على أيدي المغول قد زاد في خراب البصرة بصورة أوسع، ودفع كثيرًا من السكان للنزوح. فحين زارها ابن بطوطة زمن السلطان الجلائري حسن الكبير (٧٣٦-٧٥٧هـ) ذكر وجود ثلاث محلات عامرة بأهلها؛ وهي: محلة هذيل، ومحلة بني حرام، ومحلة العجم[١٥].

إنّ قول ابن بطوطه هذا يعني دون شك أن النزوح النهائي من البصرة القديمة قد جرى بعد التاريخ المذكور. لذا فإن قول كل من محمد بن خليفة النبهاني، وظريف الأعظمي أنّ النزوح النهائي من البصرة كان في عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م[١٦] يناقض ما سبق أن مرَّ ذكره.

أما الشيخ عبدالقادر باش أعيان، فيرى أنّ النزوح النهائي من البصرة القديمة كان في مطلع القرن التاسع الهجري/ مطلع القرن الخامس عشر الميلادي[١٧] دون أن يُورد سببًا لذلك. في حين أنّ السبب الرئيس هو عدم توفر الأمن والأمان، مع شُحِّ المياه العذبة التي تفي بحاجه السكان للعيش الكريم، وصعوبة الوصول إليها والحصول عليها إلا بمشقة، بعد أن تزايد الطمْي وردم الأنهار. وقد كانت المياه المختزنة في حوض المربد موزَّعة في أنابيب من الرصاص

إلى مسافة فرسخ، ثم يرفع مستوى هذه المياه بواسطة الدواليب، وقد دمرت هذه المنشآت في سنة ٤٣٨هـ[١٨]، في حين أنّ ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) يرى أنّ السبب هو تعرض الأوقاف نفسها للخراب، والمخصصة لصيانة الدواليب التي ترفع الماء إلى أنهار المدينة. وقد وصف تلك الأوقاف بأنها لم يكن لها في الدنيا نظير[١٩].

ومما يجدر ذكره ويلفت النظر أنه قد اكتشف في الزبير - المربد - قريبًا دلائل لعلها تشير إلى الحوض الذي كان يقوم باختزان الماء في العهد العثماني؛ إذ اكتشف ثلاثة سراديب عميقة دائرية في ثلاثة مواقع مختلفة في الزبير[٢٠].

أيًّا ما كان الأمر، فلأجل الاقتراب من تاريخ النزوح النهائي من البصرة القديمة إلى الجديدة، يقتضي الأمر مراجعة الوقائع التاريخية التي تقرِّبنا من ذلك. فمن المعلوم أنّ السلطان محسن بن فلاح المشعشع انتزع البصرة من أيدي آل شبيب، أمراء المنتفق، ما بين عامي ٨٨١-٨٨٤هـ/ ١٤٧٦-١٤٨٠م، وحمل لقب سلطان البصرة[٢١]. ربما يشير ذلك إلى البصرة الجديدة، التي تمّ النزوح إليها لتوفر الأمن والقرب من شط العرب حيث يتوفر الماء العذب، إضافة إلى تزايد النشاط التجاري فيها مما يوفر العيش الرغيد لسكانها، الأمر الذي حملهم للعمل على توسيع وتعميق نهر العشار - نهر الأُبُلَّة سابقًا - والذي يبلغ طوله حوالي ٦٠٠٠متر؛ لتمكين السفن التجارية الشراعية الكبيرة ذات المجاديف من الدخول إليه من شط العرب، والوصول إلى مدينتهم الجديدة التي تقع في نهايته[٢٢].

من المحتمل أنَّ تزايد النشاط التجاري مع الهند عبر الخليج العربي كان من الأسباب الرئيسة للنزوح، بحيث حمل بعض سكان البصرة القديمة على الرحيل إلى ساحل فارس خلال القرن ٩هـ/١٥م، حيث السفن التجارية تمر عادة بذلك الساحل، للقيام بخدمتها وتزويدها بالماء والحطب والأدِلاَّء. ولعل بني حرام كانوا من أبرز هؤلاء، حيث لعبوا دورًا مؤثرًا بعد حين[٢٣].

وفي هذا السياق من المفيد التمعن في قول صاحب **تمايم الدرر في مناقب**

**السادة الغرر** إن أول بناء في البصرة الجديدة هو جامعها؛ لأن المدينة حادثه بانتقالها من البرية ولم يكن فيها جامع للخطبة، لذا حرص مهنا بن رحمة المنتفقي، من مشايخ العرب الذين حكموا البصرة قبل دخول الروم (العثمانيين) إليها، بأن تكون الخطبة والصلاة بجامعه لكونه الأقدم، إذ إنّ الخطبة للقديم من المساجد. ثم يواصل صاحب **تمايم الدرر** قوله إنّ الشيخ محمد أمين الكواز، مؤسس الطريقة الكوازية الشاذلية الصوفية، قد بنى جامعًا من القصب في الوقت نفسه وبسرعة وجيزة لمنافسة الشيخ مهنا في ذلك. إلى أن بناه من الحجر بعد فترة من الزمن[٢٤].

أما عن دور الأسرة العباسية، التي عرفت فيما بعد (بيت باش أعيان)، في إنشاء البصرة الجديدة، فإن أحد أبنائها المعاصرين، وهو أحمد بن برهان الدين باش أعيان، يقول: «إنّ الشيخ علي الساري وولده عبدالسلام تزعَّما حركة الانتقال من البصرة القديمة إلى البصرة الحديثة عند مطلع القرن ٩ هـ/١٥م، فأسسا أول أحيائها المعروفة بالمشراق، تيمُّنًا بالحي الذي كانوا يسكنونه في البصرة القديمة»[٢٥]. وهذا القول يثير بعض الإشكالات؛ فهل كان في البصرة القديمة محلَّة بهذا الاسم؟ ثم إنّ الأسرة العباسية لم تبرز في البصرة الجديدة إلا بعد تأسيس الطريقة الكوازية الصوفية، وانتقال رئاستها إليهم في العقود الأخيرة من القرن العاشر/ السادس عشر الميلادي، وهو ما ذكره مؤرخ الطريقة صاحب **التمايم** نفسه، إلا أنّ ذلك لا يمنع من القول إنهم انتقلوا إلى البصرة الجديدة في أثناء القرن ٩هـ/١٥م، وبنوا فيها محلة المشراق، وغلب على سكانها الحضر وأهل الأرياف، في حين أنّ محلة القبلة قد غلب عليها السكان النازحون من البدو من أتباع بيت المنتفق. إضافة إلى أنها قد غدت مقرًّا لحاكم البصرة؛ إذ يذكر تنريرو (Antonio Tenrero)، بعد وصوله إلى البصرة قادمًا من جزيرة هرمز، وهو يحاول اجتياز الصحراء، أنه قابَل الشيخ محمد بن مغامس حاكم البصرة الجديدة في صفر ٩٣٥هـ/ أكتوبر ١٥٢٨م ليسهل له اجتياز

الصحراء، وأنّ المقابلة قد جرت في محلة القبلة[٢٦]. لذا فقد اكتسبت تلك المحلة وجامعها شهرة أكثر من غيرها، حيث إنّ إياس باشا بعد دخوله البصرة منتصرًا صلى في جامعها (جامع العرب)، وخطب للسلطان العثماني فيه، وهي أول خطبة تلقى باسمه[٢٧]. وهي تحمل دلالات سياسية كبداية عهد ونهاية عهد. على أنه لا يمكن تجاهل أنّ البصرة الجديدة كانت مرتبطة منذ البداية بالتأثير الزهدي الصوفي ممثلاً في الطريقة الكوازية، ومن ثم بالطريقة الردينية والطريقة الرفاعية، التي ارتبطت بهما أسرة المنتفق الحاكمة ارتباطًا وثيقًا منذ البداية. على أن حكم المنتفق الذي حقق الأمن والاستقرار في المدينة الجديدة، إضافة لانتعاشها التجاري، كان جاذبًا لأعداد كبيرة من السكان للاستقرار فيها.

**سقوط إمارة المنتفق في البصرة وقيام حكم العثمانيين:**

عند وصول البرتغاليين بأساطيلهم إلى السواحل الشرقية للهند عملوا مباشرة على خنق تجارة البحر الأحمر، ومنع السفن التجارية من الدخول إليه لإلحاق الضرر بالمماليك في مصر. وحينما دخلوا إلى الخليج العربي واستقروا في جزيرة هرمز سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) أدّى ذلك إلى ازدياد في النشاط التجاري في رأس الخليج، فكانت البصرة رأس جسر يربط ما بين مياه الخليج والطريق البري إلى حلب. وقد أدى هذا الانتعاش التجاري في البصرة إلى لفت الأنظار إليها. وحين استولى العثمانيون على بغداد أواخر عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م أخذوا يتطلعون إلى السيطرة على البصرة لإجبار البرتغاليين على مشاركتهم في منافع تجارة الهند ذات المردود المالي الكبير. وما إن أتيحت لهم المبررات لذلك حتى زحفوا بقواتهم في النهر والبر بقيادة إياس باشا والي بغداد، وتمكنوا من التغلب بأسلحتهم النارية على المقاومة البصرية، والدخول إلى المدينة منتصرين في سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، حيث انسحبت قوات المنتفق إلى البادية بعد أن أحرقوا سفن أسطولهم لئلا ينتفع بها أعداؤهم الروم (العثمانيون)[٢٨].

إنّ الخسارة الكبيرة التي مُني بها المنتفق، وأدت إلى فقدان مملكتهم الغنية قد أثر كثيراً في قيادتهم؛ فبعضهم فضل المقاومة بقيادة محمد بن عثمان بن محمد بن مغامس، الذي أخذ يطالب بعودة حكم البصرة إليهم، وآخرون فضلوا المساومة والتعاون مع العثمانيين للحصول على ما يمكن الحصول عليه منهم. وكانوا بقيادة أبناء مانع بن راشد بن مغامس. أما الجانب العثماني من جهته، فقد أدرك أهمية تلك القبيلة، فسعى إلى استرضائهم وبناء رابط من المصالح الاقتصادية معهم لجعلهم يصطفون إلى جانبهم لمواجهة الأخطار التي تهددهم؛ سواء من ابن عليان الطائي في الجزائر شمال البصرة، أو من البرتغاليين في هرمز. لذا جرى إعطاؤهم بادية البصرة كسنجق (لواء) خاص بهم ابتداء من سور البصرة الجنوبي الغربي لتكون إيرادات اللواء من نصيبهم، حيث إن رسوم الخفارة (بذرقة) التي تؤخذ من القوافل عندما تحتشد في المربد لأغراض الحج أو التجارة مع حلب. إضافة لذلك جرى إعطاؤهم أربع قرى زراعية مقابل حراستهم لبساتين البصرة، على أن يدفع لهم أصحابها رسومًا سنوية عنها بحسب عدد نخيلهم. مع إعطاء شيوخ المنتفق أيضًا خلعة سنوية بضمنها مبلغ من المال[٢٩].

على أنّه بسبب غرور بعض الولاة العثمانيين وجشعهم، لم يكونوا يلتزمون دائمًا بذاك الاتفاق؛ مما يؤدي أحيانًا إلى التوتر بين الطرفين والإخلال بأمن الولاية، كما أنّ منع العثمانيين لقوافل الحج من سلوك الطرق من البصرة إلى الحجاز، قد أثار أيضًا استياء المنتفق وتحديهم لهذا القرار[٣٠].

وخلاصة الأمر أنّ العثمانيين فشلوا في القدرة على التعامل مع الغالبية العظمى من السكان، ممَّا ولَّد استياءً عامًّا في البصرة، وخيَّب الآمال في حكمهم منذ بدايته.

**الصلة بين نشأة بلد الزبير والوجود العثماني:**

بعد استيلاء العثمانيين على البصرة سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، كما أسلفنا، واضطرار المنتفق إلى الانسحاب إلى باديتها، والتمترس بها، حتى إنّ أياس باشا فاتح البصرة لم يتمكن من تجاوز أسوارها ليزور قبور الصحابة والتابعين هناك، كما فعل حينما زحف بجيشه من بغداد باتجاه البصرة، حيث زار في طريقه ضريح علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النجف[٣١]، إلى أن اضطر العثمانيون مرغمين إلى إعطائهم بادية البصرة لتكون تحت حكمهم. وهو واقع كان قائمًا؛ إذ كان المنتفق قد اتخذوا من قرية كُويبدة (جويبدة) الوفيرة الماء مقرًّا شتويًّا دائمًا لهم، فالبادية غدت مرتبطة شكليًّا بالعثمانيين.

ويدَّعي النبهاني أنّ العثمانيين لما دخل العراق في حوزتهم بنوّا مسجدًا عند ضريح الزبير، وهو أول مسجد في هذه القصبة[٣٢]. إن ما ذكره النبهاني يفتقد إلى الدقة؛ إذ إن العثمانيين أخضعوا العراق على عدة مراحل، حيث استغرق منهم ذلك أكثر من أربعة عقود. فقد كانت زيارة القبطان العثماني سيد علي ريس إلى قبور الصحابة سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م من دون أن يجد أثرًا للعثمانيين فيها[٣٣]. لقد استدرك النبهاني بعد ذلك، ليحدد تلك الفترة بقوله: «في رجب ٩٧١هـ، تشرين ٢ نوفمبر ١٥٧١م أمر السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان ببناء قبة على ضريح الزبير وضريح طلحة. وبعد بناء تلك القبة على ضريح الزبير أخذ الناس يقصدون السكن حذاءه تبركًا بالضريح، حتى أصبح الضريح وسط القصبة تحيط به البيوت والمنازل من جميع جهاته»[٣٤].

وقول النبهاني هذا يمكن التحفظ عليه لأسباب عدة:

أولاً: أنه سبق أن ذكر أنّ العثمانيين قد بنوّا مسجدًا عند ضريح الزبير، والآن يقول إنهم بنوّا قبة فقط على الضريح، فأي القولين عنده هو الصحيح؟.

ثانيًا: إنّ وصفه لقصبة الزبير ربما يتوافق مع زيارته الشخصية لها سنة

١٣٤٠هـ/١٩٢١-١٩٢٢، وليس قبلها[٣٥]؛ إذ إنه يقر أنها لم تنشأ، فكيف تحولت إلى قصبة.

ثالثًا: هل كان لقبر الزبير بن العوام تلك المكانة في النفوس ليجذبهم للسكن بجواره؟ ألا يكفي لنفي ذلك عند حديثنا السابق عن ضريحه عبر القرون.

وفي السياق نفسه، فإنّ نسبة بناء قبة على ضريح الزبير إلى السلطان سليم الثاني، الذي دام حكمه ثمان سنوات (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م) لا وجود لسند تاريخي يؤيده. إضافة إلى أنّ الوقائع التاريخية التي حدثت في عهده تجعل من الصعب تصور ذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إنّ القادة العثمانيين الذين يفتحون منطقة ما هم الذين يقومون عادة ببناء مسجد، أو يعمرون ضريحًا للأولياء، ليخلدوا ذكراهم في مركز ذلك الإقليم، وليس في فضاء بعيد عن العمران. وهذا ما فعله إياس باشا فاتح البصرة؛ إذ بنى جامعًا في داخلها، وحمل اسمه، وإنّ الوقفية التي أوقفها على جامعه تعود إلى سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م، قد ذكر فيها أنه ينفق من هذه الوقفية على قراءة القرآن في جامعه ليهدي ثوابه إلى الحسن البصري من دون أن يرد فيها ذكر لضريح الزبير[٣٦]؛ إذ إن القادة العثمانيين عمومًا صوفيو المشرب والتوجُّه.

ثانيًا: تميز عهد السلطان المذكور بكثرة الثورات المكلفة في كل من اليمن ومنطقة الجزائر شمال البصرة، إضافة لمحاصرة محمد بن عثمان شيخ بادية المنتفق في البصرة[٣٧]. حتى إنّ الرحَّالة البرتغالي ألفونسو (Mestre Alfonso) عندما وصل إلى هرمز سنة ١٥٦٥م/ ٩٧٢هـ، وهو ينوي التوجه إلى البصرة لاجتياز الصحراء إلى حلب، اضطر إلى تغيير مسار طريقه إلى تبريز عبر هضبة ايران، ومنها إلى الموصل فحلب، بعد أن علم بمحاصرة العرب للبصرة[٣٨].

ثالثًا: أصيب العثمانيون في عهد السلطان المذكور بكارثة عسكرية كبرى في البحر المتوسط بعد تدمير أسطولهم تدميرًا كاملاً من قِبَل أساطيل التحالف

الأوربي في معركة ليبانتو سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م[٣٩]. لذا يصعب تصور أن يأمر السلطان المذكور والدولة غارقة في مشكلاتها ببناء قبة على ضريح الزبير في بقعة صحراوية قصيَّة عن مركز الدولة! لا شك أنّ الجواب على ذلك أنه أمرٌ شبه مستحيل. مع ذلك فإن السلطان كان قد أمر بتعمير الكعبة المشرفة في مكة بعد تعرضها لأضرار كبيرة.

وفي السياق نفسه، فإن محمد بن خليفة النبهاني لم يجد ما يعزز فرضيته عند زيارته لضريح الزبير، فكل ما وجده هو رقعة عليها كتابة لا ترقى إلى زمن قديم، بل هي حديثة نسبيًا، تتضمن أنّ بلد الزبير مقدسة لوجود ضريح الزبير فيها، وهو ما جذب الناس للسكنى بها[٤٠]. مع العلم أنّ الشيخ علي الشرقي هو الآخر قد زار مسجد الزبير بن العوام بُعَيد زيارة الشيخ النبهاني له بمدة قصيرة، ولم يجد سوى رقشة عند ضريح الزبير كتب فيها اسم صاحب القبر[٤١]. ولعلها هي القبرية التي سبق لابن بطوطة أن ذكرها. ويجدر بنا أن نذكر هنا أن المؤرِّخ الزبيري عبدالله الغملاس، الذي لا بدّ أنه اطَّلع على ما ذكره النبهاني بخصوص ما يتعلق بتاريخ الزبير، قال: «إنّ أهل نجد أكثرهم جاء وسكن الزبير والكويت قبل بلوغ ابن عبدالوهاب...»[٤٢] درجة الشهرة.

يظهر مما سبق ضعف أقوال النبهاني وتهافتها حين يعزو سبب نشأة بلد الزبير أساسًا إلى قدسية المكان، وأن العثمانيين كان لهم الدور الرئيس في ذلك، متجاهلاً أنّ عموم أهل السنة لا يرون زيارة الأضرحة ضربًا من العبادة المفروضة، كما هو الحال عند طائفة الشيعة، باستثناء المتصوفة منهم.

**وقفة عند آراء الصانع والعلي والباحسين:**

لقد لاقت فرضية النبهاني قبولاً ودعمًا من عدد غير قليل ممن كتبوا في عصرنا هذا عن بلد الزبير بن العوام، وعلى رأسهم الأستاذان عبدالرزاق الصانع وعبدالعزيز العلي، رحمهما الله؛ إذ يريان أنّ ما ذكره النبهاني ما هو إلا نصٌّ تاريخي محفور على قطعة من المرمر (الرخام) مثبتة على حائط

الضريح[٤٣]. وهو ما لم يقله النبهاني نفسه كما سبق[٤٤]. بل إنهما اخترعا دليلاً آخر يؤيد مقولة النبهاني حين قالا إنّ إمارة الزبير وليدة قرية نهر ذراع التي كانت تتوسط ما بين البصرة القديمة وضريح الزبير[٤٥]. في حين أن القرية المذكورة كانت تقع ضمن حدود البصرة الجديدة، وبالذات في جهتها الجنوبية الغربية للخارج من بوابة المشراق حيث البساتين التي ترويها الأنهار والجداول، ومن بينها نهر ذراع. وقد ذُكرت تلك القرية في المسح (الطابو) الذي أجراه العثمانيون للموارد والسكان في ولاية البصرة سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، حيث ورد في الدفتر المذكور قرية نهر ذراع تنتج العنب والقطن والحنطة والشعير والتمور، ويجنى منها سنويًّا من الرسوم مقدار ٥٠٠٠ شاهي[٤٦] بصري، وعدد سكانها ما يقارب ١٨٦ نسمة[٤٧]. وقد أشار إلى تلك القرية الرحَّالة نيبور حين قال إنّ بداية البادية القريبة من أسوار البصرة تمتاز بخصوبتها؛ إذ تجاور النهر، وجميعها مغطاة ببساتين النخيل، وكانت هناك قرية كبيرة لا تبعد عن مدينة البصرة باستقامة الجنوب الغربي عامرة قبل ثلاثين أو أربعين سنة. أما اليوم فلم يبق شيء منها سوى بناية صغيرة على ضريح لولي مسلم[٤٨]. كما أنّ المستشرق الفرنسي ماسينيون ذكر خرائب تلك القرية، وأنّ من بين خرائبها قبرَ السيد شعبان الرفاعي[٤٩] مؤسس الطريقة الرفاعية في البصرة الجديدة المتوفى عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م[٥٠].

لقد أضاف الصانع والعلي دليلاً آخر لدعم ادعاءات النبهاني حول سبب نشوء بلدة الزبير حينما قالا إنّ جامعًا ثانيًا قد بُني سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧-١٥٩٨م[٥١]. ولكي يؤكدا ادعاءاتهما أن بلدة الزبير قد سكنها أهل نجد في التاريخ المذكور، استندا إلى وجود لوحة مثبتة في واجهته، في حين أنه من المعروف والشائع أنّ تلك اللوحة كانت قد وضعت حديثًا بعد أن أعاد الشيخ عبدالله السالم الصباح شيخ الكويت بناءه في حدود سنة ١٩٦٥م/ ١٣٨٥هـ.

كما ادعيا أنّ أحد رجالات حسين باشا أفراسياب المخلصين، التركماني الأصل، المدعو محمد بداغ (بوداق)، والذي قتله أهل البصرة عام

١٠٧٦هـ/١٦٥٧[٥٢] ما هو في الحقيقة إلا محمد بن فداغ جدّ أسرة الفداغ، وأنه قد فر هاربًا إلى الزبير حيث تقيم أسرته هناك، وهو ينتسب إلى قبيلة شمر[٥٣].

لقد وقع الصانع والعلي، رحمهما الله، في تصور خاطئ كبير؛ إذ إنّ الأسرة لم تكن قد نزحت بعد من نجد في التاريخ المذكور، بل إنّ الشائع أنهم جلوًا إلى الزبير من نجد بعد قرنٍ ونصف من ذلك التاريخ، خاصةً وأنّ لدينا دليلاً موثقًا على أنهم لا يزالون في نجد. لقد ورد ذلك في رحلة علي بن عبدالله الموسوي، حاكم الحويزة سابقًا، إلى الحج سنة ١٢٢٣هـ/ ١٧١١م، فقد قابل الأخيرُ في المدينة المنورة أحدَ أفراد الأسرة المدعو إبراهيم الفداغ، الذي عرَّف نفسه أنه من تميم، ويسكن في إحدى قرى سدير من نجد[٥٤]. ويبدو أنه قد قدِم من نجد إلى الحجاز لغرض الحج والتجارة. والدليل على قدرته المالية وكرمه أنه عطف على الموسوي عندما شكا له نفاد ما لديه من مال، فأقرضه مبلغًا من المال[٥٥] بعد أن عرف مكانته، مستحضرًا القول الشائع «أكرموا عزيز قوم ذلّ».

وأخيرًا، لا بدّ من وقفة قصيرة عند آراء الأستاذ الباحسين، متَّعه الله بالصحة والعافية، رغم غرابتها؛ إذ يقول: لا يمكن الربط بين بناء قبة على ضريح الزبير وتأسيس مدينته، فمدينة الزبير قديمة قِدَم التاريخ الإسلامي!! ثم يعود ليخفف من آرائه القاطعة قائلاً: «ربما لم تُبْنَ فيه قبةٌ على ضريح الزبير إلا في فترة متأخرة، وأقدم ما ورد إلينا هو عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٢م، وأنه قد تمّ على نفقة السلطان عبدالعزيز ووالدته». في حين أنّ السلطان المذكور حكم ما بين عامي ١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م[٥٦]. فالفارق بين التاريخين هو ثلاثمائة وثمانون سنة. وبذا يتبين أن آراء الباحسين لا تستقيم مع ما سبق.

نكتفي بهذا القدر وعدم التطرق لآراء الآخرين الذين عاصروهم؛ لأنهم يرددون ما قاله النبهاني والصانع والعلي حول تاريخ نشأة الزبير مع أنّ اهتمامهم كان منصبًّا أساسًا على الجانب الجغرافي أو النشاط الديني الذي حدث في بلدة الزبير فترة متأخرة، ولا يدخل ضمن نطاق دراستنا هذه.

**بدايات النشأة لبلد الزبير:**

تتكاثر الأحداث والوقائع التي تشير إلى الزبير ما بين العقدين الأول والثالث من القرن ١٢هـ/ ١٨م. وقبل استعراض ذلك من الأفضل التحدث، ولو بإيجاز، عن الركائز الأساسية التي تدعو الناس إلى الاستقرار في موقع ما، ومن ثم نشوء القرى والبلدات. فقد سبق لكل من ابن أبي الربيع وابن خلدون أن تطرقا لتلك الركائز والأسس، وهي حصانة الموقع والمكان الذي يوفر الأمن والأمان ووفرة ماء الشرب للإنسان والحيوان، ووجود المرعى حوله، والبعد عن وخامة الهواء ومواطن الأوبئة. ويضاف إلى ذلك توفر مواد البناء للسكن، وسهولة الاتصال بالعالم الخارجي من دون عوائق[٥٧].

إذا ما دققنا النظر مليًّا في موقع الزبير الذي هو موقع المربد سابقًا، سنجدها محطة للقوافل منذ نشوء البصرة الإسلامية، حيث كان بنو شيبان يحتكرون قيادة القوافل إلى مكة وغيرها من الجهات[٥٨]. كما سنجد أنّ المنتفق ابن عقيل وبني عامر هم الذين قد تولوا تلك المهمة في أواخر العصور العباسية وما بعدها[٥٩]، حيث انتقلت المحطة إلى الدريهمية المجاورة للموقع السابق، إذ تتوفر فيها آبار المياه العذبة التي تأتيها مياه الأمطار عبر الأودية والشِّعاب من جهاتها الجنوبية الغربية، خاصة من وادي الباطن بنجد (بطن الرمة)، ويتجمع في منخفضها. فالقوافل كانت تتحرك من تلك المحطة في كل الاتجاهات من دون عائق، وما جبل سنام سوى علامة بارزة يهتدي بها السكان والقوافل. ويضاف إلى ذلك وجود المنتفق في هذا الفضاء الصحراوي كضامن أساس لسلامة السكان والقوافل معًا[٦٠].

وهناك دليل بالغ الأهمية لم يُتنبَّه إليه، وهو المكان الأول الذي جرى اختياره من قِبَل السكان الأوائل للاستقرار فيه، ألا وهو القرب من مياه الدريهمية، وأُطلق على تلك المحلة اسم (الكوت)، والكوت يعني القلعة أو الحصن القريب من الماء، مما يعني أن الماء كان هو الجاذبَ للسكن في ذلك المكان، وليس الضريح، بالرغم من أن بعض الأضرحة توفر الأمن للساكنين قربها.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إنّ موقع الزبير (المربد سابقًا) هو الذي أهّلها أساسًا لتكون جاذبة للقوافل التجارية وبالتالي للسكان، خاصة مع قرب المكان من البصرة الجديدة، التي هي نهاية للطرق النهرية وطريق البحر، وليس قدسية المكان كما ذهب إليه بعض المعاصرين الذين سبق ذكرهم.

إنّ بطرس البستاني هو أول من قال إنّ نشأة الزبير يعود إلى كون موقعها محطةً للقوافل التجارية في سيرها إلى الشام، فابتنت سارية من العرب بيوتًا قليلة العدد. إلا أنّ البستاني ابتعد كثيرًا حين قال: «وكان ذلك قبل ٣٠٠ عام»؛ أي إنّ هذا التاريخ قبيل صدور موسوعته بقليل (١٨٨٧م)، ليكون الاستقرار في نظره أوائل القرن ١١هـ/ أواخر القرن ١٦م[٦١]. وقد أيّد صاحبُ **منجم العمران**[٦٢] كلام البستاني، ومثل ذلك الصانع والعلي، إلا أنّ الأخيريْن جعلا المسجد والضريح هما الأساس، أي قدسية المكان، وليس السبب هو الموقع التجاري.

أيًّا ما كان الأمر، فمن الأجدى والأفضل الرجوع إلى دفتر مالية مدورة في إسطنبول لسنة ١٦٨٩-١٦٩١م، الذي تضمَّن وقفية لحضرة الزبير بن العوام ووقفية لطلحة بن عبيد الله[٦٣]، أوقفها أحد أثرياء البصرة. كما يمكن النظر في قول علي خان بن عبدالله خان الموسوي حين لجوئه إلى الشيخ مانع بن شبيب، شيخ قبيلة المنتفق في شتاء عام (١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م): «وصلتُ ظهرًا إلى جويبدة (كويبدة)، وهي ملك آل شبيب وإن كانت خرابًا، إلا أنّ كُوتها (قلعتها) باقية إلى الآن، وقلبانها كالينابيع، يُغرف منها بالقدح لقرب مائها. والتقيت بالشيخ مانع بالبرجسية، الذي رحَّب بي وأكرم وفادتي، وبعد ثلاثة أيام ارتحلنا محاذين الزبير من القبلة والميراد الحُسَي (الحصي)»[٦٤].

إنّ إشارة الموسوي هذه لتدل على وجود ضريح ومسجد الزبير بن العوام، ومن المحتمل وجود عدد قليل من السكان أيضًا. خاصة إذا ما استحضرنا أقوال بعض مؤرخي نجد عن سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٦٤-١٦٦٥م)، وحدوث قحط عظيم في نجد أسموه: (جرمان)، أدى إلى جلاء كثير من أهل نجد إلى الزبير والبصرة

والأحساء، وأنّ الكثير منهم قد مات جوعًا. واستمر القحط والغلاء في السنة التي تلتها (١٠٨٦هـ)، والذي أسموه في نجد (جردان)، وجلا أهلها إلى الزبير والبصرة والأحساء[٦٥].

ويمكننا القول إنه تزامن هذا النزوح من نجد إلى الزبير مع تزايد نفوذ قبيلة المنتفق وقوتها في فضائه بزعامة الشيخ مانع بن شبيب، واتخاذها مركزًا لنشاطه ضد الصفويين في البصرة والعثمانيين من بعدهم، الذين أعادوا سلطتهم ثانية على البصرة سنة (١١١٢هـ/ ١٧٠١م)، حتى إنّ علي باشا، الوالي الجديد للبصرة، توجه إلى مخيم الشيخ مانع قرب الزبير، وألبسه خلعة شرف عام (١١١٣هـ/١٧٠٢م)، كما اضطر الوالي عندما توفي الشيخ مانع بعد ذلك بقليل إلى الاعتراف بابنه حمود ليكون شيخ المشايخ[٦٦].

ويمكن القول إنّ حضور المنتفق قرب موقع الزبير وفّر الأمن للنازحين من نجد، ونتج عنه التعاضد والمساندة، بل والتمازج، وحتى الترابط الأسري بينهما، كما سوف نرى هذا لاحقًا. ولقد حدث في نجد سنة (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م) قحط عظيم سُمي (سمدان)؛ أي بعد ثلاثين عامًا من القحط السابق، حيث جلا أهل نجد إلى الزبير والبصرة والأحساء[٦٧].

ولا بد لنا من ذكر قول آدموف، القنصل الروسي في البصرة، الذي كان موجودًا فيها أوائل القرن العشرين: «إنّ بلد الزبير نشأت بداية القرن ١٨م، أوائل القرن ١٢هـ» [٦٨]. ويحدد الشيخ عبدالقادر باش أعيان نشأة الزبير بين عامي (١١١٨-١١٣٠هـ/١٧٠٦-١٧١٨م)، وهي فترة طويلة نسبيًّا دون شك، وافتقاره إلى دليل دقيق على ما قاله[٦٩].

وأيًّا ما كان الأمر، فمن الواضح أنّ الجلاء من نجد أثناء العقود السابقة لم يكن بالعدد الكبير، خاصةً وأنهم كانوا يتجهون إلى بقاع عدة، في حين أن الجلاء من نجد سنة ١١٢٨-١١٣١هـ/١٧١٥-١٧١٨م على أثر القحط العظيم الذي حدث فيها. كان قد توجه أهل نجد إلى الزبير والبصرة والأحساء[٧٠].

وأخـرى سـنة (١١٣٥هـ /١٧٢٢م) الذي عمّ منطقة سـدير بالـذات، وهو قحط مميت وغلاء شـديد، استمر للسـنة التي تلتها وسُـمِّي بـ (سجي)، حيث تحولت الزبير على أثره إلى قرية كبيرة ملفتة للنظر. ومما يلفت الانتباه أيضًـا أن بعض الذيـن جلَـوًا خلال ذلك قد ذهبوا إلى الكويت[٧١]، التـي ورد ذكرها لأول مره في المصـادر النجدية. وقد وصـف بعض أدباء سـدير الوضع المأسـاوي الذي خلَّفه قحط (سجي) أثر ذلك بقوله:

| | |
|---|---|
| غدا الناس أثلاثًا فثلث شريدة | يلاوي صليب البين عار وجائع |
| وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت | وثلث إلى الأرياف جال وناجع[٧٢] |

**بروز بلد الزبير:**

أخـذت بلـد الزبير بالبروز، وأمسـت تلفت إليها الأنظار أثنـاء فترة البحث هذا، فقد زارها مصـطفى بن كمال الدين الصِّـدِّيقي، الذي كان قد وصـل إلى البصرة سـنة (١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م) قادمًا من الشام عبر بغداد، حيث يقول: «في صـبيحة يوم الأحد الحادي عشـر من شـوال المبارك (١١٣٨هـ) قصـدنا زيارة الإمامين المعظَّمين جَناب سـيدي طلحة والزبير بن العوام بصحبة بعض الرفاق، ولم نـزل نتجـارى في السـير إلى أن وصـلنا إلى حمى طلحة الخـير، فزرنا ذلك المقام المهاب ... ودعونا الله تعالى لنا وللأحباب. وركبنا متون الخيل لزيارة زوج عمتي أسـماء ذات النطاقين الزبير. وبعد زيارة حضـرته والجلوس لدى سَدَنَته، دُعينا لدار قريبة من جامعه المنير، وأقمنا فيها إلى أن اندفع وهج الحرّ الشديد، واضطجعنا فوق سرير وكأنه الحرير ... ثم بعد أن صلينا العصر وزال عنا قيض الهجير توجهنا إلى زيارة سـيدي الحسـن البصـري وسـيدي محمد بن سيرين الأوحدَين»[٧٣].

وهنا نجد في أقوال الصِّـدِّيقي دليلاً واضحًا على وجود ضريح مشيَّد للزبير ابـن العوام، وبجواره جامعه، الذي يقـوم في الخدمة فيه عدد من الخُدام، وعلى رأسـهم موظف كبير هو السـادن. كما يوجد بجواره عدد من المسـاكن المريحة،

ولربما كانت الغالبية العظمى من أصحاب تلك المساكن قد نزحوا من نجد في وقت ليس ببعيد.

إنّ زيارة الصِّدِّيقي تختلف عن الزيارة أو الزيارات التي كان قد قام بها كل من الشيخ عبدالسلام بن عبدالقادر، شيخ الطريقة الكوازية وشيوخ الطرق الصوفية في البصرة، كشعبان الرفاعي ومريديهم قبل ذلك بقرن تقريبًا أو يزيد قليلاً، أي في حدود (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)؛ إذ كانوا يقومون بتعمير بعض تلك الأضرحة من دون أن يرد ذكر لمسجد مشيَّد هناك، أو وجود ساكنين في ذلك الموقع[٧٤]. الأمر الذي ينفي ادعاءات النبهاني والصانع والعلي ومَن حذا حذوهم.

يقتضي هنا استحضار قول نيبور (Nebuhr) الرحّالة الألماني الذي كان في البصرة عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، وجمع معلوماته من أفواه الرجال، إضافة لمشاهداته الشخصية، حيث ذكر أنّ الزبير لم تُبنَ بيوتُها الصغيرة حول قبر الزبير إلا منذ ثلاثين عامًا أو أربعين، أي ما بين (١١٣٧- ١١٤٨هـ/ ١٧٢٥- ١٧٣٥هـ)، ومنذ ذلك الوقت عُرفت البصرة القديمة بالزبير[٧٥].

**لجوء الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى بلدة الزبير:**

إنّ لجوء الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الزبير هاربًا من سلطة العثمانيين في البصرة يعد دليلاً قويًّا على أنّ الزبير كانت خارج سلطتهم؛ إذ شعر فيها بالأمن والأمان، وأنه قد أصبح محاطًا بأبناء جلدته النجادى، الذين ساعدوه للوصول إلى الأحساء فيما بعد. وفي السياق نفسه يقتضي معرفة الفترة الزمنية التي وصل فيها الشيخ إلى البصرة، والمدة التي قضاها فيها، خاصة وأنه قد تأثر تأثيرًا كبيرًا في آرائه تجاه ما شاهده ورآه فيها من ممارسات شِركية. فابن غنام[٧٦] والشيخ عبدالرحمن حفيده[٧٧] اللذان كان لهما ارتباط وثيق به، ذكرا أنّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب سافر إلى البصرة أكثر من مرة. في حين أنّ عثمان بن بشر لم يذكر تاريخًا لذلك، ولا المدة التي قضاها فيها ملازمًا لشيخه

في البصـرة محمد المجموعي[٧٨]. أما الباحث المعاصـر راشد العساكر، فيرى أنّ زيارة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب للبصـرة كانت مرتين: إحداهما برفقة عمه إبراهيم بن سـليمان سـنة (١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م)[٧٩]، في حين أن أحمد بن برهان الدين باش أعيان المعاصـر قد تأثر بما ورد في كتاب **لمع الشـهاب في سيرة محمد ابن عبدالوهاب**[٨٠]، فيقول إنّ الشيخ وفد إلى البصرة من نجد سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢- ١٧٢٣م)، وأقـام فيها أربع سـنوات، كان يقوم خلالهـا بالوعظ وإعطاء الدروس في جوامع البصرة، وقد صاحَبَه وجالَسَه أنس بن درويش[٨١].

إنّ هـذا الرأي فيه بعض الغرابة، فكيف يقوم بالوعظ والتدريس في الجوامع وقد جاء إلى البصـرة لغرض التعلُّم في مدرسـة الشيخ محمد المجموعي؟ وكيف يصـاحب الشـيخ محمـدُ بـن عبدالوهاب أنسَ بن درويش وهو شـيخ الطريقة الكوازية الصوفية التي يُدين الشيخ محمدُ بن عبدالوهاب تصرفاتها، حيث نجد في رسـائله نقدًا لاذعًا لتلك الممارسـات التي يراها، من وجهة نظره، بِدعًا بعيدة عن صفاء الإسلام الحنيف[٨٢].

وقبل أن نغادر هذه النقطة، لا بدّ من التطرق إلى المناخ السياسـي الذي كان سائدًا في البصرة والعراق وإيران على وجه العموم في هذه الفترة القريبة زمنيًا من وجود الشيخ بالبصرة، فقد سقطت الدولة الصفوية في إيران على يد الأفغان أتباع المذهب السـني سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م)، فعمَّت الفوضى في معظم أرجاء المنطقة على اتسـاعها[٨٣]، مما يجعل من غير الممكن قبول ادعاءات صـاحب **لمع الشهاب** من أنّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد زار مناطق عديدة مجاورة.

كما لا بد أن نشير إلى أمرين: أولهما القحط المميت الذي ضرب قرى سدير الذي سـمي (سـجي)، وهو ما مرّ بنا سـابقًا[٨٤]. كذلك الطاعون الذي ضـرب البصـرة سـنة (١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م)، والذي أزهق ما يناهـز ثمانية آلاف نفس، وهرب بعض السكان إلى الزبير أو أبعد من ذلك[٨٥].

ويجدر بنا أخيرًا ذكر قصيدة حميدان الشويعر، الذي قد يكون غادر الزبير

إلى نجد خلال تلك الفترة الحرجة أو بعدها بقليل، حيث يقول:

ظهرت من الحزم اللي به سيد السادات من العشره

حطّيت سنام باليمنى وطيت الرقعي مع ظهره[٨٦]

أيًّا ما كان الأمر، فمن الواضح أنّ كيان الزبير الصغير في بداية القرن ١٢هـ/١٨م أخذ في الظهور والانتعاش بعد أن أضحى تحت حماية المنتفق، وخارجًا عن سلطة العثمانيين ونفوذهم منذ العقود الأولى من ذلك القرن، خاصة مع ازدياد حركة القوافل التجارية البرية إلى حلب، فتحسنت أحوال السكان النازحين من نجد. ويؤيد ذلك الدليلان اللذان نسوقهما؛ فوكيل الشركة الهولندية في البصرة ذكر في يومياته أنّ وكيل الباشا (الكِهية) ذهب إلى الزبير (Isebeer) سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م لمقابلة الشيخ محمد بن مانع، شيخ المنتفق، الذي يقيم هناك، وقدَّم له خلعة ولكبار أصحابه، وطلب منه المساعدة في ضبط الأمن في الطريق ما بين بغداد والبصرة، ومنع تجاوزات العرب فيما بين المدينتين[٨٧]. في حين أنّ الرهبان الكرمليين في البصرة ذكروا في يومياتهم أنّ محمد باشا والي البصرة أرسل قوة عسكرية ضد الشيخ ابن مانع في الزبير سنة ١٧٣٠م، الموافق رمضان ١١٤٣هـ، فاستطاع أتباع الشيخ إبادة أغلبهم وجرح من تبقَّى منهم، والاستيلاء على ما كانوا يحملونه من عتاد وسلاح. وكان عددهم ثمانين خيَّالاً وثمانية من المشاة يسوقون البغال المحملة بالمؤن والعتاد[٨٨]

**الخلاصة:**

تعرض البحث لادعاءات بعض المعاصرين الذين يرون أنّ نشأة بلد الزبير قد تم على يد سلطان العثمانيين سليم الثاني، الذي أمر ببناء قبة فوق ضريح الزبير بن العوام ومسجد بجواره، فاندفع الناس للسكن بجواره تبركًا بالضريح؛ أي إنّ قدسية المكان كانت السبب في نشأة الزبير. الأمر الذي دفعنا للتحري عن ذلك طويلاً عبر رحلة تاريخية، فثبت لنا أنّ المعطيات والوقائع تدحض ذلك؛ إذ إن موقع الزبير التاريخي الذي كان محطةً للقوافل منذ القدم، كان الجاذب

الرئيس للسـكن هناك، خاصـةً مع توفر الماء، مما عزز الاسـتقرار هناك بداية القرن ١٢هـ/ ١٨م، وهو التاريخ الذي يمكن الاطمئنان إليه لنشـوء قرية صـغيرة تدعى (الكُوت) قريبة من ماء الدريهمية من جهة، ومن ضريح الزبير بن العوام الـذي لم يبـدِ النازحـون اهتمامًا به لا سـابقًا ولا لاحقًا، خاصـة لانتعاش حركة القوافل التجارية، والحماية التي توفر لها أثناء هذه الفترة الزمنية.

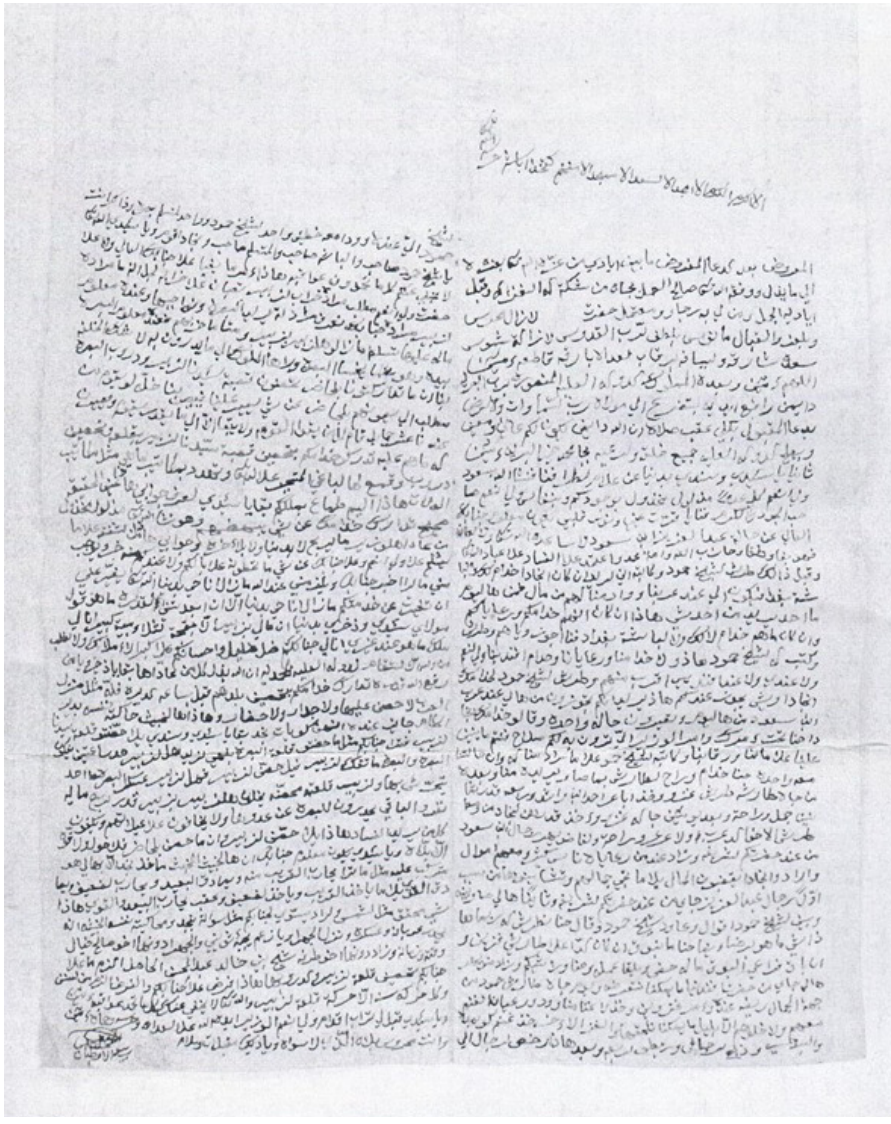

## الهوامش:

(*) جامعة الملك سعود ـ الرياض.

(١) زمباور، **معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، ت: زكي محمد حسن وزميله، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٦٢.

(٢) محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ج٣، ص١١٠-١١٣؛ خليفة بن خياط، **طبقات ابن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م.

(٣) محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق أحمد البردوني وزميله، الدار المصرية للنشر، القاهرة، ب. ت، ج١٣، ص٩٤.

(٤) **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ج٥، ص٩٧-٩٨.

(٥) **صورة الأرض**، تحقيق كرامس، أعادت طبعته دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢١٢-٢١٤.

(٦) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا وأخيه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج١٤، ص٣٨٣.

(٧) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، حوادث ٣٨١- ٤٠٠.

(٨) **خطط البصرة وبغداد**، ترجمة وإضافة إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص١١٦.

(٩) رحلة أبي الحسن الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق نواف بن عبدالعزيز الجمعة، الكويت، ٢٠١٢م، ص٢٣٧-٢٣٩. ومن الجدير بالذكر أن ماسنيون ذكر أن مقام طلحة قد اختفى نتيجة السيول، فقامت ابنته ببناء مقام آخر له، المرجع السابق، ص٥٣-٥٤.

(١٠) كتاب **الحوادث الجامعة** لمؤلف من القرن الثامن، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبدالسلام، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٣٧-١٣٩، ٢٠٩-٢١١.

(١١) **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مجلد ٢، ص١٤، مجلد ٤، ص٣١٢.

(١٢) عبداللطيف بن ناصر الحميدان، صلة السلطة بالقبائل في العصور العباسية المتأخرة، **مجلة العرب**، الرياض، ج٩ و١٠ و١١ و١٢، سنة ٥٢، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص٦١٤-٦٣٤، ٨٤٥-٨٥٨: كذلك الصلة بين القبيلة والسلطة المغولية في العراق، **مجلة الجمعية التاريخية السعودية**، ١٤٣٦م/٢٠١٥م العدد ٣١، ص١٠٥-١٣٦.

(١٣) **صورة الأرض**، مصدر سابق.

(١٤) **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٢٥.

(١٥) **تحفة النظار**، مصدر سابق.

(١٦) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، المطبعة المحمودية، ط٢، القاهرة، ١٣٤٢هـ، البصرة رقم ٩، ص٩١-٩٢، **مختصر تاريخ البصرة**، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٧م، ١١٩.

(١٧) **البصرة في أدوارها التاريخية**، دار البصري، بغداد، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص٥٤-٥٥.

(١٨) ماسينيون، **خطط البصرة**، مرجع سابق، ص٣٣ الذي ينقل الخبر عن عدد من المصادر من بينها **المنتظم**.

(١٩) **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٦٣-٣٧٣، ومن الجدير بالذكر أنه حدث انهيار في الأرض في منطقة المراغة في الزبير، شوهد من خلال حوض كبير وعميق، وله نفق طويل لعله يؤيد ما ذكرته المصادر الآنفة. كما يذكر ابن الغملاس أنه رأى شمال الجامع معقودةً على ساق، وهو سرداب عظيم عميق عابر إلى السدة، ولا نعلم حده، وهو نظير السرداب الذي وجد في المراغة جنوب الحزم، لعله يصل إلى الدريهمية، **تاريخ الزبير والبصرة**، ص١٤٨، كذلك انظر كتاب الصانع والعلي، **إمارة الزبير**، ج٤، ص٩٤.

(٢٠) قال ابن الغملاس: «رأيت شمال الجامع- البصرة القديم- على إنسان يقطع صخرًا معقودًا على ساق، وهو سرداب عظيم عميق عابر إلى السدة ولا نعلم حده». والسدة التي أشار إليها هي النهاية الشرقية لخرائب البصرة القديمة التي يدعونها (الحصوة) حتى الأطراف الجنوبية الغربية من البصرة الجديدة. ثم يصف ابن الغملاس أنه نظير السرداب الذي وجد في المراغة جنوب الحزم عابرًا جنوبًا لعله إلى الدريهمية، **تاريخ الزبير**، ص١٤٨. أما الأستاذان الصانع والعلي، فقد ذكرا أن القبو في الحصوة قد رآه عبدالوهاب سعود البابطين الذي يعمل جمالاً بين الزبير والبصرة. كما يذكران أيضًا أن القبو معقود بالطابوق اكتُشف في سوق الحزم أمام دكاكين القضيب، فإذا هو كالسرداب، قُطره دائري، بقامة الإنسان المتوسط. ثم ظهر آخر قرب ضريح الزبير بن العوام في المراغة. انظر: **إمارة الزبير بين هجريتين**، ج٤، ص٩٤.

(٢١) عبداللطيف ناصر الحميدان، صلة السلطة بالقبيلة التركمانية في العراق، جنوبه نموذجًا، سوف ينشر قريبًا في **مجلة الدارة**.

(٢٢) Joao de Barros ، DE Asia، dec1v liv111Capx111B331-49.

(٢٣) جلال هارون الأنصاري، **تاريخ عرب بنو حرام**، دار الموسوعات، بيروت، ٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ.

(٢٤) يحيى بن إبراهيم البصري (أبو زكريا) صورة من المخطوط في مكتبتنا الخاصة، ص٧٣؛ عبداللطيف بن ناصر الحميدان، **إمارة المنتفق في البصرة والأحساء والقطيف**، كتاب تحت النشر ضمن إصدارات دارة الملك عبدالعزيز.

(٢٥) **المكتبة العباسية في البصرة، تاريخها ومخطوطاتها**، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١١-١١٢.

(٢٦) Itinerarios de India a Portugal par Terre. [Combia. 1923] pp.110-112.

(٢٧) عبداللطيف ناصر الحميدان، **إمارة المنتفق**، مرجع سابق تحت النشر.

(٢٨) راجع كتابنا **إمارة المنتفق في البصرة**، (تحت الطبع).

(٢٩) محمد راشد أفندي، **تاريخ راشد**، مطبعة السلطنة، إستانبول، ١٢٨٢هـ، مجلد ٣، ص١٩٥.

(٣٠) أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، دفتر المهمة رقم ٦، ص ٣٥٥، حكم ٧٦١: الجزيري، عبدالقادر، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق حمد الجاسر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص١١٢٣، ١٢٨٩.

(٣١) عبداللطيف الحميدان، المرجع السابق.

(٣٢) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق، ص١١٨-١٢٢-٢٣.

(٣٣) **رحلات بين العراق وبلاد الشام**.

(٣٤) **التحفة النبهانية**، ص١٢٣.

(٣٥) المرجع نفسه، ص١٢٣.

(٣٦) K. K.Harameyn Mukraamin. Defteri 1377/2.

(٣٧) منجم باشي أحمد، **جامع الدول**، تحقيق غسان علي الرمال، مكة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج٢، ص٨١٦-٨٤٠. محمد بن أحمد الرومي، **نخبة التواريخ**، استانبول: ١٢٧٦، ص١٠٨، ١١٠-١١٤؛ EI2.art. Sellem11. E.ebid; C.E.Bosworthand Other. VOL 1x. Leiden. 1997.

(٣٨) D. Carruithers [Ed] The Desert Route to India. London. 1929. PxVII.

(٣٩) خليل اينالجك، **الدولة العثمانية منذ النشوء إلى الانحدار**، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٨.

(٤٠) **التحفة النبهانية**، مرجع سابق، البصرة رقم ٩، ص ١١٥.

(٤١) بلدة الزبير والبصرة القديمة، **مجلة لغة العرب**، بغداد ١٩٢٨، العدد ١٤.

(٤٢) **تاريخ الزبير والبصرة**، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف (دار دجلة، عمان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٦٥.

(٤٣) **إمارة الزبير بين هجرتين**، الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج ٤، ص ١٥.

(٤٤) المرجع نفسه، ج١، ص ٤٥.

(٤٥) المرجع نفسه، ج١، ص ٣٣-٤٠.

(٤٦) عملة نقدية من الفضــة الخالصة ضربت في البصرة من قبل العثمانيين محاكاة للعملة الصفوية التي تحمل الاسم نفسه، واستمرت في التداول بالبصرة خاصة.

(٤٧) أرشـيف رئاسة الوزراء بإســتنبول، دفتر التحرير (الطابو) رقم ٢٨٧، ص ١٦٣- ٣٤٠. وهو دفتر منفصل ومجمل.

(٤٨) **رحلة في شبه الجزيرة العربية**، ترجمة عبير المنذر، الانتشار العربي، بيروت ٢٠٠٧م، ج١، ص ١٨٩.

(٤٩) ماسنيون، **خطط البصرة**، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٥٠) شـهاب الدين بن أحمد البصــري، **أنيس المحزون والسـر المكنون**، نسخة مصورة من مخطوطات مكتبة برلين في مكتبتنا الخاصة.

(٥١) **إمارة الزبير بين هجرتين**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٥-٣٦.

(٥٢) فتح الله بن علوان الكعبي، **زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر**، صححه خلف شوقي أمين ، مطبعة الفرات، بغداد ، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ص٣٦.

(٥٣) **إمارة الزبير بين هجرتين**، مرجع سابق، ج١، ص٨٧-٨٩.

(٥٤) راجـع مخطوطة **تاريخ صـفوية**، مكتبة ســبهلا، ظهران رقم ١٥١٣ ورقـة، ص ١٥٤-١٥٦، كذلك راجع بحثنا حول سير بن الموسوي: مخطوطة علي بن عبدالله الموسوي، محتواها وأهميتها. **المجلة التاريخية المغربية**، تونس ١٩٨٣، عدد ٢٩-٣٠، ص ١٦٧-١٩٩.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) **لمحة من تاريخ مدينة الزبير**، مرجع سابق، ص١٩٤- ١٩٧.

(٥٧) ابن أبي الربيع، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، القاهرة، ١٣٢٩هـ، ص١٩٣. ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبدالسلام الشدادي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ج٢، ص١٨٢-١٨٥.

(٥٨) ماسينيون، **خطط البصرة**، مرجع سابق، ص١٧، ٤٠.

(٥٩) راجع دراســتنا حول صلة السلطة بالقبائل في العصــر العباسي المتأخرة، مرجع سابق، مثل ذلك **الصلة بين القبيلة والسلطة في الحقبة المغولية**، مرجع سابق.

(٦٠) حول مميزات موقع الزبير، مؤيد بن جواد بهجت، **الجغرافية التاريخية لمدينة البصرة**، المنامة، ١٩٨٤م، صـ١٤١- ١٤٣. كذلـك أحمد بـن جارالله الجارلله، **مدينـة الزبير وإقليمهـا**، الدمام، ١٤٢٤هـ، ص٣٥-٦٥، ٨٧- ٩٦.

(٦١) **دائرة المعارف** البستاني، بيروت، ١٨٨٧م، ج٥، مادة (الزبير).

(٦٢) محمد أمين الخانجي، القاهرة (د: ت)، ج١٠، ص ٢٢٧.

(٦٣) أرشيف رئاسة الوزراء، إستانبول، مالية مدور دفتري، رقم ٥٤٦١ لسنة ١٦٨٩-١٦٩١.

(٦٤) **تاريخ صفدية أو الرحلة الحجازية**، مصدر سابق، ورقة ٩٤.

(٦٥) عبدالله بن محمد البسام، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، دراسة أيمن الحنيحن وزميله، إصدار دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٤هـ، ص ٧٧-٧٨؛ محمد بن حمد العوسجي، **تاريخ ابن عباد**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٦.

(٦٦) منشات محمد رامي، المكتبة الوطنية النمساوي رقم 1-86 197 H.O d.

(٦٧) البسام، مصدر سابق، ص٩١.

(٦٨) **ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها**.

(٦٩) **البصرة في أدوارها التاريخية**، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٧٠) البسام، مصدر سابق، ص ٩٧.

(٧١) المصدر نفسه، ص١٠٠؛ ابن بشر، **عنوان المجد**؛ السوابق، تحقيق عبدالله بن محمد المنيف، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، **البصرة في أدوارها التاريخية**، مرجع سابق، ص٣٩.

(٧٢) البسام، مصدر سابق، ص ١٠١، **سوابق عنوان المجد**، ص١٥١.

(٧٣) **كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان**، مخطوطة كمبرج، رقم ٩٣٠/٩٣٠ورقة ٩٢ (Cambridge University) Brown`s Handlist (نسخة مصورة في مكتبتنا الخاصة).

(٧٤) يحيى بن إبراهيم البصري، **تمايم الدرر في مناقب السادة الغرر**، ص ٢٧١ (لدينا نسخة مصورة في مكتبتنا الخاصة): شهاب الدين بن أحمد البصري، **أنيس المحزون والسر المكنون**، مخطوطة، ورقة ٨٠، في مكتبتنا الخاصة نسخة مصورة من مكتبة برلين.

(٧٥) **رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها**، مصدر سابق، ٢، ص١٩١.

(٧٦) حسين بن أبي بكر بن غنام، **تاريخ ابن غنام**، اعتنى به سليمان وصالح الخراشي، دار الثلوثية، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص ٢١٠.

(٧٧) **المقامات**، تحقيق عبدالعزيز بن محمد المطوع، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٦٥-٦٦.

(٧٨) **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، الرياض١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دارة الملك عبدالعزيز، ج١، ص ٣٦٥-٣٧.

(٧٩) ٢٨٠ محادثة مع طالبنا النجيب راشد بن محمد بن عساكر.

(٨٠) مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٥٢-٥٥.

(٨١) **المكتبة العباسية في البصرة، تاريخها ومخطوطاتها**، الدار العربية للموسوعات، بيروت،٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ، ص٥١-١٦.

(٨٢) راجع **تاريخ ابن غنام**، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٨٣) راجع تفصيل ذلك في: A.N.al- Humaidan، theSocial:Political History of Bagdad and Basra، Ph.D unpublished، Mancy Univ، 1975، pp.85-113.

(٨٤) انظر إبراهيم بن صالح بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص٧٤-٧٥.

(٨٥) A Chronical of Carmilet in Persai، London 1939، p.1192.

(٨٦) الفراج، **ديوان النبط**، الكويت، ج١، ص١٤، ويرى الأستاذ عبدالله يوسف الشبل أن حميدان الشويعر كان لايزال على قيد الحياة عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م، خلافًا لما كان يعتقد أنه كان قد توفي قبل ذلك. راجع **تاريخ ابن عباد**، تحقيق عبدالله يوسف الشبل، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٣١.

(٨٧) DUTCH Archive،VOC 9099 p.2.

(٨٨) A Chronical of Carmilet in Persai، p.1192.

# قراءة في التأويل عند نقادنا القدماء

بن عيني عبدالله(*)

عـرف الكلام الأدبيّ البديع منـذُ القديم تبجيلاً ما بعده تبجيل، وكان دائمًا محطّ اهتمام الدراسـين؛ ذلك لأنّه لا يعبِّر عـن المعنى بالطرق المعتادة، ويتناولُه مـن الزّاوية الضـيقة للتعبير، بـل يغلّفه بأشـكال تعبيرية رفيعـة، ويقدّمه تحفةً بديعـة، تجعله جليـلاً مطلوبًا، يثير النُّفوس، ويخلُب العقـول، ويدفع إلى الافتتان بالمعاني وطرق إيرادها، ويجعل قارئ النص يبحثُ دائمًا عمّا خفي وغُلِّف، ساعيًا إلـى تحديد دلالات هذا الكلام، محقِّقًا التّأويل المناسـب لمـا ورد عليه من أقوال، وعلى هذا يمكنُ القول: إنّ «التّأويل يُولَد مع مولد النّص، وهو فعاليّة أدبيّة وفكريّة ينهضـ بها المتلقّـي، القارئ للنّص والباحـث عن مدلولاته الجماليـة وإيحاءاته الفكريّة؛ لذا يمكن القول إنّ التّأويل هو القراءة الدّقيقة للنّص»(١).

وقـد اهتمّ نقادنا القدماء بالأدب والأدباء، وأولـوْا هذا الكلام الأدبيّ عناية خاصـة لمدّة طويلة من الزّمـن، ووقفوا وقفةً جليلة عند قضـيّة التأويل، مُنظِّرين ومطبِّقـين؛ إذْ حـدّدوا لها قواعـد، وأوردوا فيها رُؤاهم، وحاولوا على ضـوء هذه الـرؤى، وعلى نسـق تلـك القواعد، الغوصـ في القول الأدبيّ، وخاصـة في شـقه

الشّعري، معتمدين على ما سبقهم من تأويلات من مُنطلق أنّ «العمليّة الإبداعية تُولِّد نصًّا يوازي النّص الإبداعي»[٢].

أضـفْ إلى هذا أن هـذا النّص الإبداعي يجب أن يتضـمّن «احتمالات تقبل التّأويل، وإمكانـات تأويليّة تنفتحُ أمام الرّؤى المتعدّدة للقرّاء، أي أنْ يكون النّص محتويًا على إشـارات وفراغات وإمكانيّة قرائية متعـدّدة... وهذا التّأويل يتحقّق بصـورة واضـحة في النُّصـوص الأدبيّة»[٣]. وعلى هذا فالنّصـ الأدبي هو وحده ما يتيح للقارئ فرصـة في رحاب التأويل، على أن تكون هذه الفرصـة مصـحوبةً بمؤشـرات وعلامـات تدل على ما خفي، وتوصـل إلى ما جعل مـن المعنى في قمّة الجلال والإثارة.

وقد وجدنا، من خلال اسـتقرائنا لبعض نصُـوص الـتراث النّقدي القديم، بعض الرُّؤى في قضية التّأويل، كما لحظنا وقوف نقادنا القدماء عند أقوال أدبية، مُدْلين بتأويلات وما توصـلوا إليه من دلالات، مكمِّلين ما سبقهم من تأويل حينًا، أو مُصـححين ومخالفـين حينًا آخر، ومن هؤلاء الجرجاني صـاحب **الوسـاطة**، الذي أدْلى برأيه في التأويل مُشيرًا إلى أنه واسع ولا يقف عنْد حُدود معنى واحد، وذلك عند تعرّضه لبيت المتنبي:

**ما بقومي شرُفْت بل شرُفـوا بي وبنفسي فخَـرت لا بجـدُودي**[٤]

فقد علّق الجرجاني على البيْت قائلاً: «فختم القول بأنه لا شـرف له بآبائه. وهـذا هجو صـريح. وقد رأيْـت من يعتذر له، فيزعـم أنّه أراد: ما شـرُفْت فقط بآبائـي، أيْ لي مفاخـر غـير الأُبُوَّة، وفِيَّ مناقبُ سـوى الحسـب. وبـاب التّأويل واسـع، والمقاصد مغيبةٌ. وإنما يُسْتشـهد بالظّاهر، ويتّبع موقع اللفظ، فأمّا قوله: وبنفسـي فخُرت لا بجدودي، فهو صالح؛ لأنه لم ينفِ أن يكُون له فيهم وبهم رتبة في الفخْر»[٥].

إنّ الجرجاني يقرُّ بأن التأويل واسعٌ، والمعاني متعددة ظاهرة أحيانًا، وكامنة

أحيانًا أخرى خلْف الألفاظ، وهذه الألفاظ هي المؤشّرات التي تقود إلى المعاني الظّاهرة والخفية، والقراءة الجيدة لها ثم تفحُّصُها هو ما يقود إلى التأويل الصّحيح، فهو يرى أن هُناك مَن كان استقباله للّفظ في بيت المتنبي خاطئًا، أو أراد أن يلتمس الأعذار للشّاعر فيما أخطأ فيه، فأشار الجرجاني إلى أنّ هناك مَن أوَّل شطر البيت الأول تأويلاً خاطئًا بناءً على النية والمقصد، مدعيًا أن المتنبي أراد الإشارة إلى أن له مفاخرَ أخرى غير مفاخر الأُبُوَّة، في حين يرى الجرجاني أن المقصود هنا هو ذاك الذي ظهر من خلال اللفظ، وهو نفي أن يكون له شرف بالآباء، وهذا يقُود إلى أن المعنى قد صُبَّ في قالب هجْو.

فعلى الرّغم من أن باب التأويل واسع، ومراد الشعراء خَفيٌّ لا يظهر لأيٍّ كان، إلا أنّ هذا مرتبطٌ إلى حد بعيد بالقراءة الصّحيحة للّفظ، وما يشير إليه باعتباره الشّاهدَ الحقيقي على المعنى. فالمتنبي من هذا المنطلق، وحسب الجرجاني، لم يقصد إلى هجاء نفسه، وإنما قصد الفخر، غير أنه أخطأ في التّعبير عن مقصده.

وسياق اللّفظ لا يدل البتة على هذا المقصد، بمعنى أن مراد المبدع يجب أن يُوطّن بالمؤشر اللفظي، وانطلاقًا من المؤشّر هذا يكون التأويل، ودون أنْ يُقَوَّل المبدع ما لم يقُله، وإن أيقنت أنّ ما توصّلت إليه من تأويل هو الصّحيح، وهو مرادُ المبدع، فلا مفرَّ عندها من أن تجزم بأنّ المبدع قد أخطأ في التّعبير.

ولا يخرجُ ابن رشيق بدوره عن هذا المنحى؛ إذ نجدُه يوردُ رأيًا قريبًا إلى حدّ بعيد من رأي الجرجاني، وهذا عند تعرضه للاتِّساع، والذي يعني عنده أن الشّاعر قد يأتي ببيت «يتّسع فيه التّأويل، فيأتي كلُّ واحد بمعنى، وإنّما يقع ذلك لاحتمال اللّفظ وقوته واتّساع المعنى، ومن ذلك قولُ امرئ القيس:

**مكرّ مفرّ مقبل مدبر معًا  كجلمود صخر حطّه السّيل من عَلِ**

فإنّما أراد أنّه يصلح للكرِّ والفرِّ، ويحسنُ مقبلاً مدبرًا، ثمّ قال: معًا،

أي: جميع ذلك فيه، وشبّهه في سرعته وشدّة جريه بجلمود صخر حطّه السّيل من أعلى الجبل؛ فإذا انحطّ من عالٍ كان شديد السُّرعة، فكيف إذا أعانتْه قوّة السّيل من ورائه؟؟ وذهب قومٌ - منهم عبدالكريم[٦] - إلى أنّ معنى قوله: «كجلمود صخر حطّه السّيل من علِ»، إنّما هو الصّلابة؛ لأنّ الصخر عندهم كلَّما كان أظهرَ للشّمس والرِّيح كان أصلب. وقال بعض من فسّره من المحدَثين: إنّما أراد الإفراط، فزعم أنّه يُرى مقبلاً ومدبرًا في حال واحدة عند الكرِّ والفرِّ لشدّة سرعته، واعترض على نفسه، واحتج بما يوجد عيانًا؛ فمثَّله بالجلمود المنحدر من قُنّة الجبل، فإنّك ترى ظهره في النّصبة على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبلٌ إليك، ولعلّ هذا ما مرَّ قط ببال امرئ القيس، ولا خطر في وهمه، ولا وقع في خلده، ولا روعه»[٧].

إنّ حديث ابن رشيق عن التّأويل فيه تأكيد أنّ هناك تأويلات للبيت الشِّعري، بعضها مقارب لمراد الشاعر، والبعض الآخر مخالف إلى حدٍّ بعيد - حسبه - لما أراده الشّاعر، وقد استهلَّ الكلام بقراءته هو للبيت الشِّعري، وما وصل إليه من تأويل، فقدّم معنى متداولاً قريبًا يفهمه القارئ دون مشقّة ويتقبَّله؛ إذ أشار إلى أنّ الفرس خارق السُّرعة كالجلمود الذي ينزل بسرعة تضاعفها قوة السّيل، ثمّ يذهب إلى إيراد تأويلات السابقين، حيث إنّهم توصّلوا في تأويلهم إلى أنّ امرأ القيس أراد الإشارة إلى أن فرسه في منتهى الصلابة والقوة، مثل الصخر الذي يزداد صلابة وقوة ومقاومة بحكم تعرضه الدائم للشمس، في حين ذهب البعض إلى أن امرأ القيس أراد المحال لفرسه، فجمع بين ما لا يجتمع، فالإقبال والإدبار نقيضان، وما جمع الشّاعر بينهما إلا رغبة منه في تفعيل عملية التواصل بين المبدع والقارئ[٨].

إنّ القول فيه حديثٌ عن الاتساع، أي التأويلات المتعدّدة للكلام الواحد، فابن رشيق يرى أن التأويل يمكنُ ألا يكون محدودًا، وعدد التّأويلات يخضع لقوة اللّفظ ومدى احتمالاته المفتُوحة على المعاني؛ فبعضُ الكلام في تركيبه وسحْر تنسيقه

يجعل باب التأويل مفتوحًا، ويقودُ إلى أكثر من دلالة، وقد استدلّ على ذلك ببيت امرئ القيس هذا.

إنّ ابن رشيق قد ذهب إلى تأويله بشكل مختلف، مخالفًا مَن سبقه، مُوردًا ما وجد من تأويلات، منها تأويل عبدالكريم النهشلي وأمثاله، وتأويل آخر للمحْدَثين من النّقاد، مُومئًا إلى أن تأويل النّهشلي يمكن تقبُّله لأنّه لم يخطِّئه، وبالتالي فتأويل ابن رشيق مكمِّل لتأويل أستاذه، بينما التأويل الثاني لا يمكنُ تقبُّله، خاصة وأنه بدأه بكلمة زعم، ثم ختمه بالإشارة إلى أنّ هذا المعنى لم يخطر حتّى في بال امرئ القيس.

فالتّأويل من هذا المنطلق يرتبط بالمقصد وما أراده المبدع، والمؤشرات اللّفظية تؤازر هذا التّأويل، ومن قال بغير هذا، وأوَّلَ دون التفات إلى الإشارات والدلائل، فهو مخطئ، وقوَّل المبدع ما لم يقلْه دُون دليل من منظور ابن رشيق، وهذا يجعلنا نقول: إن تعدد التّأويل يجب أن يكون متّصلاً بالسّياق اللّفظي، وفي حدود الاتساع الذي يقتضيه المعنى، فلا يجب أن يؤوِّل كلُّ واحدٍ على هواه بدعوى أنّ باب التأويل واسعٌ، وبيت امرئ القيس دليل على هذا.

أي إنّ التأويل مفتوحٌ ومتعددٌ، ولكن بما يستسيغه المنطق، وتتقبله الذائقة الأدبية، وتحدّده البنية اللّفظية؛ ذلك أنّ «اللّفظ يحتمل تأويلين: أحدُهما يلائم المعنى الذي أنت فيه، والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد»[٩].

ولو فعلنا هذا لأصبح المبدعُ مَلغيًّا، أو لأنقصْنا الكثير من قيمته، حيثُ جعلناه لا يعي ما يقُوله، من قريب أو من بعيد، فاللّفظ يؤدّي إلى معنى مناسب له، وينجُم عنه بالضرورة، وفق دليل أو مؤشّر يؤكد صحّة ما ذهبْت إليه، وقد يذهبُ غيرك إلى ما يُلائم هذا اللّفظ، ويأتي بمعنى دون أن يُقيم حجّة مقنعة على أنه المعنى الخفي المراد.

ومثال ذلك قولُ العرب: «حاتم كثير رماد القِدر»، اللّفظ يأخذُك إلى المعنى

الثـاني المراد، وهـو الكرم، ودليل ذلك مؤشّـر حاتم، وكثرة الرمـاد. وقد يذهب آخـر إلى أن المعنى المـراد هو كثرة عدد العائلة دُون التفـات إلى كلمة حاتم، كما قد يذهبُ آخر إلى أنّ الجوَّ بارد، مُلغيًا من اللّفظ مؤشّر حاتم ومُؤشر القِدر معًا.

وهـذا الطّرح من ابن رشـيق دون شـكّ غايته وضـعُ حدّ للذيـن يؤوِّلون على هواهـم، ويذهبون إلى أشـياء لا تمتُّ إلى البنية اللّفظية بصـلة، بدعوى أنّ باب التأويل واسع، وأنّ المبدع قد لا يتنبه للفكرة أو لجزئية منها عند الإبداع. نعم، إنّ باب التأويل مفتوح، ولكن انفتاحه هذا تضبِطه ضوابطُ، وتحدُّه حُدود، وأحيانًا لا يكون العيبُ في التّأويل، بل يكون في المؤشرات اللّفظية التي توصلُ إليه؛ ومن ذلك ما وقع لابن قيس الرقيات، حيثُ فُهم بيته على غير ما أراد له، وذلك حين قال:

**تقدّتْ بيَ الشّهبـاء نحو ابن جعفرٍ سـواءٌ عليها ليلُهـا ونهارُهـا**[10]

هذا البيت جعل ابن أبي عتيق يسـلّم على الرقيات بقوله: «عليك السّـلام يا فارس العمياء، فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمّد بأبي أنت؟! قال: أنت سميت نفسك حيثُ تقول: سواء عليها ليلُها ونهارُها، فما يستوي الليلُ والنهار إلا علـى عمياء، قال: إنما عنيتُ التعب، قال: فبيتُك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه»[11].

هذا يقودُ إلى القول بأنّ المؤشرات اللّفظية قد يكون فيها خطأ في التّنسيق، أو ينقصها شيء يفتح باب التّأويل، فيؤدي إلى تأويل صحيح، ولكنّه غير مراد، وهذا ما حدث للرُّقيات، ذلك أن اسـتواء الليل والنّهار عند العرب يُشـار به إلى التّعب، فكان لزامًا عليه أن يضـع في حسـبانه أنّ هناك من تغيبُ عنه بعض تقاليد القول العربية[12]. وقد تكُون المؤشّرات اللفظية سليمة التّنسيق، ولكن يتأوّل السامع غير المقصود، وذلك ما حدث عند تأويل قول امرئ القيس في فرسه.

إنّ ابـن قيس الرُّقيات كان لزامًا عليه أن يضـع مؤشّـرًا يقف حائلاً أمام ما ذهب إليه ابن أبي عتيق، ولعلّ أحسـن قول في قضـية ارتباط التأويل بلفظه، وما يقـود إليه مـن خلال التركيب، هو ما ذهب إليه ابن طباطبا العلوي حين رأى بأنّ

«أحسن الشعر ما يُوضع فيه كُلُّ كلمة موضعَها حتى يُطابق المعنى الذي أُريدت له، ويكُون شاهدُها معها، لا تحتاج إلى تفسير من غير ذاتها»[١٣].

ويذهبُ الجُرجاني في **أسرار البلاغة** المذهب نفسه، حيث يقرُّ بأن الاستعارة «تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصَّدَفة الواحدة عدة من الدُّرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعًا من الثّمر»[١٤]. اليسير من اللفظ هو إيجاز، وما يرجُوه المتكلم ويقصدُ إليه إلا إظهارًا للبراعة، والقدرة على التّعبير عن كثرة المعاني بأقلِّ لفظ، ومن ثَم لا يمكنُ الوقوف في إيجاز الاستعارة عند حُدود اللفظ، بل يجب التّأويل والغوص في باطن الكلام للوصُول إلى تلك المعاني الكثيرة التي جعلتها الاستعارة تظهرُ في شكل ضيِّق، أقلّ ما يقال عنه إنّه خاضع للفظ الاستعارة؛ إذ على ضوء النظْم الموجود فيها حصل التضييق على المعاني، ولا سبيل للوصُول إليه إلا بفكِّ هذا التضييق والغوص في الاستعارة، لنتمكن من الوصُول إلى تأويل مناسب، وهذا الطرح من الجرجاني نجد فيه أشياء إضافية، فهو يرى الأخذ بظاهر اللّفظ في الاستعارة لا يقُود إلى المعنى، بل على المؤَوِّل أن يتخذ المؤشّرات اللفظية في الاستعارة مطيةً للوصُول إلى المعاني الخفية الملائمة.

ويدلي الجرجاني في موطن آخر من **أسرار البلاغة** برأي مكمِّل لفكرة التّأويل، مناديًا بجمالية الغموض الذي يستدعي إعمال الفكر، وتصريف الخاطر للوصول إلى التّأويل الملائم، واستخراج ما كمُن من المعنى في ثنايا الكلام، فهو يرى أن المعنى «في الأكثر ينجلي لك بعد أن يُحوجك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه. وما كان منه ألطف، كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد»[١٥].

إن المعنى لا يكون ظاهرًا مكشوفًا، بل يكون كامنًا تحت الألفاظ، ويحتاج إلى إمعان النظر حتّى نستخرجه، ثم إنّ المعاني اللّطيفة الجليلة تكون أكثر خفاءً، واستخراجها يكون بعد مشقة وعَناء، وهذا لهُ قيمته ووزنه في عملية التأويل؛

لأنه يُشعر المؤوِّل بنشوة وفرحة؛ لأنّه بذل جهدًا جبّارًا للوصول إلى المعنى؛ وذلك لأن «المركوز في الطبع أن الشّيء إذا نِيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيلُه أحلى، وبالمزِيّة أولى»[١٦].

إنّ المعنى اللّطيف - إذًا - لا يكون ظاهرًا في الكلام، بل يُخفى بحيثُ يُعمَل الفكرُ، ويُبذَل الجهدُ لتحديده والوصُول إلى التّأويل، بهذه الطريقة فقط تشعر بالحلاوة والنّشوة، والجرجاني لا يعني الخفاء الذي يؤدي إلى الغموض المطلق فيكُون العجز، بل يريد ذلك الغموض الذي يحتاج إليه معنى بعينه بحيث لا يصلُ إليه أيٌّ كان.

والأمرُ لا يتوقف عند هذا الحدِّ، بل إنّ التأويل على هذه الشّاكلة، والمعنى المتوصَّل إليه بهذه الطّريقة يكون «موقعُه من النّفس أجلَّ وألطفَ، وكانت به أضنَّ وأشغف...فإنك تعلمُ على كل حالٍ أنّ هذا الضرب من المعاني كالجوهر في الصَّدَف، لا يبرز لك إلاّ أن تشُقَّه عنه، وكالعزيز المُحتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذن عليه»[١٧].

ويُضيف الجرجاني فكرة أخرى مكمِّلةً لقضية التّأويل هذه، مشيرًا إلى أن المؤشرات اللّفظية لا تكفي في عملية التأويل؛ ذلك لأنه ليس «كلُّ فكر يهتدي إلى وجهِ الكشف عمّا اشتمل عليه، ولا كُلّ خاطر يؤذَن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شَقّ الصَّدَفة، ويكونُ في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كلُّ من دنا من أبواب الملوك فُتحت له»[١٨].

بمعنى أنّ التأويل الصحيح لا يكون إلا من أصحاب الدراية والعلم بخبايا الكلام، أولاء الذين يُتقنون استقراء المؤشرات اللفظية، فيتوصلون إلى ما أراد المبدع من وراء كلامه؛ أي إن التأويلات للكلام الواحد لا يمكن أن تكون صحيحة كلها، فبعض التأويلات قد تكون ناقصة، أو غير صحيحة، ذلك لكون أصحابها ليسوا من أصحاب المعرفة.

وعبدالقاهر الجرجاني في **دلائل الإعجاز** يقف وقفة أخرى مميزة عند قضيّة التأويل، مشيرًا إلى أن الكلام الأدبي يقوم على معنيَيْن: معنى أول ومعنى ثانٍ، حيث إنّ المعنى الأول يكون بدلالة اللّفظ وحده، أما المعنى الثاني فتتوصل إليه عن طريق المعنى الأول، بحيث تدلُّك الألفاظ على معنى تقتضيه الألفاظ، ثم تدرك من خلال هذا المعنى الدلالة الخفيّة المرادة، وفي هذا يقول: «الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، ولكن يدلُّك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل. وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة. أوَلا ترى أنك إذا قلت: (هو كثير رماد القِدر)، أو قلت: (طويل النِّجاد)، أو قلت في المرأة: (نؤوم الضُّحى)، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يُوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيًا هو غرضك؛ كمعرفتك من (كثير رماد القِدر) أنه مِضياف، ومن (طويل النِّجاد) أنه طويل القامة، ومن (نؤوم الضحى) في المرأة أنها مُتْرَفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها»[١٩].

يقرّ الجرجاني من خلال طرحه هذا، مثلما أقرّ في باب الاستعارة، بأن الكلام الأدبي يقوم بالأساس على التأويل، وهذا لن يتأتى - حسبه - إلا إذا كان هناك معنى ظاهر، تكشف عنه الملاحظة الأولى للألفاظ، فالقارئ يبحث عن معنى واضح وظاهر، تفصح عنه الألفاظ في نظْمها وطريقة تركيبها بما يقتضيه عُرف التواصل اللّغوي، ثم تتخذ هذا المعنى الواضح الظاهر جسرًا يُوصل إلى المعنى الخفيِّ مستعملاً العقل، خاضعًا للمنطق الذي يجعلك تستدل على أن المعنى الأول ليس هو المرادَ من الكلام، كما أنه لا يفي بغرض التواصل المطلوب، فتذهب للتفتيش والتنقير عن المعنى الثاني، فيتحقّق بهذا التأويل.

ويستوقفنا قول لابن الأثير فيه نفَس عبدالقاهر الجرجاني، وقد حاول من خلاله وضع تعريف للتأويل، حيث اعتبر أنه «رجوع عن ظاهر اللّفظ، وهو مشتقٌّ من الأول، وهو الرجوع، ويقال آل، يؤول: إذا رجع»[٢٠]. إن المعنى المستنبط من ظاهر اللّفظ لا علاقة له بالتأويل حسب ابن الأثير؛ لأنّه عبارة عن شرح وتفسير ليس إلا، وذلك لأنّه يقدم معنى أول ظاهرًا وبسيطًا، مؤكدًا على أنّ بعض أقرانه قد ذهب مذهبًا غير مقبول في التأويل، وفي هذا يقول: «واعلم أنّ الأصل في المعنى أن يُحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل؛ كقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يُلبس، ومن تأوّل ذهب إلى أنّ المراد هو القلب لا الملبوس، وهذا لا بدّ له من دليل؛ لأنه عُدول عن ظاهر اللّفظ. وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه السّلام أنه قال: إذا أردت أن تصلي فادخل بيتك، وأغلق بابك. فالظّاهر من هذا هو البيت والباب، ومن تأوّل ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك همَّ قلبك، وتمنع أن يخطر به سوى أمر الصّلاة، فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي تخطر له بإغلاق الباب، وهذا يحتاج إلى دليل؛ لأنه عُدول عن ظاهر اللّفظ، فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف، والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف؛ إذ باب التأويل غير محصور، والعلماء متفاوتون في هذا، فإنه قد يأخذ بعضهم وجهًا ضعيفًا من التأويل، فيكسوه بعبارته قوة تميِّزه على غيره من الوجوه القوية، فإن السيف بضاربه:

**إنّ السّيوف مع الذين قلوبهم ... كقلوبهنَّ إذا التقى الجمعان**

**تلقى الحسام على جراءة حدِّه ... مثل الجبان بكفِّ كل جبان**

وذهب بعضهم في الفرق بين التّفسير والتأويل إلى شيء غير مرضِيٍّ، فقال: التفسير: بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصّراط بالطريق والتأويل: إظهار باطن اللّفظ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، فتفسيره من الرصد؛ يقال: رصدته، إذا رقبته. وتأويله تحذير العابد من تعدّي حدود الله ومخالفة أوامره. والذي عندي في ذلك أنه أصاب في الآخر، ولم يصب في الأول؛ لأنّ قوله: التفسير

بيـان وضـع اللفظ حقيقة لا مسـتنَد لجوازه، بل التفسـير يطلق على بيان وضـع اللّفظ حقيقة ومجازًا؛ لأنّه من الفسْـر، وهو الكشـف، كتفسـير الرصـد في الآية المشـار إليها بالرقبة، وتفسـيره بالتّحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره. وأما التّأويل، فإنه أحد قسـمي التفسـير، وذاك أنّه رجوع عن ظاهر اللّفظ، وهو مشـتق من الأول، وهـو الرّجوع؛ يقال: آل يؤول: إذا رجع. وعلـى هذا فإن التّأويل خاص والتفسـير عام، فكلّ تأويل تفسـير، وليس كل تفسـير تأويلاً. ولهذا يقال: تفسير القرآن، ومن تفسيره ظاهر وباطن، وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذِكره ههنا يرجع أكثره إلى التأويل لأنه أدقّ»[٢١].

إنّ قول ابن الأثير هذا في تصـحيح وتحديد لمصـطلحي التّفسـير والتأويل، فاكتفاء الدّارس بتحديد مرادف الكلمة وتبسيطها لا يعدّ تفسيرًا؛ أي إنّ التّفسير أرقى من أن يكون رصـفًا للمرادفات، وإعادة للجُمل نفسـها بشكلها البسيط، إنّه البوابة الأولى للفهم، ذلك أنه يقدم المعنى جاهزًا واضحًا للعيان، يستنبطه العام والخاص، فلو حاولنا عبثًا تفسـير العبارة المشهورة (حاتم كثير رماد القدر)، لما وجدنا في الكلمات ما نفسـره ونشـرحه، بحيث نذهب مذهَب من فسَّر الصراط بالطريق، وبالتّالي يمكن التوجه إلى التأويل مباشـرة. ولكن لو ذهبنا مذهب ابن الأثـير وحاولنا التفسـير وتحديد المعنى مـن ظاهر اللفظ، لقلنا في تفسـير هذه العبـارة: إن حاتمًـا يشـعل النار بكثرة تحت القِـدر، مما أدّى إلى كـثرة الرّماد، والقِدر كما جرت العادة يُستعمل في الطّبخ، وبالتالي فهذا الرجل يُسخِّر جُلَّ وقته وكثيرًا من جهده لطهي طعامه.

وهـذا يقود إلى القول بـأنّ الكلام الأدبي يُنظر إليـه أول الأمر من الظّاهر، ولكن الظاهر غالبًا لا يشـفي الغليل ولا يشـبع الشّغف، وإنْ أشبع فهو لا يدخل في بـاب الأدبي، ممّا يدفع إلى طلب المزيد، فيكون الالتفات إلى باطن الألفاظ، وهو ما يصـطلح عليه ابن الأثير بالتأويل. هنا فقط يكون الدّارس قد رجع عن ظاهر اللّفـظ، وبحث عن المعنى غير الذي يظهر من التفسـير[٢٢]. وعلى هذا الأسـاس يكون التأويل في العبارة المذكورة آنفًا أن حاتمًا يتميز بالكرم، وهو معنى خفِيٌّ قد

لا يتبدَّى لأيٍّ كان، أو قد لا يتبدَّى لأول وهلة، ويمكن أن يكون التأويل بشكل آخر، كأن يقال: إن حاتمًا له أولاد كُثر أو عائلة كثيرة العدد، وهو في الوقت ذاته غني، ولكن هذا المعنى لا يمكن أن يُتأوَّل لأن مؤشرًا يمنع ذلك، وهو لفظ (حاتم)، ولفظ اشتهر عند العرب بكثرة رماده، وبأنه ملجأ لكل عابر صحراء.

والطرح بهذا الشكل يجعل المؤوِّل يقدِّم الدليل على ما ذهب إليه، فلو غُيرت العبارة، وقيل: «سعد كثير رماد القدر»، لأمكن أن يكون التأويل بالمعنى الثاني الذي ذكرت مع تجاهل ما اصطلحت عليه العرب في التواصل، بمعنى أن العبارة تحتمل هذين التأويلين معًا، ولا يمكن الجزم بتأويل واحد إلا إذا وقفت على التفسير الذي نادى به هؤلاء الذين خطَّأهم ابن الأثير، أي شرح الكلمات، فأحدِّد من يكون سعد هذا، وتحديد مراد العرب من كثرة رماد القدر، لأتمكن من تحديد المعنى المقصود.

وعلى هذا يمكن القول إنّ عملية التأويل وفهم النّصوص، من منطلق ما أورده ابن الأثير، تقوم بالأساس على مرحلتين: مرحلة التّفسير ومرحلة التأويل، والوصول إلى المعنى، مع إمكانية أن يقوم أحيانًا أخرى على ثلاث مراحل: مرحلة شرح الكلمات ثم التّفسير ثم التأويل؛ لأن الالتباس في اللّفظ قد يُخلُّ بمصداقية التأويل، والإخلال بهذه المصداقية جعل ابن الأثير يؤكد «أن الأصل في المعنى أن يُحمل على ظاهر اللّفظ».

ويرى ابن الأثير أن المعنى الذي يُستفاد من القول يجب أن يكون ظاهرًا مفهومًا مما تُقدِّمه الألفاظ، كما هي في التواضع ومن خلال سياقها، ومن أراد أن يُؤوِّل ويذكر معنى آخر غير المعنى الظاهر، فما عليه إلا أن يقيم الحجّة الدامغة على ما ذهب إليه، فالآية المذكورة في القول الأصل في معناها - حسب ابن الأثير - هو ما يُلبس، وهو ما يجب أن يكون ظاهرًا، غير أن هناك من رأى أنّ المراد هو القلب، ولم يدلِّل لما ذهب إليه، على الرّغم من أنّه عدل عن المعنى الظاهر الذي يُفهم من الكلام.

وحجة ابن الأثير في هذا الطّرح هي أن المعنى يكون ظاهرًا، وتؤديه المؤشرات اللّفظية اللازمة في التّواصل، معتبرًا هذا تفسيرًا لا خلاف فيه، أمّا العدول عن الظاهر، والوقوف على التأويل، فيقع فيه الخلاف، وينتج عنه العديد من التأويلات، وهذا الإنتاج يتفاوت فيه العارفون بخبايا الكلام، والأمر حتى هذه النّقطة وعند هذا الحد يمكن تقبُّله، فالتفاوت والاختلاف بين الناس سنه الله في خلقه، غير أنّ ابن الأثير ينبه إلى نقطة تعد أساسية في التأويل؛ إذ هناك من يذهب إلى وجه ضعيف من التّأويل، فيستعمل للتّعبير عنه ما يسحر العقول ويخلب القلوب، فيظهر أحسن وأقوى من ذلك التأويل القوي الصحيح المتناهي الدِّقة، وليس هذا فحسب، بل نجد ابن الأثير في هذه النقطة يثير قضية هامة في التأويل؛ إذ يقصره بدوره على العلماء وأهل الدِّراية دون غيرهم، وهو مصيب إلى حدٍّ بعيد، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن هذا العالم بدوره يخطئ أو يؤوِّل تأويلاً ضعيفًا فيحتال له، ويجعله راقيًا، فما بالُك بالعامة إن طرقتْ باب التأويل.

ونجد ابن أبي الإصبع يخوض بدوره في قضية التأويل هاته، وهذا عند حديثه عن الاتِّساع، معرِّفًا إياه بأنه هو ما جاء فيه «الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه، وبحسب ما تحتمل ألفاظه، كقول امرئ القيس:

**إذا قامتا تضوَّع المسك منهما … نسيم الصّبا جاءت بريّا القرنفل**

فإنّ هذا البيت اتسع النُّقَّاد في تأويله؛ فمن قائل: تضوَّع مثل المسك منهما نسيم الصبا، ومن قائل تضوَّع نسيم الصَّبا منهما، ومن قائل تضوَّع المسك منهما تضوُّع نسيم الصّبا، وهذا هو الوجه عندي، ومن قائل تضوَّع المسك منهما بفتح الميم، يعني الجلد، بنسيم الصبا.

وكقوله في صفة الفرس طويل:

**مِكَرّ مفرّ مقبل مدبر معًا … كجلمود صخر حطّه السّيل من علِ**

لأنّ الحجر يطلب جهة السفل لكونها مركزَه؛ إذ كل شيء يطلب مركزه بطبعه الذي جُبل عليه، فالحجر يسرع انحطاطه إلى السفل من العلُوِّ من غير واسطة،

فكيف إذا أعانته قوّة دفاع السيل من عَلٍ، فهو في حال تدحرجه يرى وجهه في الآن الذي يرى فيه ظهره لسرعة تقلُّبه، وبالعكس، ولهذا قال الشّاعر: مقبل مدبر معًا، يعني يكون إدباره وإقباله مجتمعيْن في المعيَّة، ولا يعقل الفرق بينهما، وحاصل الكلام وصف الفرس بلين الرأس، وسرعة الانحراف، وشدة العدْوِ، لكونه قال في صدر البيت إنّه حسن الصّورة، كامل النصبة في حالتي إقباله وإدباره، وكَرِّهِ وفَرِّه، ثم شبَّهه في عجز البيت بجلمود صخر حطه السّيل من العلُوِّ لشدة العدْو، فهو في الحالة التي يرى فيها لَبَّته يرى فيها كفله وبالعكس.

هذا ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشّاعر في وقت العمل.

وإنّما الكلام إذا كان قويًّا من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوهًا من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه، وعلى مقدار قُوى المتكلمين فيه، ولذلك قال الأصمعي: خير الشّعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة. وقد غلط بعض النّاس في تفسير هذا الكلام، وغلَّط الأصمعيَّ فيه لسوء تفسيره، لأنّه توهّم أن الأصمعي أراد الشّعر الذي رُكِّب من وحشي الألفاظ، أو وقع فيه من تعقيد التركيب ما أوجب له غموض معناه، ولو كان كذلك كان ذلك شرًّا للشعر، وإنما أراد الأصمعي الشعر القوي الذي يحتمِل مع فصاحته، وكثرة استعماله ألفاظه، وسهولة تركيبه، وجوْدة سبْكه معاني شتى يحتاج الناظر فيه إلى تأويلات عدّة، وترجيح ما يترجَّح منها بالدّليل»[٢٣].

يرى ابن أبي الأصبع أن هذا الاتساع حاصلٌ إذا وجد بيت يتّسع فيه التأويل بحسب قدرة مستقبله، وبحسب ما تشير إليه الألفاظ، وقد مثّل الناقد لما ذهب إليه ببيتين لامرئ القيس، حيث أورد تأويلات عدّة للبيت الأول، مشيرًا إلى أنه فضل أحد التأويلات دون تعقيب أو إضافة، ولا دليل على علّة هذا التّفضيل. أما البيت الثاني المتعلق بوصف الفرس، فنجده يورد تأويلات البيت كما جاءت في عُمدة ابن رشيق، مع بعض الإضافة في التدليل على صحتها، وكأنه يريد أن يقول:

إن هذه التأويلات يُكمِّل بعضـها بعضًـا، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أن ما وُجد من هذه التأويلات، وما توصـل إليه النّقاد من معـانٍ خفيَّة لم تقع ببال امرئ القيس وقت العمل.

وقد قال ابن رشيق بالفكرة ذاتها، مخطِّئًا من قال بأن الفرس لسرعته يُرى في حال واحدة كرًّا وفرًّا، إقبالاً وإدبارًا، مثل الجُلمود المنحدر من رأس جبل تراه على هيئة واحدة، ولا تفرِّق بين ظهره وبطنه لسرعته، باعتبار أن اللّفظ لا يمكن أن يوصـل إلى مثل هكذا معنى، واللفظ لم يوصـل إليه لأن الشّاعر لم يقصد هذا المعنى أصـلاً، ولو أراده لوضع بما لا يقبل الشّك مؤشرًا يدل عليه، إلا أن ابن أبي الأصـبع قد خالفه في الطرح حيث لم يفنِّـد ولا تأول ولم يخطِّئ أحدًا. وليس هذا فحسـب، بل لم يحدّد أيّ المعاني التي لم ترد على بال الشـاعر، وترك الأمر عامًّا مبهمًـا، وحجّتُه في فكرته هذه تقوم على أنّ الكلام قويٌّ وصـادر عن فحل، وقوته هـذه أدت إلى وجوه من الاحتمـالات، وعدد من التأويـلات أنتجتها قوى المؤوِّلين على تفاوت درجاتهم.

إنّ الأمـر محـال، إنّ امـرأ القيـس عنـد نظمه للبيـت لم تمـر بخياله هذه التفصـيلات والجزئيَّات التـي أقرها النّقاد من خلال سـياق بيتـه، ولكن الذي لا شـك فيه أن الصـورة العامة للجزئيات قد مرت بذهنه، وتصـورها في خياله بصـورتها العامة، وهو ينشـئ البيت؛ إذ لا يعقل أن يأتي بالمعنى على هذا الشكل دون أن يعيَه، أو يخطر في خَلَده لا من قريب ولا من بعيد. وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة، فإننا دون شكٍّ سنجعل الكثير من المعاني غريبة عن وعي الشّاعر، وكأنه لا معرفة له بها، وبالتّالي سنجد أنفسنا أمام مبدعين خارقين، ولهم الباع الطويل في الأدب عبر العصـور، ومع ذلك نقـرّ عبثًا أنهم لا يعون الكثير من معانيهم ولا يدركونها، ويأتي بعدهم مَن لا علاقة له ببيئتهم لا من قريب ولا من بعيد، فيحدد المعنـى الذي أورده الشـاعر دون إدراك منـه؛ لأنه إن كان التنظـير للفكرة بهذه الصّـورة، فلا أظن أن امرأ القيس، وهو مَن هو، قد وعى كل ما قاله من الشّـعر،

كمـا أن الفكرة ـ كمـا قلنا ـ فيها إلغاء لشـخص امرئ القيس، بل وفيها إسـقاط لفحولته.

ثـمّ إن الإنسـان ابن بيئتـه، تؤثر فيه ويعرف خباياهـا، ولا أحد أعرف ببيئة الجاهلي منه، وامرؤ القيس اتَّقدت شاعريته مع الفرَس، فوصفه وأجاد الوصف، وكان سـبَّاقًا للكثير من المعاني في وصـف الفرس، وفي وصـف غـيره، وفاق أبناء بيئته ومن عاصـره في الكثير من الأمور المتعلقة بقرض الشعر، وظل مثالاً يُحتذى ومـا زال، وطوَّع اللّفظ أكثر من غيره، حتى عُدَّ فحل الشّـعر بـلا منازع، وأعطاه تلـك القـوة التي تفتح بـاب الاحتمالات الكثـيرة إن جاز التعبير، بمعنـى أن قوة اللفظ تخضع للمبدع، فهو أنشأها، فأظهر من خلالها قدرته على صياغة المعاني بالشـكل البديع، غـير المألوف، فكان اللجوء إلى التأويـل، بل هنا تكمن الفحولة، فالفرَس لم يكن لامـرئ القيس وحده، بل كان لشـعراء الجاهلية كلهم، غير أنه فاقَهم في الفحولة والشاعرية الفذة، فأورد تلك المعاني بذاك الشّكل.

بقي أن نتعرض لكلام الأصمعي الذي استدل به ابن أبي الأصبع، معتبرًا إياه دليلاً على أنّ قوة اللفظ تؤدي بالضرورة إلى تأويل لم يقع في خَلَد المبدع. إن مقولة الأصـمعي لا تشير بالضـرورة إلى تعدُّد التأويل، ولكنه ينبه إلى قضية الغموض، التي تجعل من الشـعر شـعرًا يبرق أدبية، حتى ولو كان هذا الغموض يخفي معنى واحدًا. ولا شـك في أن الشعر الذي يعطيك المعنى أو المعاني بعد مطاولة، وإمعان نظر وبذل جهد، هو ذاك الذي يتَّسـم بقوة اللفظ المتعارَف عليها في سُـنّة القول العربية، وينِمُّ عن فحولة صاحبه، بما يقتضيه الإبداع الشّعري العربي، ولا توحي الفكرة أبدًا بأن المعاني المترتبة عن الغموض لم تخطر ببال صاحبها.

ونجد أن ابن أبي الأصـبع بدوره يربط عملية التأويل بأهل الدراية بالشعر، الذين لهم القدرة على التأمل والنظر، للوصـول إلى التأويل المناسـب عن طريق القراءة الصـحيحة للَّفظ، منبهًا إلـى أن التّأويلات قد تتعدَّد، ولكن هناك دائمًا

مـا هـو مرجّح، على أن التّرجيح لتأويل ما يحتاج إلـى الدّليل المنطقي الذي يقنع بصحته، وهو ما لم يقم ابن أبي الأصبع ذاته عند تأويل لبيت امرئ القيس الذي مثَّل به أولاً.

يمكـن القول مما تقدّم: إن التأويل واسـع، والمعاني متعددة، ظاهرة وخفيَّة، وقـوة اللّفظ ومـا تؤديه من احتمالات المعنـى لا تعني الخـروج في التأويل إلى أي معنـى يلائم اللّفظ، وإطـلاق العنان للهوى، بـل يجب أن تُلتزم حدودٌ يفرضـها مقصد المبدع.

إنّ القدمـاء اشـترطوا في الكلام الأدبـي الإيجازَ والغموض المقبول، بحكم أنهمـا يؤديان إلى خفاء المعاني، مما يقود في الأكـثر إلى التأويل عند قراءة هذا الـكلام الأدبي، فتتحقّق النّشـوة، وتزداد المعاني اللّطيفة جـلالاً، فتكون الإثارة. كما أن التأويل لا يكون على إطلاقه، بل فيه شـيء من التحديد، تحديد يفرضـه المبدع، ويخضـع للمؤشـرات اللّفظية في الغالب، كما قد يخضـع للمعنى الظّاهر، فيكون إلى جانب الألفاظ خير مؤشّر على ما قيل به من تأويل، وهذا كله لا يتحقق إلا بحجة ودليل، كما أن التّأويل الحق لا يكون إلا من أهل الدراية والمعرفة بالكلام البديـع، ولا يكـون ممن لا علاقة لـه بالإبداع، أو مـن أولئك الذيـن يؤوِّلون على هواهم، ويقوِّلون المبدعين ما لم يقولوه، بدعوى أنَّ باب التأويل واسع ومفتوح.

## الهوامش:

(*) أستاذ بجامعة بومرداس- الجزائر.

(١) **استقبال النص عند العرب**: محمد المبارك، المؤسسـة العربية للدراسـات والنشـر، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٢٢٠.

(٢) **المجلـة العلميـة لجامعة الملك فيصـل**: من صـور التلقي في النقد العربـي القديم، مقال لظافر بن عبدالله الشهري، مج١، ع١، مارس ٢٠٠٠، ص٦١.

(٣) **قراءة النص مقدمة تاريخية**: عبدالكريم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ص٤٧.

(٤) **الوساطة بين المتنبي وخصومه**: للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا، ١٩٦٦، ط٤، ص٣٧٤.

(٥) المصدر نفسه: ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٦) يقصد عبدالكريم النهشلي، أستاذه.

(٧) **العمدة**: ابن رشيق، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، لبنان، ط٥، ١٩٨١، ج٢، ص٩٣.

(٨) ينظر **استقبال النص عند العرب**: ص٢٢٥.

(٩) **العمدة**: ج٢، ص٩٦.

(١٠) **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني، ت: عبدالرحيم محمود، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢، ج٥، ص٤٣.

(١١) المصدر نفسه: ج٥، ص٥٨.

(١٢) ينظر **عيار الشعر**: ابن طباطبا العلوي، ت: زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٣، ص٧٣.

(١٣) المصدر نفسه: ص١٦٨.

(١٤) **أسرار البلاغة**: عبدالقاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ص٤٣.

(١٥) المصدر نفسه: ص١٣٩.

(١٦) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(١٧) المصدر نفسه: ص١٣٩، ١٤١.

(١٨) المصدر نفسه: ص١٤١.

(١٩) **دلائل الإعجاز**: عبدالقاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٦٢.

(٢٠) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: ضياء الدين ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ج١، ص٦٣.

(٢١) المصدر نفسه:ج١، ص٦٣.

(٢٢) ينظر **نظرية المعنى في النقد العربي**: مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢٣) **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم**: لابن أبي الأصبع المصري، ت: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣، ص٤٥٤، ٤٥٥.

# الشيخ الإمام
# أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني
## (حياتُهُ وما تبقّى من شعرِه)
## دراسة وصنعة وتوثيق

(١)

أ. د. محمد عويّد محمد الساير(*)

**تقديمٌ، لابُدَّ منه**

مُذ شُـهورٍ خلت اقترحَ عليّ أُستاذي المحقق الدكتور عبدالرازق حُويزي هذا الشـاعر لجمعه وصـنع ديوانٍ له. وازدحـم الوقت بكثرة المشـاغل، وقلّة الراحة، وشـدّة النصـب... فدفعتُه إلى أحد الأخوة الفضـلاء المتخصصـين في الشـعر العباسـي. وأبـدى موافقته وإعجابـه بالأمر جدًّا. ومن ثمَّ منَّ الله عليَّ سـبحانه بزيارة بيت الله الحرام في نهاية شـهر رمضـان المبارك، لأداء مناسـك العمرة، وهناك اتصـلت بصـديقي الفاضل هذا سـائلاً إيّاه عن عمله في شعر أبي عامر الجرجاني، وأين وصـل فيـه؟ وفاجأني باعتذاره عن العمـل! وأنه يعاني النزوح، ويفكـر في العودة إلى الديار، وليسـت لديه مكتبة في الوقـت الحالي، وطلب مني جمعه وصـنعته وإصـداره للقارئ والدارس، فهو ـ الشاعر ـ يستحق، فشكرته على معروفه معي، وما يقدمه من خدمة كبيرة للعلم وأهله؟!

كنـت يومهـا في مكتبة الحرم المـدني، في المدينـة المنورة، وهـي مكتبة ـ لمن

دخلها وزارها ـ كبيرة الحجم والبناء، مترامية الأطراف، شديدة التنظيم، كثيرة الخِزانات، ممتلئة الرفوف بأنواع الكتب والفهارس، وهناك فكرت في جمع شعر أبي عامر الجرجاني وتوثيقه وصنعته، فجمعت جُلَّه من هذه المكتبة، عَمَرها الله وحفظ القائمين عليها. بل، وجلبتُ أغلب مظانِّ هذا الجمع والتوثيق في أقراص ليزرية معي إلى بيتي ومكتبتي. ولما عدتُ إلى الوطن الحبيب، وبعد نهاية مراسيم الاستقبال والاحتفال بالعودة المباركة الميمونة من الأهل والجيران والأصدقاء، انتهيت من ترتيب كتابي وتصحيحه عن شعر الحلواني القيرواني (ت ق ٥ هـ)، ومن ثمّ ترتيب كتابي وتصحيحه عن شعر ابن قاضي ميلة (ت ق ٥ هـ)، وأخيرًا كتابي عن شعر البلوي المالقي (ت ٦٠٤هـ)؛ إذ نال حظًّا وافرًا من هذا الترتيب والتصحيح، أيضًا. فقد كانت هذه الكتب في المطبعة في دمشق الحبيبة، وكان الأخ الناشر ـ حفظه الله ـ ينتظر مني تصحيحها لإصدارها، وصدرت بفضل الله ومنّه.

عدتُ بعدها إلى شعر أبي عامر الجرجاني، وهالني ما رأيته في تحقيق الدكتور التونجي لكتاب **دُمية القصر**، للباخرزي، الذي هو ـ كتاب **الدُمية** ـ الأول والأهم في رواية شعر أبي عامر الجرجاني وتوثيقه وتدوينه، فضلاً عن ترجمته طبعًا، والثناء عليه. فلقد تدافعتْ نسبة هذه الأشعار لشاعرنا الجرجاني، إلى الشيخ النحوي والبلاغي عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، ضِلَّةً من قبل المحقق باعتماده على بعض النسخ الخطية غير الكاملة، وغير الأصلية.

ولما عدت إلى التحقيق الأول، والفضل السابق على هذا الكتاب وصاحبه، وهو تحقيق أُستاذي وشيخي المرحوم الأُستاذ الدكتور سامي مكي العاني، وهو من أوائل من حقق **الدُمية** واعتنى بها، وأخرجها إخراجًا علميًا دقيقًا، وعلى أكثر من ثماني عشرة نسخة خطية منها، وجدت أنّ هذه الأشعار هي لأبي عامر الجرجاني، وليست لعبدالقاهر. وأسوق الأدلة الآتية على ذلك:

١- شـهرة أبـي عامـر الجرجاني في الشـعر والنظـم أكثر منها من شـهرة عبدالقاهر الجرجاني، البلاغي والنحوي، على الرغم من أنّ هذا الأخير شـاعر أيضًا، وله مقطوعات شعرية مختارة، أوردها صاحب **الدُمية** وغيره.

٢- أغلـب النسـخ الخطية لكتـاب **دُميـة القصـر** أوردت هذه الأشـعار لأبي عامر الجرجاني، كما في النسـخ الخطية الكاملة والأصلية الكثيرة التي اعتمدها الدكتور العاني في تحقيقه، والبعض من النسخ التي اعتمدها الدكتور التونجي في تحقيقه أيضًا، وهي النسخ الكاملة والأصلية الموثوقة.

٣- رواية هذه الأشـعار لأبي عامر الجرجـاني في أغلب المظان، مثل **خريدة القصـر**، و**معجـم الأُدبـاء**، و**الوافي بالوفيات**؛ إذ النصـوص نفسـها، والأغراض نفسها، والأشعار نفسها، هي لشاعرنا الجرجاني، وكما وردت في **الدُمية** بتحقيق الدكتور العاني.

٤- أشـعار أبـي عامـر الجرجـاني تدلُّ علـى حياتـه ورحلاتـه، فهو خلال أشـعاره المجموعة الصـحيحة زار نيسـابور وذمَّ أهلها، وكذلك ذمَّ أستراباذ من خلال خطيبها، وأشـعاره الموغلة في الهجاء الفاحش، والذمّ المقذع، الذي لا صلة لعبدالقاهر الجرجاني به، من قريب أو بعيد.

وهكذا أمضيتُ رحلة ممتعة مع أبي عامر الجرجاني وشعره، أخذَت مني وقتًا وجهدًا، أتمنى أني وُفِّقتُ فيها، فهذه تكون أول مرة أُسـافرُ فيها خارج الأندلس، شـعرًا وفكرًا وحضـارةً، وأترك الحُكـمَ للقارئ اللبيب، والمحقـق الثبت، والناقد الحصيف، الذي سينظر في هذا العمل، ويبصر جهد صاحبه فيه.

ولا أتأخرُ لحظةً في شكر أُستاذنا القدير الدكتور حُويزي، وإهداء العمل إليه، فقد كان نِعمَ المعين، ونِعمَ الأخ، ونعم الصديق في السفر إلى جرجان ومصادرها، وصنعة ديوان أحد شعرائها، ولا أقول إلا ما قاله الشاعر الوزير المغربي:

**لو كنتُ أعرفُ فوق الشكرِ منزلةً أعلى من الشكرِ عندَ اللهِ في الثمنِ**

**إذًا منحتُكَها مني مهذَّبةً حذوًا على حذوِ ما واليتَ من حَسَنِ**

وأشكر أخي المفضال الدكتور محمود شاكر ساجت الجنابي (أستاذ الأدب الأندلسي في قسم اللغة العربية في كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة الأنبار)، على تعب المراجعة والإضافة لبعض النصوص التي فاتت الباحث والجامع لشعر أبي عامر الجرجاني. فجزاه الله عني وعن العلم كل خير.

ولا أنسى الشكر والتقدير إلى الدكتور حليم حماد سليمان (أستاذ اللغة والنحو في قسم اللغة العربية في كلية التربية الأساسية في جامعة الأنبار)، الذي أجهد نفسه في التقويم اللغوي، ومراجعة العمل في الصياغة والأساليب النحوية السليمة الفصيحة، قدر المستطاع، وفقه الله ورعاه.

والله ولي التوفيق، ومنه السداد والإصابة في كلّ شيء.

**القسم الأول: الشاعر الرجل: من المهد إلى اللحد.**

هو أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني[١]، نسبه أكثر أصحاب التراجم إلى جرجان[٢]، وترجم له صاحب **الخريدة** في القسم العراقي[٣]. كان الجرجاني أحد أصحاب الشيخ عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ)، وكذلك سمع من أبي سعد ابن رامش، وأبي نصر ابن رامش المقرئ، وأبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي[٤]، وسمع أيضًا من الشيخ أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة[٥].

عاش الجرجاني في القرن الخامس الهجري، وإلى سنوات متأخرة من هذا القرن؛ إذ كان في حياة الحافظ عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري (ت ٥٢٩هـ)[٦]، كما يبدو من شعره أنه عاش طويلاً، وعاشر أُناسًا من طبقات المجتمع المختلفة، ووصف هذه الطبقات، وهجاها في بعض الأحيان.

صـنّف الجرجاني كتبًا مهمة وقيِّمة، إلا أنها لم تصـل إلينا، وقد شـهدت له كتبه هذه بالعلم والأدب والفضل على التأليف والبراعة فيه. ومن تصانيفه[٧]:

١- **قلائد الشرف في الشعر**. وهو المصدر الوحيد الذي يذكره الباخرزي في **دُميتـه**[٨]. وأنّه كان عونًا له في تأليف **الدمية**، وترتيب تراجمها وأشـعارها. كما كان مصدرًا مهمًا من مصادر البيهقي في كتابه **تاريخ بيهق**.

٢- **عروق الذهب من أشعار العرب**.

٣- **البيان في علوم القرآن**.

٤- **سلوة الغرباء**.

ولعلّ قابل الأيام تُطلعنا على مخطوط، أو أثرٍ من هذه الآثار العلمية النفيسة، فيجعلنا فخورين بعالمٍ وأديبٍ ومصنّفٍ يستحق منا أكثر مما أُعطي بكثير.

كان أبو عامر في جرجان سـنة أربع وأربعين وأربع مائة، حين زاره الباخرزي فيها[٩]. وورد الجرجاني نيسـابور[١٠] سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وشكا حاله واعتلاله إلى الشـيخ الرئيس الشـهيد أبي المحاسـن سـعد[١١]. ويبدو أنّه لم يهنأ بهذا المُقام في هذه المدينة، فرأيناه يذمُّها وأهلَها في شعره ذمًّا قبيحًا[١٢]!

وأما في غزنة[١٣]، فالتقى شـاعرنا وأديبنا الشيخ الأجل عبدالحميد، وأهدى إليه مصنفاته[١٤] التي ذكرناها آنفًا.

ولا نعلمُ جليًّا ما إذا كان الجرجاني قد زار حلب الشهباء؛ لأن أحد نصوصه تشير إلى مدحه أميرها شبل الدولة (نصر بن صالح بن مرداس)، لما هزمَ ملك الروم أرمانوس آنذاك، في سنة ست وعشرين وأربع مائة[١٥].

حـاز الجرجاني ثناء كلّ من ترجم له، فنعته الباخرزي في **دميته** بـ: الشـيخ الإمام، وقال فيه: «نادرةُ العصر، وناقدةُ الدهر، وريحان الروح، وظرف الظرف، وقرّة الطرف»[١٦].

وقال عنه ياقوت الحموي في **معجمه**: «أديب أريب فاضل لبيب، أحد أصحاب عبدالقاهر الجرجاني النحوي، كان مليح الخط، صحيح الضبط، رائق النظم، فصيح النثر، جيد التصنيف، حسن التأليف»[١٧].

ووصفه صاحب **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور** بقوله: «الأديب الكاتب الشاعر، من أفاضل عصره، وأفراد دهره، حَسَن النظم والنثر، متينٌ في الفضل، صحب الكبار»[١٨].

وقال عنه الصفدي: «كان أديبًا، أريبًا، فاضلاً، مليح الخطّ، صحيح الضبط، حسن التأليف، له نظم ونثر»[١٩].

من هنا، ومن هذي الأوصاف والنعوت كلّها، كان اهتمامنا بشعر أبي عامر الجرجاني وأدبه، الذي لو قدَّر الله له ووصل إلينا كاملاً مع كتبه، لكان من أُدباء وبلغاء ومصنفي القرن الخامس بلا مدافع، ومن شعرائه وشيوخ العلم فيه بلا منازع.

**شعر الجرجاني (دراسة تحليلية نقدية):**

**١- شعر الجرجاني (دراسة في الأغراض والاتجاهات الموضوعية):**

إنَّ السابر لنصوص الجرجاني الشعرية، ليجد أنه طرق الأغراض الشعرية كلَّها، فنظم في المديح، وفي الغزل، وفي الوصف، وفي الهجاء، وفي الحكمة.

وكان جُلُّ شعره من المقطوعات، ما خلا قصائد إحداهُنَّ في مدح الشيخ أبي الفضل، الذي لم نعثر له على ترجمة، وأُخرى في وصف هرّة، جاء فيها الوصف بلطائف المعاني، ومبتكرات الصور، وإتقان الفن والنظم، وثالثة في الهجاء.

ووشّحت أغلب مقطوعات شاعرنا الجرجاني بتجربته الحياتية، ولاسيما في غرض الهجاء في شعر العصر العباسي الثاني؛ إذ أبان هذا الغرض، ومن خلال مقطوعات الجرجاني فيه، عن مدى الفحش والقُبح والإسفاف في المعاني

المبتذَلة التي شـاعت في هذا العصـر، وذكرها مؤرخو الأدب العربي ودارسوه في كلّ مكان، فغرضُ الهجاء هنا ترجَم الواقع المرير الذي عاشه الأدباء والشعراء في هذا العصـر. وحكى قصته مع مجتمعٍ متحلِّل، عانى الكثير حتى سقط بيد الدول الأُخرى، وانتهى نهاية مأسـاوية، يراها الكثيرون مستحقة نتيجة تدني الأخلاق، وتراجـع الآداب، وتـرك الديـن، عما كانت عليـه الدولة الإسـلامية والعربية في عصورها الأولى.

أغراض الشـاعر الجرجاني متداوَلة ومفهومة، وهو لا يألو جهدًا في التعبير عن تجربته الشـعرية، وما لاقاه في حياته. ولا يعني أنّ شعره من المجون والفحش فقط، بل له في المدح معانٍ مسـتملَحة، وفي الوصف أفكار مبتكَرة، وله في الحكمة والنصح ما يجعلنا نقف أمام شعره بالثناء والإحسان.

في المديح يتوجّه الجرجاني إلى ممدوحه بالصدق والعرفان. ويُخبر ممدوحه أنّه من يدلُّ عليه، لفضـله بين الخلق، بل إنّ حياتهما ـ هو والممدوح ـ لا تكونان إلا معًا، وهذه سِـمة الجرجاني، الذي يفخر بنفسـه ونسـبه أمام ممدوحه، كما في قوله في خاتمة قصيدته المدحية في أبي الفضل، أدام الله علوَّه:

| | |
|---|---|
| أدلُّ عليكَ إدلالَ الموالي | فلا نُكرٌ لديكَ ولا تعدّي |
| وتلكَ مزيةٌ لي ليسَ تخفى | ورثتُ مكانها من ابي وجدّي |
| فعشْ ألفًا معي في خيرِ حالٍ | وألفًا بعدَها ألفانِ بعدي |

وله أيضًا مقطوعة في المديح، ينعت ممدوحه بملك المشارق والمغارب! ويسبغ على هذا الممدوح صورة يستحق فيها أن يكون متألّقًا، ألمعيًا، ذا شأنٍ وسمعة. كما في قول الجرجاني:

| | |
|---|---|
| ملكَ المشارقَ والمغاربَ كُلَّها | بصريرِ أرقمَ ليسَ كالمنسابِ |
| لم يشْقَ في سننِ الترابِ وإنما | يستنُّ بينَ أناملٍ أترابِ |

ومن البداهة أن يكون هذا الممدوح من أصحاب المعالي في التأليف، أو من المشايخ في وزارة القلم، وأرباب الأدب والتأليف[٢٠].

في الوصف، وهو الغرض الثاني الذي أقف عنده في شعر الجرجاني، يأتي مميَّزًا، ومهمًّا أيضًا. فلقد استضاف أهلُ الأدب وأصحاب التراجم والمختارات شعر الجرجاني في هذا الغرض، وأسبغوا عليه لمحاتهم النقدية، من قولهم: أبكار معانيه، ولم يُسبق أحدٌ إلى مثل قوله، وكان غوَّاصًا على المعاني... وهلمَّ جرًا.

وتقفُ قصيدته في وصف هرة من روائع ما قاله شاعرنا الجرجاني في الوصف. أسلوب السرد والتصوير هما اللذان طغيا على هذا النص؛ فالجرجاني يسرد علينا علاقته مع هذه الهرة، وكيف كانت تعيش معه بفكاهة ودعابة. وهي من استولت على اهتمامه، بل ومشاعره وقلبه، كما في قوله:

**وإذا حككتُها، لحستني بلسانٍ كالمبردِ المسنونِ**
**وإذا ما جفوتُها، استعطفتني بأنينٍ من صوتِها ورنينِ**

على أنّ هذه الدعابة وهذه الفكاهة لا تخلو من خاتمة في النصح والإرشاد، وتَذَكُّر الموت والرحيل عن الدنيا الفانية، والاستعداد للقدر الذي يأتي على الإنسان في أحواله كلِّها، فينسى ما كان فيه، وما عَرفَ في الدنيا، وما عاشه فيها، على مثل خاتمة الجرجاني في نصه هذا:

**وكذاكَ الأقدارُ تفترسُ المَرْ ءَ وتغتالهُ بقطعِ الوتينِ**
**بينما كان في نشاطٍ وأُنسٍ إذْ سقاهُ ساقٍ بكأسِ المنونِ**

وله مقطوعات في الوصف مستملَحة، وعليها آثار الصنعة. فهذا الفن يحتاج إلى رسم دقيق، وفرشاة ماهرة لتأتي الأوصاف كما في الطبيعة، ولتجلب إليها القارئ والمتلقِّي. ومن تلك المقطوعات الوصفية التي جاءت في شعر الجرجاني قوله في النرجس:

**يا نرجسًا لم تعْدُ قامتُه سهمَ الزُمرّد حينَ ينتسبُ**
**فرصافهُ عظمٌ وقُذَّتُهُ قِطع اللُّجَيْن وفوقهُ ذهبُ**

وله أيضًا مقطوعة يصف فيها الرُّمّان:

خذوا صفةَ الرّمانِ عنّي فإنّ لي لسانًا عن الأوصاف غير قصيرِ
حِقاقٌ كأمثالِ الكُراتِ تضمّنَتْ فصوصَ بلخشٍ في غشاءِ حريرِ

تذكرنا أوصاف الشاعر هذه بأوصاف الشعراء الأندلسيين في طبيعتهم الغنّاء، وما قالوه في مظاهرها وجمالها بصدق وعفوية وحُسن تعبير.

ويتداخل في غرض الوصف عند شاعرنا الجرجاني الغزل بمعانيه، والهجاء بمناحيه أيضًا. والباصر لشعره المجموع هذا يرى تعالق هذه الأغراض فيما بينها في شعره تعالقًا حميمًا، يؤدي الغرض، ويرسم الصور، ويبني مقطوعاته بناءً لغويًّا وفنيًّا مُحكمًا.

وأما عن الهجاء في شعر الإمام الشيخ أبي عامر الجرجاني، فيا رأيتَ!! ويا ليتَ أنّه تجافى عنه، ولم يوغل فيه. فكان الشيخ فيه ليس شيخًا، والإمام به ليس إمامًا، ولربما كانت له ظروف أجبرته على الخوض في هذه المعاني الفاحشة، والألفاظ النابية كثيرًا عن الذوق والحشمة والأدب والخُلُق، أو - كما ذكرت سلفًا - كانت هذه سنّة العصر الأدبية، ومنهج الشعراء العباسيين فيها. فالجرجاني ممن أوغلوا في هذا المنهج، وطبّقوا هذه السنّة المبتدَعة أحسن تطبيق، ولعلّ في مقطوعاته التي قالها في الهجاء الفاحش، والذمّ الساقط، ما يكفينا همَّ البحث في هذه السنّة التي شاعت في العصر الجرجاني، وعند أغلب شعراء وأدباء هذا العصر، وللأسف الشديد.

وليست جميع مقطوعات الجرجاني في الهجاء الفاحش المقذع، فله من الأهاجي الظرف، ذات المعاني الطرف، يَحسُن أن نذكر بعضها في دراستنا هنا.

ومن ذلك قولُهُ يذمُّ شخصًا لجهله:

فلا تعجبَنَّ بتذهيبه إذا كنتَ بالفضل لا تُعجبُ
فإنَّ تذاهيبَهُ تذهبُ وشيطانُ جهلِكَ لا يذهبُ

وقوله في هجاء خطيب بأستراباذ[٢١]:

أما تستحي ويكَ من منظرِكْ ومن سوءِ ما شاعَ من مخبرِكْ
وتزعمُ أنّكَ أنتَ الخطيبُ فلِم يخطبونَ على منبرِكْ!

ويرسم صورة ساخرة لأهل نيسابور، وهو يهجوهم، ويتداخل هنا الوصف مع الهجاء في بناء المقطوعة، ورسم صورها، وتشكيل ألفاظها، بلُغة حسنة تميلُ إلى التراث اللغوي من قصائدَ قيلت قبل عصر الشاعر. فلنستمع لقوله في نيسابور وأهلها:

أرى أهلَ نيسابورَ كالمعدن الذي ينالُ الجَدا منهُ بحفر المعاولِ
إذا فزعوا كانوا بُغاثًا مُسفّةً وإن أمِنوا طاروا بريشِ الأجادلِ

وأما عن الغزل، الغرض الآخر الذي جاء في شعر الجرجاني وبين مقطوعاته، أقول فيه: الجرجاني كان ماهرًا في هذا الغزل، ورأيته من بعيد يحنُّ إلى تجربة الغزل الغلماني، ويريد الوقوع فيها، لعلّها تجربة شعورية، أو من قبيل الصنعة الفنية، والتفوق على مَن نَظَم فيها أولاً من أبناء عصره ولِداته. وهذا العصر المشهور بهذا النوع من الغزل، والمتفوق فيه... ومع هذا وذاك، يُعجب القارئ والمتلقي بغزليات الجرجاني وخمرياته التي جاءت معه، وهي للوصف فقط، ولتداخل الغرضين معًا ليس إلا. ومن ذلك قوله في شادن:

نفسي الفداءُ لشادنٍ بلواهُ عندي تُستحبُّ
فإذا بلوتُ خلالَه فالماءُ يُشربُ وهو عذبُ

ويوغل الجرجاني معه في تجربة تقرب إلى الحسية والتكشُّف في الغزل:

وإذا نضوتُ ثيابَهُ فاللوزُ يُقشرُ وهو رطبُ
وقصارُ وصفي أنهُ فيما أُحبُّ كما أُحبُّ

ومن مقطوعاته التي تتداخل فيها الخمرة من الغزل، قولُه: واستنهضَ غلامًا ليأتي بها، وعلى عُجالة، وقد مضى الأنذال ودولتهم، وآن له الصحو والفرح والطرب، ومثل هذه لا تكون إلا مع شرب الخمر، وإلا من يد هذا الغلام، كما في قوله:

قُمْ يا غلامُ فهاتِ الراحَ بالعجلِ فقد مضتْ دولةُ الأنذالِ والسّفَلِ
وليسَ في الصحوِ لي عذرٌ ألوذُ بهِ من بعدِ ما بسطَ الأقبالُ من أملي

وتظهر في مقطوعات الجرجاني الغزلية الأوصاف الحسية للمتغزَّل به، كما تظهر في هذه المقطوعات معاني الصدّ والردّ والنفور من قبل المعشوق للعاشق. كما في قوله:

خدُّه الياسمينُ والخطُّ فيه سُنبلٌ نابتٌ على ياسمينِ
سُمته قُبلةً فقالَ تحرَّزْ بينَ صَدغي عُقدَتا التنينِ

ومن العجيب أن نَرى الجرجاني يمزجُ الغزل بالحكمة والنصح، كما في قوله:

ونائمٍ عن سهري قالَ لي وقد طواني حبهُ طيا
أأنتَ حيٌّ بعدُ؟ قلتُ: انتبهْ فالميْتُ في النومِ يُرى حيّا

وهذا عائدٌ إلى ثقافته الدينية، وإلى طلبه العلم وسماعه على شيوخ كبار، عُرفوا بالتقوى والورع والدين وحسن الخُلق.

وجاءت في مقطوعات أبي عامر الجرجاني بعض من الأغراض المستحدَثة؛ كشعر الحكمة، ومعاني الشكر، فضلاً عن مدحِ الكتبِ والثناءِ على مؤلفيها. فالحكمةُ اتجاه ظهر مع الرثاء أولاً، ومِن ثَمَّ استقلّ بنفسه ومعانيه، وأفكاره، وألفاظه. ومن قول شاعرنا الجرجاني فيها:

عوِّدْ لسانكَ أن يليـ ـنَ على الخطابةِ والخطابِ
وتعهّدِ الفكرَ الجديـ ـدَ بصونهِ في كلِّ بابِ
فتأكُّلُ السيفِ الصقيـ ـلِ بطولِ لبثٍ في القرابِ

فأنت ترى كم هي عميقةٌ هذه المعاني، وكم يتضح فيها أثر الفلسفة الحياتية المعيشة، وكم تنتهي بتشبيه يوافق ما يريده الشاعر. إنَّك تضعُ نفسك من خلال حكمة الجرجاني ونصيحته أمام الحياة بتعويد اللسان على الكتابة والتأليف، وعلى بذل السعي لمعرفة كل ما هو جديد في العلم والفكر، وإلا ستُنسى وتمحوك

الأيام، كما هو السيف الذي يبقى في غمدهِ حتّى يصدأ ويتآكل، ولا يذكره أحدٌ مهما كان لمعانه وبريقه، وقوة صناعته.

ومن حِكَمه أيضًا قولُهُ في طلب الرزق من الله وحده، والحذر من الدهر وتصاريفه الذي قد يغدر بالإنسان، ويجعله يمدُّ يده إلى غير الله عزَّ وجلَّ؛ يقول الجرجاني:

**استرزقِ اللهَ فالأرزاق في يدهِ ... ولا تَمُدَّ إلى غيرِ الإلهِ يدا**

**وحاذرِ الدهرَ أن يلقاكَ منفردًا ... فمهرقُ النّردِ مأخوذٌ إذا انفردا**

ومن أغراضه التي رأيناه مستحدثة القول في معاني الشكر[٢٢]، لبعض من أراد الجرجاني شكره. وأيضًا يفيض الجرجاني على نفسه بالفخر والشموخ لهذا الشكر، ويذكر لمن أراد أن يشكره صورة الظبي الجواد الذي لا فائدة منه أو فيه بلا أرض المرعى الجميلة الطيبة. فلا فائدة من المعروف ومن العمل الصالح إلا بشكره، وشكر صاحبه، وهذا من طيب الأخلاق، وصدق المحتد.

وأمّا عن مدح الكتب والثناء على مؤلفيها، فللجرجاني مديح زاهر لكتاب **دُمية القصر وعُصرةُ أهل العصر** للباخرزي، هذا الكتاب الذي رآه يستحق الثناء والمدح العاطرَيْن؛ لما فيه من ميزاتٍ حسانٍ، وخصالٍ جنانٍ في التأليفِ والتنظيم وحفظ الشعر والأدب، كيف لا وهو في التراجم، وفي المختارات الشعرية، وفي المختَارات النثرية، ولعلَّ الجرجاني أسهم بشكل كبير في تأليف هذا الكتاب الخالد، وإتمام مادته الأدبية والعلمية، كما يشهد مؤلفه الباخرزي بنفسه، وكما ذكرتُ ذلك من قبل، وذكره محققو الكتاب، ومن درسه، وألّفَ فيه. يقول الجرجاني في مدح كتاب **الدُمية** وذكر محاسنه، ومحاسن تأليفه:

**ما دُميةُ القصرِ إلا روضةٌ أُنُفٌ ... تحوي محاسنَ أهلِ البَدوِ والحضرِ**

**من كلِّ لفظٍ كنظمِ الدُّرِّ مخترَعٍ ... وكلّ معنىً كنفثِ السحرِ مُبتكَرِ**

**أبقتْ أسامي من فيها مُخلَّدةً ... منقوشةً بينَ سمعِ الدهرِ والبصرِ**

ولا ينسى الجرجاني أن يمدح مؤلف **الدُمية**، ويدعوه إلى أن يصل إلى هذا السفر الخالد إلى كل أرجاء المعمورة لنفاسته وقيمته العلمية والبحثية، كذلك لعظيم شأن هذا الرجل، وعظيم فضلته وصنيعه بهذا الكتاب. يقول الجرجاني:

**فذاكَ يدعو عليًّا أن يشيِّعَها ... بكلّ باهرةٍ أضْوا من القمرِ**

**فهو الإمامُ الذي تندى خواطرهُ ... بكلّ معجزةٍ تعيا على البشرِ**

تلكم كانت أهم الأغراض والاتجاهات الموضوعية التي جاءت في شعر الإمام والشيخ أبي عامر الجرجاني. شعره مليح، في أغلبه سمات الفكاهة والدعابة والهزل، لكنه لا يخلو أيضًا من الحكمة والموعظة والنصح والإرشاد. وكما لا يخلو من أوصاف مستملَحة، وغزليات رقيقة نظمها شاعر يُحسن إلى حدٍ كبير صنعته، ويتقنُ فنّه، فتواردت الكتب هذه المقطوعات، وصدَّرتها بلطائف العبارات، ولذائذ الإشارات التي تدلُّ على عَلم وعالم ومصنفٍ وشاعرٍ وأديبٍ، يستحق منّا البحث عن آثاره، ودراستها وإخراجها للمكتبة العربية الأدبية في القرن الخامس الهجري.

**٢- شعر الجرجاني: (دراسة في السمات والخصائص الفنية):**

في هذه الدراسة سأركّز الحديث عن بعض اللمحات الفنية، والصور المتقنة في شعر أبي عامر الجرجاني. فما الشعر إلا التشبيه والاستعارة والكناية والخيال. وما هو إلا الأوزان والقوافي والرَّوِي. ولو أنّ في شعر الجرجاني الميلَ إلى الأوزان المجزوءة، أو الأوزان النثرية كالمنسرح، وفي شعره القوافي النادرة كالصاد، والهمزة مع الهاء.... وأمّا من حيث البناء الهيكلي للنص الشعري عند الجرجاني، فقصائده الواردة في هذا المجموع بُنيت بمهارة، وجسّدت - ولا سيما في قصيدته في وصف الهرّة - صورةً كليةً قائمةً على السرد، وتتابعِ المشاهد.

وأما في باقي نصوصه، وهي المقطوعات، فبناؤها متماسك، ولغتها مسبوكة،

فيها نظرٌ من طرف خفيٍّ إلى تراث الشعراء العرب في الجاهلية والإسلام.

وأما عن صوره، فأحيانًا تقوم على الصور الواقعية التي تستند إلى النظر المباشر، وفيها يركّز شاعرنا على الألوان، أو على موحياتها، كما في مقطوعته التي وصف فيها النرجس[٢٣]؛ إذ فيها صورة مزجت بين الطبيعة وبين سمات أدوات الحرب، ولاسيما السهم ونصله وموضع الوتَر منه.

وهناك الصور التي تقوم على التلاعب اللفظي، وهي لا تخلو من خيالٍ تأليفي قائم على الألفاظ وحُسنِ استخدامها، ودقّةِ معانيها، كقول الجرجاني يتغزّلُ:

وقصارُ وصفي أنّهُ ... فيما أُحبُّ كما أُحبُّ

وقولُهُ يهجو:

فلا تعجبَنَّ بتهذيبهِ ... إذا كنتَ بالفضلِ لا تُعجبُ

فإنَّ تذاهيبهُ تذهبُ ... وشيطانُ وجهِك لا يذهبُ

وقولُهُ في خاتمة قصيدته في المديح:

وأنتَ الفردُ مكرمةٌ فكنْ لي ... تكنْ فردًا بلا شكٍّ لفردِ

نرى هنا صور الجرجاني قامت على الألفاظ وتكرارها بين الشطرين. وهي صورٌ خياليةٌ تأليفيةٌ، كذلك أسهمت في تشكيل الإيقاع المتحرك للأبيات والمقطوعات الشعرية من خلال فنون البديع، كالجناس، والتصدير، والتكرار.

وتأتي الصور الساخرة الهزلية ما بين صور الجرجاني الشعرية. وهي تلكمُ الصور التي جاءت في غرض الهجاء، والتي يلحظها القارئ في مجموعه الشعري هذا. فهي صورٌ نُسجت بخيال بارع، قصدُها النيل من المهجو، وإضحاك الناس عليه، ورسم التفكُّه والدعابة لمن يقرأها، أو يقرأ شعر الجرجاني. ومن المؤكد أن مثل هذه الصور، ومثل هذا الهجاء إنّما أُخذا عن واقع معيش، ولاسيما في الأماكن والمدن التي رحل إليها الجرجاني، أو سمع بها، أو عنها وعن القائمين بها، فالشعر شعورٌ ومشاعر، مهما كان فاحشًا، أو بذيئًا، أو ماجنًا، أو خليعًا.

ومن الصور التي جاءت في شعر شاعرنا أبي عامر الجرجاني: الصورة القائمة على التشبيه الضمني. وهو تشبيهٌ عقلي غايته الجمع بين طرفي التشبيه بلا رابط. وتبدو فيه مقدِرة الشاعر على الإتيان بصورتين معًا، في مضمون واحد، وفي فكرة واحدة، وفي تعبير لفظي ولغوي واحد؛ كقوله:

لا تُنكرنْ حقَّ الأديـ ب لأنْ تعرّى من ثيابِهْ

فالسيفُ أهيَبُ ما يكو نُ إذا تجرّدَ من قِرابِهْ

فالأديب لا ينكَر فضله على الناس، وإلا كان لهم بالمرصاد من الهجاء والسخرية، كالسيف إذا خرج من غمده وسُلَّ أمام الأعادي. ونلحظ أن الربط بين صورتين حسِّيَّتين من خلال هذا النوع من التشبيه الذي يُعمِلُ فيه العقل، ويحتاجُ دائمًا إلى التأويل والتأمل.

وعن الألوان ودلالاتها وكيفية استخدامها في رسم صورة الجرجاني، فحدّث عنها ولا حرج؛ إذ رأيتها في أغلب نصوصه الشعرية، ولاسيما في الوصف والهجاء والغزل، وأحيانًا يقوم النص عليها قيامًا تامًّا. وتؤدي ما يريده الشاعر من أفكار ومعانٍ يرومُ إيصالها إلى المتلقي. كما في قوله واصفًا:

يا رُبَّ كوماءَ خَضبتُ نَحرَها بمديةٍ مثلَ القضاء السابقِ

كأنّها والدّمُ جاش حولها سوسنةٌ زرقاءُ في شقائقِ

وشبيهُ ذلك، قولُه أيضًا:

أصبحتَ مثلَ عطاردٍ في طبعهِ إذْ صرتَ مثلَ الشمسِ في الإشراقِ

فلذاكَ ما ألقاكَ يومًا واحدًا إلا قَضيتَ عليَّ بالإحراقِ

فنلحظ جليًّا أن الألوان هي التي أقامت النص، ورسمت الصور، وبعثت الخيال، وأحدثت كل هذا التأمل في التشبيه، ولاسيما الطبيعة المتحركة في (الحيوان) في النص الشعري الأول، وعناصر الطبيعة الفلكية (الكواكب) في النص الشعري الثاني.

في نهاية حديثي عن الدراسة الفنية لنصوص الجرجاني الشعرية، أُحبُّ أن أقف في شعره على ظاهرة محاكاته للفواصل القرآنية، وشدة تأثره بهذه الفواصل في الألفاظ واللغة والإيقاع، فضلاً عن تأثير النص القرآني على الشاعر وشعره، ومن ذلك قوله في الهجاء لقوم استاء منهم كثيرًا على ما يبدو في حياته:

**ألم ترَ أنّي ذممتُ الزمانَ لخسّةِ نابتةٍ ناشيهْ؟**

**وأصبحتُ في جانبٍ منهُمُ كما أُخِذَ الرُّخُ في الحاشيهْ**

**أُمزّقُ أعراضَهم دائبا كما وقعَ الذئبُ في الماشيهْ**

وهكذا في باقي أبياته الشعرية في هذا النص، الذي تأثر كثيرًا بفواصل القرآن الكريم وآياته، وفيه أيضًا لزوم ما يلزم - كما نلحظ - زاد من وقع الجرْس مع الشين والهاء الساكنة، لتكون أكثر تأثيرًا في المتلقِّي، وأشدّ إيلامًا في المهجوِّين، وذمِّهم بما يستحقون.

وكذلك برز مثل هذا التأثير في قولِه في الغزل:

**ونائم عن سهري قالَ لي وقد طواني حُبُّهُ طيا**

**أأنت حيٌّ بعدُ؟ قلتُ: انتبهْ فالمْيتُ في النومِ يُرى حيّا**

التأثر بالقرآن الكريم واضحٌ هنا في فواصله وألفاظه، وكذلك تتضح العقيدة الإسلامية في الرؤية وملابساتها مع نصّ الشاعر الجرجاني، بما يعكس الثقافة الإسلامية من وجوهها جميعًا.

فلقد ترك مثل هذا الأثر الإيقاعي نغمًا مطربًا في شعر الجرجاني في مثل نصوصه هذه.

**القسم الثاني: عمل المحقق في صنعة شعر أبي عامر الجرجاني:**

- جمعتُ شعر الجرجاني من شتيت المظانِّ التي ترجمت له ولسيرته، وروت هذه الأشعار.

- رتّبتُ هذا المجموع المتناثر من شعره في وحدات شعرية بتسلسل رقمي، وأثبتُّ البحر الشعري مع كل وحدة، ورقمت أبياتها ترقيمًا متسلسلاً.

- ألحقتُ بالوحدات الشعرية المجموعة والمصنوعة حقلاً للشروح والتعليقات التي يحتاج إليها القارئ لمعرفة ما في البيت الشعري من لبس أو غموض. كما ألحقت حقلاً آخر أثبتُّ فيه اختلاف الروايات للبيت الشعري في نص الجرجاني، وبحسب المظانّ التي روت أبياته ونصوصه.

- اعتمدت على تحقيقين لكتاب **دُمية القصر** للباخرزي، وهو الكتاب الأول والأهم في رواية شعر الجرجاني وتدوين أبياته. التحقيق الأول، الأصل والأقدم والسابق لأستاذي المرحوم الدكتور مكي العاني. والتحقيق الآخر، للدكتور محمد التونجي، وفيه ارتباك كبير في رواية شعر الجرجاني وتدافعها وأشعارها مع شعر عبدالقاهر... ضِلَّةً.

- صدَّرت المجموع بدراسة عن الشاعر وهويته المعرفية والثقافية والفكرية، فضلاً عن دراسة لشعر الشاعر من النواحي والأغراض والاتجاهات الموضوعية، والسمات والخصائص الفنية.

**القسم الثالث: شعر أبي عامر الجرجاني، صنعة وتوثيق:**

**(قافية الهمزة)**

**(١)**

وله في غرض اقترح عليه، وسُئل أن ينظم في معناه هذه القوافي: (الرمل)

**١- أُمُّ عياشٍ فتاةٌ خُبأهْ ... ضروةٌ عاديةٌ كالّلبؤهْ**

**٢- زولةٌ إنْ وعدتنا زورةً ... أنجزتها، فعليها تُكأهْ**

**٣- كلَّما رمتُ مبيتًا عندها ... طلبت مني صعودَ المربأهْ**

**٤- وإذا جاملتها في حجرِها ... فضحتني بصياحِ الحدأهْ**

٥- **لو بأيرِ الفيل (...)[**] لم تكنْ مـع أيــرِ الـفـيـلِ إلا هــزأهْ**

٦- **ما لنا لسنا نرى أولادَها غـيرَ حبسٍ أو لـئـيـمٍ زُكـأهْ**

(١) التخريج والتوثيق: **دُمية القصر وعُصرة أهل العصر**، تحقيق: د. سامي: ٢٦/٢-٢٧، وتحقيق د. التونجي: ٥٩٣/١.

**الشروح والتعليقات:**

١- الخبأة: المرأة التي تلزم بيتها وتستتر. والضروة: الكلبة الضارية.

٢- الزولة: المرأة البرزة، وقيل: الفطنة الراهية أو الخفية.

٣- المربأة: المرقبة.

٦- زكأة: موسر كثير المال.

اختلاف الروايات:

٦- في تحقيق د. التونجي:

**ما لنا لسنا نرى أولادَها غـيرَ جبسٍ أو لـئـيـمٍ زكـأة**

والجبس: الجبان، وقيل: الضعيف اللئيم.

**(للبحث صلة)**

الهوامش:

(*) كلية التربية الأساسية في جامعة الأنبار/ العراق.

(١) تُنظر ترجمته في: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١٥/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٦٨/١، **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣، **معجم الأدباء**: ٢١٦٦/٥، **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**: ٤٥٢، **الوافي بالوفيات**: ١٨/٢٤، **بغية الوعاة**: ٢٤٥/٢، **طبقات المفسرين**: ٣٢/٢، **كشف الظنون عن**

**أسامي الكتب والفنون**: ٢٦٣/١، **هدية العارفين**: ٨١٩/١ (وفيه سنة وفاته ٤٤٥هـ، وهو سهو من المؤلف)، **معجم الشعراء العباسيين**: ٢٦٦.

(٢) يُنظر: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١٥/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٦٨/١، **معجم الأدباء**: ٢١٦٦/٥، **الوافي بالوفيات**: ١٨/٢٤، **بغية الوعاة**: ٢٤٥/٢.

(٣) يُنظر: **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣.

(٤) يُنظر: **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣، **معجم الأدباء**: ٢١٦٦/٥-٢١٦٧، **المنتخب من كتاب السياق لنيسابور**: ٤٥٢، **الوافي بالوفيات**: ١٨/٢٤.

(٥) يُنظر: **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣.

(٦) هو أبو الحسن عبدالغافر بن إسماعيل بن عبدالغافر... الفارسي الحافظ، كان إمامًا في الحديث والعربية، وقرأ القرآن الكريم، ولُقِّنَ الاعتقاد بالفارسية وهو ابن خمس سنين، صنّفَ كتبًا عدة؛ منها **المفهم لشرح غريب مسلم**، و**السياق لتاريخ نيسابور**، و**مجمع الغرائب**، في غريب الحديث... وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وأربع مائة، وتوفي في سنة تسع وعشرين وخمسمائة بنيسابور. ينظر: **وفيات الأعيان**: ٢٢٥/٣.

(٧) ينظر: هامش رقم (١).

(٨) ينظر **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١٥/١ (مقدمة المحقق).

(٩) ينظر: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي١٨/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٦٨/١.

(١٠) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فصائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء. سُمّيت بذلك لأن سابور مرّ بها، وكان المسلمون فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: **معجم البلدان**: ٣٣١/٥-٣٣٣.

(١١) ينظر: **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣.

(١٢) ينظر: النص الشعري رقم (٣٧).

(١٣) غزنة: مدينة عظيمة، وولاية واسعة من طرف خراسان، وهي الحدُّ بين خراسان والهند. وقد نُسبَ إليها ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من العلماء. ينظر: **معجم البلدان**: ٢٠١/٤.

(١٤) ينظر: **خريدة القصر**: ٣٤٣/٣.

(١٥) ينظر: **كنوز الذهب في تاريخ حلب**: ١/ ١٩٢.

(١٦) ينظر: **دُمية القصر**، تحقيق: د. سامي: ١٨/٢، تحقيق: د. التونجي: ٥٦٨/١.

(١٧) ينظر: **مُعجم الأدباء**: ٢١٦٦/٥.

(١٨) ينظر: **المُنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**: ٤٥٢.

(١٩) ينظر: **الوافي بالوفيات**: ١٨/٢٤.

(٢٠) تنظر مقطوعاته المدحية: ٢٩، ٣٣.

(٢١) أستراباذ: بلدة عظيمة كبيرة مشهورة أخرجت خلقًا من أهل العلم في كلّ فن، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان. ينظر: **معجم البلدان**: ١/ ١٧٤-١٧٥.

(٢٢) ينظر: النص الشعري رقم (١٢).

(٢٣) ينظر: النص الشعري رقم (٢).

(**) **العرب**: حذفنا ما بين قوسين؛ لأنه مما لا يتّسع له صدور بعض القرّاء.

# شعر

# أبي اليُمْن ابن عساكر المكيّ (٦١٤ - ٦٨٦هـ)

(١)

**جمع وشرح وتقديم**

**د. عبد الرازق حويزي**

**توطئة**

يهدف هذا البحث إلى التَّعريف بشاعر مشهور في زمنه، مجهول في زمننا هذا، وهو من شعراء القرن السَّابع الهجري، لم يُعرف له ديوان شعر؛ لذا دَعتِ الضَّرورة إلى تَتَبُّع شعره في المصادر المختلفة لجمعه وتوثيقه وضبطه، وتنسيقه، وشرح غريب ألفاظه، وتقديمه إلى مكتبة التراث الشعري لأول مرة كي تَتَّضح الرؤية الإبداعية لدى شعراء هذا القرن، لاسيما وأنَّه من شعراء البلد الأمين، الذي كان له دورُه الإشعاعي في نشر الثَّقافة الإسلاميّة، فكان لابُدَّ من الاهتمام بتراثه الشِّعري في القرونِ الماضية كي تظهر الاتجاهات الشّعرية المختلفة لشُعرائه، وقد مَثَّل شعر (أبي اليُمن ابن عساكر) اتجاهًا من هذه الاتجاهات؛ ألا وهو الحنين الفيَّاض إلى ملازمة الحرمين الشَّريفين، والتعظيم السَّامي للمشاعر المقدَّسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

لمكة المكَّرمة،العاصـمة المقدَّسـة، أثر ملموس في تحقيق الهويّة الإسـلاميّة، ونشر الإشعاع الثقافي في شَتَّى ربوع البسيطة، وقد ظهر أثرُها جليًّا في هذا المجالِ وفي شَتَّى التَّخَصصات، وتباين المستويات، فهي إحدى المراكز الحضاريَّة المعروفة من قَديم الزمن، وكيف لا، وهي مهبطُ الوحي، ومحطّ أفئدة المسـلمين، ومَقْصِدُ ألبـاب العلماء العاملين، ومناطُ مَرأى نظر النَّاظريـن. وتَتُوق الأنفسُ بين الحين والحين إلى شَدِّ الرِّحال إلى حَرمها لجلاء القلوب من الأصداء، وتصفية الأَرواح مـن الأَدْران، والتَّـزَود من الإيمان، والتّقرب إلى البارئ المصـوّر المنان سـبحانه وتعالـى. يَمَّمَ شـطرَها غيرُ قليل من العلمـاء، واتَّخذوها موطنًا لهـم، بل واتَّخذ بعضـهم المسـجد الحرام سـكنًا له على مـدى ثمانين عامًا لم يخـرج منه، وهذا الأمر وغيره جعل لهذا البلد الأمين مَكانته التي لا تُدانيها مكانة، وصداه في أرجاء المعمورة الذي فاق - ولا يزال - كل صدًى على مَرِّ الأزمان.

ولم يقتصر الأثرُ الحضاريّ للبلد الأمين على الاهتمام بنشر الإشعاع الثَّقافي الإسـلاميّ، فقد تجاوز هذا الأثر في عصـر صدر الإسـلام إلى الإشعاع الأدبيّ، ويَـدُلّ على هذا أن (محمد بن سـلام الجمحي ت ٢٣١ هـ) عدَّ في كتابه **طبقات فحـول الشـعراء** مكة المكرمـة إحدى القرى ذات الآثار الحضـاريّة في عصـري الجاهليّة وصـدر الإسلام، يشـهد على ذلك تميُّزُ إبداعها الأدبي بمميِّزاتٍ ذات أثر في الحركة الأدبية آنذاك، لا يقل أثر المدينة المنورة عنه.

وانطلاقًـا من هـذا أدرك رهطٌ من معاصـرينا دورَ العاصـمة المقدّسـة في التاريخ الأدبي، فبادروا إلى إفراد الدِّراسات التي تُجَلِّي أثرها في الإبداع الشِّعري، يأتي في مقدمة هؤلاء (شوقي ضيف)، الذي ألَّف كتابه **الشِّعر والغناء في المدينة ومكـة لعصـر بني أميّـة**، و(مجدي محمّد الخواجيّ) الذي ألَّف كتابه **الشِّـعر في مكـة المكرمـة والمدينة المنـورة في القرنـين السَّـابع والثَّامن الهجريين: دراسـة موضوعيّة وفنيّة**[1].

وربمـا يتبادر إلى الذّهن أنّ جـذوة الإبداع الأدبيّ لمكة المكرمة قد خَبَتْ، وأنّ قَرائح شُعرائها قد أتت عليها سنواتٌ عجافٌ بعد العصر الأُموي إلى نهاية القرن السَّـادس الهجري. ومِن وجهة نظري المتواضعة أنّ ما يتبادر إلى الذّهن من هذا في غير محلّه! لماذا؟ لعدم وصـول التُّراث الشِّعري العربي كاملاً، وعدم الالتفات إلى تسجيل التُّراث الشعري لمكة المكرمة مُنفردًا، وظهور عدد من الشُّعَراء الذين شـغلوا الدنيـا والناس فَغَطّوا علـى غيرهم، وتنـازع النَّاسُ في أمرهم من دون سواهم، واتحاد الأمّة العربية وتماسكها لعدّة قرون بعد الدّولة الأُمويّة.

وانطلاقًـا من ضـرورة الاهتمام بالتُّراث الشِّـعريّ لمكـة المكرمة جاءت هذه المحاولةُ التي انصـبَّت على جمع ما تبقَّى من شـعر شـاعر حلَّ بها، ولم يغادرها طيلة ثمانية وثلاثين عامًا إلاَّ لشد رحاله إلى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة.

هذا الشَّـاعر هو (أبو اليُمْن ابن عساكر) أحد أعيان القرن السَّابع الهجري المشـار إليهم بالبنان نظرًا إلى عطاءاتهم العلمية التـي أَثْرَوا بها الحياة العلمية فيهـا، وبمـا تخرّج على أيديهـم من علماء أفـذاذ. و(أبو اليُمْن) هذا كان شـيخَ الحجاز في عصـره - كما قيل - قضـى معظم حياته ملازمًا للمسـجد الحرام[٢]، وفي رحابه يلتقيه طلاّبُه، وراغبو التَّزود من الثقافة الإسـلامية، فيسـمعون منه، ويجيزهـم الرّوايـةَ عنه، ويُنشـدهم أشـعاره التي تَسـري فيها نَسـائمُ الإيمان، وتَتَغَلْغَل فيها أرائجُ الإسلام، وتغمرها مدائحُ رسول الأنام ﷺ، وتَتْبَجس شوقًا إلى التَّطْـواف بالأماكن المقدّسـة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهو أحد الشـعراء الذين آثَـرُوا الآخرة الباقية علـى الحياة الفانية، واسـتبدلوا آخرتهم بدنياهم، وهذا واضـح من شـعره الذي ردَّ به على الوزير (ابن حِنَّا) رافضًـا عرضه عليه التّدريسَ في مدرسـته بمصـر، مُؤْثرًا البقاء في مكة المكرمة، تاركًا عرَض الدّنيا الزائل.

ومهما يكن الاختلاف حول شـاعرية هذا الشاعر ومستوى شعره، فإنني أرى

ضرورة إخراج مثل هذ التراث الشعري ووضعه على مائدة الدَّرْسِ الأدبيّ؛ ليظهر أولاً المستوى الشعري لشعراء ذلك العصر، وليتضح ثانيًا المنهج الذي سلكه شعراء المدينة المنورة ومكة المكرمة في تلك الحقبة، ولتظهر طبيعة الموضوعات التي استحوذت على أفئدة الشعراء وعقولهم فيهما، فجالوا فيها شعرًا ونظمًا. وقد مثَّل شعر هذ الشاعر الاتجاه المتوافق مع طبيعة هاتين المدينتين في عمق اهتمامهما بالحياة الدينية، ومحافظتهما على مبادئ الشريعة الإسلامية.

ولا تأتي أهمية الاهتمام بشعر هذا الشاعر من هذا الجانب فحسب، فهناك أمور أخرى حملت الباحث على الوقوف أمامه متأنيًا، يأتي في مقدمتها كثرة ما اشتمل عليه من أسماء الأماكن في الجزيرة العربية بصفة عامة، ومكة المكرمة والمدينة المنورة بصفة خاصة، وكذلك كثرة ما تضمن هذا الشعر من ألفاظ غريبة لم يتداولها شعراء عصره بكثرة، وهو يسلط - من جانب آخر - الضوء على آداب العالِمِ والمتعلِّم، ومنهج الرواية، وإجازات المشايخ لطلاب العلم في عصره.

ثم إن هذه المحاولة تعد امتدادًا لما بدأه بعض العلماء، يأتي في مقدمتهم علامة الجزيرة العربية الشيخ (حمد الجاسر) - أسبغ الله عليه شآبيب رحمته وأسكنه فسيح جناته - في **مجلّة العرب**، ج١٠- ١١، ١٣٨٩هـ تحت عنوان: «الحجاز في القرن السَّابع الهجريّ على ما في **رحلة ابن رُشَيد الأندلسي**»؛ إذ أتى في بحثه على ذكر هذ الشاعر، وأورد ثلاث قصائد من شعره.

وستظلُّ هذه المحاولةُ - إن شاء الله تعالى - أمانةً في عُنق القائم بها، ينظُر فيها المرَّة تلْو المرّة، يضيفُ إليها ما يفتقر إلى إضافة، ويشرح منها ما يستحقُّ الشَّرح، ويعدِّلُ منها ما يحتاج إلى تعديل، غير زاعم أنَّها ضَمَّت كلَّ ما حملته مصادر التُّراث العربيّ من شعر (أبي اليُمْن)، فمِنَ المؤكّد أنّ هناك مصادرَ مطبوعة أو مخطوطة لم تصل يده إليها، من المحتمل اشتمالها على أشعارٍ جديدة (لأبي اليُمْن)، ولكنَّ هذه المحاولة - على كلّ حال - بحصيلتها البالغة (٦٥٨)

بيتًا، أتت لتكشف عن الجانب الشعري عند أحد أعيان مكة المكرمة المشهورين الذين طواهم النِّسيان، ولفَّ ذكرَهم الحدثان، وكان الحافز إليها - إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه - عدم وقوف صاحبها على ديوان مجموع أو مخطوط (لأبي اليُمْن ابن عساكر).

وأنتهز هذه الفرصة السانحة لأتقدم بخالص شكري إلى الدكتور عبدالحكيم الأنيس لتفضله بقراءة هذا البحث وإبداء ملحوظاته التي كان لها دور في ظهوره بهذه الصورة، على الرغم من اشتمال بعض القصائد على بعض الأبيات التي لا يزال الغموض يخيم عليها مع أننا اعتمدنا على مصادرها المحققة.

**أبو اليُمْن ابن عساكر**[٣]

**اسمه وكنيتُه ولقبه:**

يَلزم - قبل التّعريف الموجز بالشّاعر - التَّنويه بالجهد الطَّيب الذي بذله الأستاذ الفاضل (مصطفى عمَّار منلا) في بحثه القيِّم الموسوم بـ«شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزَّائر»، المنشور في الصَّفحات من ١٨٦- ٢٢٥ في العدد الثَّامن من **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوّرة** عام ٢٠٠٤م؛ ففي هذا البحث استقصاء واضحٌ، وعمق في التَّناول، وشموليّة في الطَّرح حول حياة الشّاعر، فقد قام الباحث بجمع كلِّ شاردة وواردة تخصّ أخبار الشّاعر، وساقها في بحثة في ظلِّ منهج محكَم وتوثيق ظاهر، حتى لا يمكن الزّيادة على ما بذل من جهدٍ، ولكن لا بدَّ هنا من التَّعريف بالشّاعر؛ لذا آثرتُ الإيجاز قدر الإمكان، مع تسليط الضَّوء على الخطوط العريضة في حياته، تاركًا للقارئ فرصة الوقوف على تفاصيل الأمور الدّقيقة من خلال الرّجوع إلى البحث السّابق، الذي اعتمدتُ عليه وعلى غيره من المصادر في هذه التّرجمة.

فالشَّاعر هو (عبدالصَّمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله الشافعي)، المكنَّى بـ(أبي اليُمْن)، والملقّب بـ(أمين الدين)، والمعروف

بـ(ابن عساكر)، الدّمشقيّ مولدًا، المكيّ إقامة[٤]، وهو حفيد ابن أخي الحافظ المؤرخ (ابن عساكر)[٥]، مؤلِّف كتاب **تاريخ دمشق**.

ولد في (دمشق) يوم الاثنين، الموافق التَّاسع عشر من شهر ربيع الأول عام (٦١٤ هـ)[٦]، وتأثر بالبيئة الثقافية التي نشأ بها[٧]، فجدَّ في تحصيل العلوم[٨]، وغلب عليه التَّخصص في رواية الحديث النبوي الشريف منذ صغره[٩]. رحل إلى العراق مرتين من أجل طلب العلم ونشْره، مرة عام (٦٣٤هـ)، والأخرى عام (٦٤١هـ)، وتَوَجَّه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحجّ عام (٦٣٥هـ)[١٠]، ثم تَوَجَّه إلى مصر، ونال بها الرُّتبة العُليا، وهناك شارك عام (٦٤٧هـ) في التَّصدِّي للفرنج في عدوانهم على مدينة دمياط[١١]، وأصرَّ على نيل الشّهادة، فاستشهد زميلُه، وجُرح هو[١٢]، ثم توجَّه إلى الحرم المكيّ (٦٤٨هـ)[١٣]، فلازمه كثيرًا للعبادة وإلقاء الدُّروس[١٤]. واستقرّ بـ(مِنى)[١٥] في مكة المكرمة (٣٨) عامًا[١٦] لم يخرج منها إلاَّ لزيارة مسجد النَّبي ﷺ رافضًا ترغيب الملوك له في تقريبهم إيَّاه لأداء مهمّة التّدريس لديهم[١٧].

**شيوخُه وتلاميذه**[١٨]:

دأب (ابن عساكر) على مُدارسة العلم، وحرص على ملازمة شيوخه في عدد من المدن الإسلاميّة العريقة التي رحل إليها، وعددُ شيوخه من الكثرة بمكان، ومثلُهم تلاميذه؛ فقد بذل كلَّ نفيس من أجل تحصيل العلم ونشره، فاستهان بمشاق السّفر إلى حلب، وبغداد، والقاهرة، والإسكندريّة[١٩]، في سبيل التَّزَوّد من العلم والتّقوى، فقد أخذ عن شيوخ كثيرين، أحصى منهم الأستاذ (مصطفى عمّار منلا) ثمانين شيخًا، ذكرهم مترجِمًا لبعضهم[٢٠] في بحثه السَّابق الذكر، فمنهم: جدُّه زين الأُمناء، أبو البركات، الحسن بن عساكر، وأبو محمّد، عبدالعزيز بن عبد السّلام بن أبي القاسم السُّلميّ، أخذ عنه بالقاهرة المعزِّيّة، وأبو العباس، أحمد بن عبد الله المقدسيّ.

وأما تلاميذُه [٢١] فكانوا كثيرين أيضًا، ولا يُستغرب هذا من إمام وهب حياته للعلم والإخلاص في القول والعمل، وتقديم العلم النَّافع، فقد اشتهر في مكة وقصده النَّاس للزّيارة والسماع منه[٢٢]، والرواية عنه، فكَثُر طلاب العلم الذين التَفُّوا حوله، ونهلوا من علمه، وقد أحصى منهم الأستاذ (مصطفى عمّار منلا) سبعة عشر تلميذًا؛ منهم[٢٣]: علاء الدّين بن العَطّار، وابن رُشَيِّد السَّبتيّ، فقد التقاه بمكّة، وروى عنه كثيرًا في كتابه **ملء العيبة**[٢٤].

**مؤلَّفاته**[٢٥]:

ترك (ابن عساكر) مجموعة مِن المؤلَّفات التي تشهد له بالنُّبوغ العلمي، وهي تدور في نطاق الأجزاء الحديثية، وفضائل الأيام والأماكن والأشخاص الذين صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد شهد بعض العلماء بقيمة مؤلَّفاته[٢٦]، منها:

١- **إتحاف الزَّائر وإطراف المقيم للسَّائر في زيارة النَّبي ﷺ**، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ويُسَمّى في بعض المصادر بالزّيارة[٢٧]، وتُحْفَة الزّائر[٢٨]، وغير ذلك[٢٩].

٢- **جزء تمثال نَعْل النَّبيّ ﷺ**: تحقيق: حسين محمَّد علي شكري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م. (طبع مع الجواهر النفاس وجزء حديث أبي عمير)، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم ٤٥٨١.

٣- **أحاديث السَّفر**، تحقيق: رياض حسين الطَّائي، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤م.

٤- **جزء فيه أحاديث شهر رمضان في فضل صيامه وقيامه**، تحقيق: علي ابن حسن، دار ابن عفان، السّعودية، الخُبَر، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٨م.

٥- **حاشية على كتاب الدُّرة الثمينة في أخبار المدينة**[٣٠].

٦- **أحاديث عيد الفطر**[٣١].

٧- **فضائل أم المؤمنين خديجة**[٣٢].

٨- **جزء في ذكر فضائل الصلاة على الرَّسول ﷺ**[٣٣].

٩- **جزء في جبل حراء**[٣٤].

١٠- **مختصر فيه مولد الرَّسول ﷺ**[٣٥].

١١- **غزوة دمياط**[٣٦].

١٢- **الخلق الدَّاثر والمقيم السَّائر**[٣٧].

**شعره:**

لم تذكر مصادرُ التُّرَاث العربيّ ديوان (أبي اليُمْن)، وهذا يدلُّ على أنه لم يجمعه في ديوان مستقل، ولم يحرص أحدٌ من القدماء والمعاصرين على جمعه وتنسيقه وشرحه، ويبدو أنه كان يقول الشّعر بثًّا لشجُونه، وليس تملُّقًا لأحد، وهذه الشُّجون ترفرف حول الهيام بالأماكن المقدَّسة والشَّعائر الإسلاميّة، فنجده يهيم بذكر أماكن الشَّعائر الإسلاميَّة، ويتشوق إليها في روحانية فيَّاضة بالإيمان، وفكر متطلع للخير وثَّاب نحو الهداية، والدَّعوة إلى الإيمان الخالص.

إن شعر (ابن عساكر) في مجمله يدور في فلك النَّزعات الإيمانيّة، ومدح الرسول ﷺ والحرمين الشَّريفين، مع الإكثار من وصف بعض الأماكن في المسجدين إكثارًا يقطع بما أطلق عليه المؤرخون لفظ (المجاور)[٣٨]؛ أي المجاور للحرمين، الحريص على ملازمتهما.

وشطرٌ كبير من نظمه سطَّره في خطاب تلاميذه وشيوخه ومدْحهم والثناء عليهم، وهو شعر الإجازة بالرِّواية عنه، وبعض هذا النظم يُعَدُّ من المكاتبات، التي تَضَمَّنت في بعضها التّشوق لرؤية أصدقائه.

يُعدُّ نظمه وثيقة تاريخية مهمة، تصف لنا ما كان عليه المجتمع الإسلامي في مكة والمدينة في القرن السّابع الهجريّ، وتعطينا صورةً دقيقة عن الحياة العلميَّة والأدبيّة، وأدب العالم والمتعلم المتمثّلة في علاقة التلميذ بشيخه والعكس آنذاك،

كمـا يعـد وثيقة جغرافية في غاية الأهميَّة من حيث اشـتماله على عدد كبير جدًّا من أسـماء الأماكن التي قد لا يعرفها الكثير من المعتمرين أو الزائرين في الوقت الحاضـر، خصوصًـا في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتبيان عبق هذه الأماكن، وما ينبغي للمسلم أن يفعله ويتذكره إذا مَرَّ بها، أو طافت صورتها بخياله.

إن شـعره قَمِـينٌ بـأن يأخذنـا إلى عـالم آخر بعيـدًا عن عالم الصّـراعات والاختلافات التي لا تسـمن ولا تغني من جوع، ويحقّر إلينا الدّنيا الفانية، محبِّبًا إلينـا الآخرة الباقية، بما اشـتمل عليه من ترغيب وترهيـب، ولجوءٍ بالدُّعاء إلى الله سـبحانه وتعالى بأن يعفو ويصـفح، ويتجاوز عما يعلم، وضـراعة حانية إليه بأن يمُنَّ علينا بالهداية والرَّشاد.

وجملـة القول: لقد كان شـعره هادفًا، وكان الشَّـاعر فيه ذا رسـالة في نظم أشعاره، وهي رسالة توجيه وإرشاد، ودعوة وإصلاح، وهذا ظاهر في عدم احتفاله بالمحسِّنات البديعيّة فيما نظم، مخالفًا بذلك شعراء عصره.

إن نشـر هذا الدّيـوان لأول مَرّة لهو دعوة لمحبي التُّراث الشِّـعري أن يلتفتوا إلى هذا الشّـاعر بأقلامهم للكشـف عـن نهجه في النَّظـم، وطريقته في توظيف المعجم الشّـعري، وأبرز الأفكار التي شـغلته فنَظَمها. لقد كانت إسهامات الرجل دافعًا قويًّا للثناء على شخصـه وعلمه من قِبل بعض المؤرخين الذين التفتوا إليه بالترجمة[٣٩].

**وفاتُه:**

اختلـف المؤرِّخون في تحديد تاريخ وفاته، ولم يختلفوا في تحديد مكانها، وهو المدينـة المنورة، وأجمعـوا على دفنه بالبقيع[٤٠]، وقد جمع الأسـتاذ (مصـطفى عمَّار منلا) التَّواريخ المختَلف فيها، وعرضَها بالتفصيل استنادًا على مصادرها، مُرَجِّحًا وفاته في الثَّاني من جمادى الأولى (٦٨٦هـ)، لصـدور هذا التاريخ عمَّن عاصر الشَّاعر والتقاه[٤١]، وهذا هو المرجَّح.

## [قافية الألف المقصورة]

(١)

قال متشوقًا إلى محيي الدين النَّوَوِي(*): [من الكامل]

١- أمخيِّمينَ على نَوى أَشتَاقُكمْ شَوْقًا يجدِّدُ لي الصَّبابَةَ والجَوَى

٢- وأرومُ قُرْبَكُمُ لأَنِّي مُرتَجٍ يا سادَتي قربَ المقيم على النَّوى

(*) محيي الدين النَّوَوِي: عالم، فقيه، محدث، واعظ، اسمه يحيى بن شرف الحوراني، ولد عام (٦٣١هـ) في نوى بسورية، وتوفي بها عام (٦٧٦ هـ)، ألف كتبًا غير قليلة؛ منها: **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**، و**بستان العارفين**، و**تهذيب الأسماء واللغات**، و**منهاج الطالبين**، و**الدقائق**، وغيرها. ينظر **الأعلام** للزركلي ٨/١٤٩-١٥٠.

التَّخريج:

**فوات الوفَيات** ٢ /٣٢٨، ومخطوط **عقود الجمان وتذييل وفَيات الأعيان** الورقة ١٤٤ (مكتبة عارف حكمت)، والورقة ١/١٧٧ (مكتبة الفاتح)، و**أبجد العلوم** ١٠٤٣، و**الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ٣/١٠٤.

## [قافية الباء]

(٢)

وقال سنة (٦٨٤هـ) يمدح الرسول ﷺ مسجلاً معجزاته، ومطوِّفًا بذكر فضائل الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة: [من الخفيف]

١- بينَ نَعْمَانَ مَنْزلٌ وكَسَابِ جَادَت السُّحبُ رسمَه بانسكابِ

٢- معهدٌ للرَّبابِ سَقْيًا لعهدي في رُباه، سَقَتْه ذاتُ الرَّبابِ

٣- مربعٌ للهَوى ومرتبعُ الحبْـ ـبِ قَديمًا ومجمعُ الأَحْبَابِ

٤- ومَغاني العُشَّاقِ يَصْبُو إليها ... كُلُّ صبٍّ فدمعُه في انصبابِ

٥- تُربةٌ تُكحَلُ النَّواظرُ منْهَا ... من عَماها ومَلعَبُ الأَتْرَابِ

٦- ولَدَيها الأرواحُ قد خُوطبتْ قدْ ... مَّا فلبَّتْ طوعًا لخيرِ مُجَابِ

٧- وأَقَرَّتْ بالحبِّ حَقًّا لمحبو ... بٍ بديعِ الصِّفَاتِ سَامِي الجنَابِ

٨- فاجتباهَا بقُرْبِه وسَقَاهَا ... من صَفَا حبِّه طَهورَ الشَّرابِ

٩- ثم آبتْ فَأُلْقِيَتْ ثَمَّ سَكْرَى ... منه حتَّى تَلْقَاهُ يَوْمَ المآبِ

١٠- وهي ترتاحُ كلَّ عامٍ إليها ... كلفًا بالتذاذ ذاكَ الخطابِ

١١- أيها السَّاطرُ الفَلا بحرُوفٍ ... كحروفٍ قد سُطِّرَتْ في كتابِ

١٢- فَهي تُهوِي إلى تهامةَ شَوقًا ... جادَ تلك الرسومَ هامي السَّحابِ

١٣- أنتَ إمَّا عرَضْتَ عَرِّض بذِكْري ... في سَراةِ النَّادي وبين صحابِ

١٤- أهلُ وُدِّي والنَّازلون بقَلبي ... وإليهم في النَّازلاتِ انقلابي

١٥- بيننا ذمَّةٌ وعَهْدُ وداد ... قَدْ صَفا بالصَّفا من الأَشْوابِ

١٦- مَا تَناسيتُه لَعَمْري وظَنِّي ... أَنَّهم في الهَوى بهم مثلُ ما بي

١٧- بُثَّ شَوقِي إن أَنتَ آنستَ منهم ... شرحَ شَكْوى أو نِلْتَ رَجْعَ جَوابِ

١٨- نادِ باسمي بين المشاعرِ وانشدْ ... عن فُؤادي ما بينَ تلكَ الشِّعابِ

١٩- لا خَلَتْ منكَ مكة يا (أبا اليمـ ... ـن) تُلَقَّى رُحْبًا بتلكَ الرِّحابِ

٢٠- حيثُ تَضْحَى وأنتَ لله جارٌ ... عَائذَ الله بينَ رُكْنٍ وبابِ

٢١- مَاسِحًا تارةً وملتزمًا أخْـ ... ـرى تَمُدُّ الأَستارَ بالأَطْنابِ

٢٢- إن خلا منكَ مشعراها فقدْ كنـ ... ـت قَطينًا بها مَدى أَحْقابِ

٢٣- طَالما قدْ نَعِمْتَ عَيْنًا بنعمَا ... نَ وَشَطّي أَلالَ بينَ الهضَابِ

٢٤- وَلَكَمْ من عوارفٍ حينَ عرّفـ ... ـتَ تَعَرَّفْتَها حسَانٍ عِذَابِ

٢٥- حيثُ تَسْتَنْزِلُ المواهبَ من بَرْ ... رٍ رحيمٍ ومُنعمٍ وَهَّابِ

٢٦- بين شُعثٍ غُبرٍ أفاضُوا عشاءً قَدْ أَفاضُوا دُموعَهم بانسكابِ

٢٧- فَلَكَمْ نلْتَ جمعَ شَمْلٍ بجمعٍ بَجدا محسنٍ بغيرِ حسَابِ

٢٨- وبرمْيِ الجمار وفَّيتَ نَذْراً بانقضاءِ الأَتْفاثِ والآرابِ

٢٩- ثم وافيتَ فاستلمتَ وجدَّدْ تَ مَتابًا للغافرِ التَّوَّابِ

٣٠- ورَقيتَ الصَّفا فأحْرزْتَ سعيًا صَالحًا إذ سَعَيْتَ سَعيَ مُثَابِ

٣١- ثمَّ وَدَّعْتَ وانصَرَفْتَ تُرَجِّي عَودةً في تأسُّفٍ واكتئابِ

٣٢- يا رعَى اللهُ عَهْدَ وصْلٍ تَقَضَّى بالغزالِ الرَّبيبِ بينَ الرَّوابي

٣٣- إذ مَصيفي على العُذَيبِ ونجعي بينَ ياجٍ إلى صَفاءِ السِّبابِ

٣٤- وسَقَى ليلةً على عذَبِ السقـ يا سُقينا بها كؤوسَ عذابِ

٣٥- إذ تنصُّ الركابُ يجرينَ شوقًا يتخلّلن بينَ بيضِ القِبَابِ

٣٦- ثم زاحمْنَ في المضيقِ إلى أن . بعدَ لأْيٍ . أجزنَ نَجْدَ الحقَابِ

٣٧- يا ليالي منًى لَعَمْري لَفيكُنْ نَ مَنالُ المنَى ونيلُ المتَابِ

٣٨- ولأَنْتُنَّ غُرَّةٌ للَّيالي في وجوهِ الأيامِ كالأذْهَابِ

٣٩- تَتَقَضَّى بالذِّكرِ والشكْرِ للَّـ ـهِ وجمعِ الأَصحابِ والأَحْبَابِ

٤٠- هَلْ إلى عودَةٍ سَبيلٌ لنَلقى ملْطفاتِ العتَابِ بالأعتَابِ؟

٤١- طالَ عهدي بها فهلْ لي إليها من مَعادٍ يُطْفي حَريقَ التهَابي؟

٤٢- ظَلْتَ تَشْتاقُها . وأنْتَ نَزُوحٌ . شوقَ صَبٍّ إلى الأَحبَّةِ صَابِ

٤٣- شمْتَ برقًا يمانيًا من شآمٍ من تهامٍ على نَوىً واغترابِ

٤٤- بتَّ تَسْتَنْشقُ الجنوبَ وقدْ هَبْ بَتْ بليلٍ بليلةَ الأثْوابِ

٤٥- كيفَ جَانبْتَها وأنْتَ محبٌّ هَلْ محبٌّ رأيتَه ذا اجتنَابِ؟

٤٦- فاحمدِ اللهَ إذ بطَيبةَ طابَتْ أنتَ ثاوٍ فكنتَ طابَ ابنَ طابِ

٤٧- بينَ قبرٍ ومنبرٍ أنتَ منها غاديًا رائحًا بلا إغْبَابِ

٤٨- في رياضٍ من جنَّةِ الخُلْدِ تَمْشي في مَمَرٍّ من رسْمِهَا وذهابِ

٤٩- جارَ خيرِ الأنامِ والمصطفى الها دي إلى اللهِ والكريمِ النِّصابِ

٥٠- أفضلِ المرسلينَ حَقًّا بلا شَكْ … ـكَ وَخَيرِ الوَرى بغيرِ ارتيَاب

٥١- صفوةِ المصْطَفَيْنَ أُفْرِدَ بالحُبْ … ـبِ وبالقُرْبِ فَهْوَ لُبُّ اللُّبَاب

٥٢- مُخْلصٌ من شوائبٍ وحظوظٍ … معرَقُ الخيمِ طاهرُ الأَنْسَاب

٥٣- صِينَ قدرًا فلَمْ يَكُنْ من سِفاحٍ … بلْ نكاحٍ مؤكَّدِ الأَسْبَاب

٥٤- مِن خيارِ القُرونِ قَرْنًا فقَرْنًا … وكرامِ الأَرحامِ والأَصْلاب

٥٥- في الصِّبَا قدْ حُميْ نُهًى عن تعرِّيـ … ـهِ وعَن وقْفَةٍ لَدى الأَنْصاب

٥٦- غُصُنٌ مادَ بينَ غُصنينِ حُسنًا … أَتْلعُ الجيدِ أوطَفُ الأَهْدابِ

٥٧- وجبِينٌ كأنَّه فلَقُ الصبـ … ـحِ يُجَلِّي حنادسَ الغَيهابِ

٥٨- ولهُ منطقٌ أَلَذُّ إلى السمـ … ـعِ مِنَ المسمعاتِ بالإطرابِ

٥٩- بخطابٍ جَزْلٍ وقولٍ بليغٍ … منه فصْلٌ من غيرِ ما إغرابِ

٦٠- وإذا سَاقط الحديثَ حسبتَ الد … دُرَّ حُسْنًا تَساقطَتْ من سِحَابِ

٦١- مِن فَمٍ أشنبِ اللِّثاتِ ضليعٍ … بَاردِ الظَّلْمِ واضحِ الأَنيابِ

٦٢- وثنايَا كاللؤلؤ الرّطبِ مَنْظُو … مًا عذابٍ مُعَسَّلاتِ الرُّضَابِ

٦٣- شِيَمٌ قُدِّسَتْ وتُمِّمَ منها … كلُّ نقصٍ للعُنْصُرِيِّ التُّرَابِ

٦٤- وخلالٌ مَا شَانَهَا خَلَلٌ لا … في اكتهالٍ ولا بحالِ شَبابِ

٦٥- فهْوَ بدرٌ في جُنحِ ليلٍ تَجَلَّى … وهْوَ شمسٌ بدَتْ خلالَ سَحَابِ

٦٦- وهْو نورٌ في لمعةٍ قدْ تَراءى … قَد تَوارَى من ظلِّه في حجَابِ

٦٧- شُرِحَ الصَّدْرُ منه فهْو مُصَفًّى … قد تزكَّى من كُلِّ ذامٍ وعَابِ

٦٨- أوّلُ النّاسِ عنه تَنْحَسِرُ الأَرْ … ضُ وأولاهُمُ بقَرْعِ البَابِ

٦٩- عُقِدَتْ في يديه أَلْوِيَةُ الحمْـ … ـدِ لأَمْرٍ فاعجبْ لأَمرٍ عُجَابِ

٧٠- فعلَى جاهه أُولُو العزمِ جَمْعًا … قَد أحَالُوا في المعضلاتِ الصِّعابِ

٧١- وإلى ظِلِّه أَوَوْا فتَراهم … في جُنُوحٍ إلى جَناحِ العُقَابِ

٧٢- والمقامُ المحمودُ مَا قامَ فيه … غيرُهُ من أولئكَ الأنجابِ

٧٣- كاشفًا كلَّ كربِ خطْبٍ عن النَّا … سِ برجْعٍ لِربِّهِ وخطابِ

٧٤- وبشير عند الإياس بفَضْلٍ وخطيب لهم بفَصلِ الخطاب

٧٥- وإلى الله صُحبةَ الرّوح أَسْرَى فحبَاه بزُلْفَة واقْتراب

٧٦- كمْ مُحَيٍّ لَه وكم مِنَ ملاقٍ! إذ سَمَا في السَّمَاء بالتَّرْحَاب

٧٧- كم مَراقٍ إلى العُلا قَد ترقّى! فَتَحَتْ بالمنى له كُلَّ باب

٧٨- فانتهى مُنْتَهَى به قَد تَنَاهَى بالقَضايا مطالبُ الطُّلاَّب

٧٩- ثمَّ أُدْني حُبًّا وأُزلِف حَتَّى كانَ أَدْنى إليه مِن قَدرِ قَاب

٨٠- ولَه البَدْرُ شُقّ إذْ سَألُوه آيةً جهرةً بنصِّ الكتَاب

٨١- لَيْسَ فِيها للخَلْقِ صُنْعٌ فَتُلْفي شبهةً مَا لمنكَرِ الحقِّ آب

٨٢- شَاهَدَتْه قريشُ والسَّفْرُ أنبا أَنَّهُم شاهدُوه عنْدَ الإيَاب

٨٣- ولَهُ الكَوْثرُ الرَّوي من مَعين سَلْسَبيل يمدّ في ميزاب

٨٤- وعدادُ الكَواكب الزُّهْرِ فيه من أباريقه ومن أَكْواب

٨٥- طينُه المسكُ حُفَّ مِن حافتيه بقصُورٍ مِن لُؤْلُؤٍ وقباب

٨٦- رَبِّ أبرِدْ ظَما «أبي اليُمْن» رَيًّا بورودٍ من شربِ ذاك الشَّراب

٨٧- لا تُحلِّئه باقترافٍ لسُوء عن ورودٍ مِن مائه واكتِساب

٨٨- وحَمَامٌ على فَمِ الغَارِ عَشَّشْـ ـنَ فأَعْشَينَ أعينَ المرْتَاب

٨٩- وكذا الرَّاةُ إذْ تَولَّج فيه نَبَتَتْ ثَمَّ فَهي ذاتُ انْشعَاب

٩٠- قد تَوَارَى مِن كيدهم ثانيَ اثنيـ ـنَ فكانَا عن مَكرهم في حجَاب

٩١- واسأل المُدْلجي سُراقةَ عنهم آبَ عنهم وَحدّ عُدْوَاهُ نَاب

٩٢- إذ يَقُولُ الصِّدِّيقُ: إنَّا أُتينا فَانْبرَى عَنْهُ طرفُه وهو كاب

٩٣- جاءَ يسْطُو فعَادَ قد عاذَ مَنْه بأمانٍ لنَفْسه وكتَاب

٩٤- وإليه الأَشْجارُ لَمَّا دَعاهَا قَدْ أتتْه تَخُدُّ خَدَّ التُّراب

٩٥- ثمَّ عادَتْ إلى المنابتِ سَعْيًا سَارياتِ العُروق في أسْرَاب

٩٦- وبكفَّيْه سَبَّحَت حَصَيَاتٌ أَسْمَعَتْهُمْ فهُنَّ ذَاتُ اصطخاب

٩٧- نبعَ الماءُ مِن أَنَامِله الخَمْـ ـسِ غَزيرًا مُدَغْفقًا ذا عُبَاب

٩٨- وبتصديقه قد اعترفَ الضَّبْـ ... ـبُ مُقرًّا فآمَنَ الأعْرَابي

٩٩- وبصَاعٍ وبهمَةٍ أشبعَ الألْـ ... ـف فشَادُوا نقابَ تلكَ الجوابي

١٠٠- زوَّدَ الجَيشَ مُرملينَ حُيَيْسًا ... فضلَ تَمْرٍ أحصوه ملءَ جِرَابِ

١٠١- وعَلى فَقْده فَقَدْ رَدَّدَ الجذْ ... عُ حَنينًا لبُعده بانتحابِ

١٠٢- وحقيقٌ لأعْيُنٍ فَارَقَتْهُ ... أن تسحَّ الدُّمُوعَ سَحَّ السَّحَابِ

١٠٣- فعَلى فُرْقَة الأَحبَّة يبكي ... كلُّ نَاءِ المزارِ بَعْدَ اقترابِ

١٠٤- فَانثَنى نَحْوَه يُسَكِّنُ منه ... باحتضانٍ له جوى الأوْصَابِ

١٠٥- أَيْنَ منَّا النَّشيجُ خَوفَ نواه ... مِن أَنينِ الجماد والأَخْشَابِ؟

١٠٦- فَضَّ جمعَ الأعداء يَوْمَ حُنَين ... إذ رَماهُم بقبضةٍ من تُرَابِ

١٠٧- وإذا ما نَوَى قتالَ عَدُوٍّ ... قُذفُوا في القُلوب بالإرْعَابِ

١٠٨- وثلاثٌ في أَمْرِ زينبَ آيا ... تٌ عظامٌ منْها نزولُ الحجابِ

١٠٩- جَاءَهَا فابْتَنى بهَا حكْمَةَ اللـ ... ـه بلا شاهدٍ ولا خُطَّابِ

١١٠- بل خصوصيَّةٌ بها خَصَّهُ اللـ ... ـهُ فكانتْ تَسْمُو عَلى الأَتْرابِ

١١١- وَلَكمْ آية وكمْ من دليلٍ ... قَدْ أزالت عمايةَ الارتيابِ!

١١٢- ذاكمُ الفَخرُ لا ممالكُ سَابُو ... ر ولا الهرمزانُ في الأَحْقَابِ

١١٣- فأطل أو فأَقْصِر المدحَ فيه ... بارتجالٍ للنَّظْم أو باقْتضابِ

١١٤- وصْفُه بَيِّنٌ لكُلِّ رَسُولٍ ... نعتُه مُثْبَتٌ بكُلِّ كتابِ

١١٥- خصَّهُ اللهُ بالمحبَّة والخلْـ ... ـلة مَعْ رفع ذكره المسْتَطابِ

١١٦- ورؤوفٌ بالمؤْمنينَ رَحيمٌ ... غيرُ فَظٍّ جَافٍ ولا صَخَّابِ

١١٧- وهَدَانا به الإلهُ فَجَلَّى ... ظُلَمَ الظُّلم فهْيَ ذَاتُ انجيابِ

١١٨- فَعَلا دينُهُ عَلى كُلِّ دينٍ ... مَذْهَبًا بَاقيًا بغير ذهابِ

١١٩- وحبيبٌ مُدَلَّلٌ بالأَماني ... وَرَسُولٌ مُظَلَّلٌ بالسَّحابِ

١٢٠- ذَاكُم المصطَفى المحبّ ومَن ذا ... لسَواه في فَضْله بالمحابي

١٢١- أوَحُبًّا له سَلام مُحبٍّ ... شَفَّه شَوقُه إلى الأَحبابِ

١٢٢- غُضَّ صَوْتًا لَدى السَّلامِ وكنْ منـ ... ـه لـردٍّ عَـليـكَ في الارتـقـابِ
١٢٣- لا تطأ أرضَـه بنعلٍ وَطَـأْهـا ... بجفُونِ العـيونِ والأَهْـدابِ
١٢٤- انتشِقْ تُـرْبَـهُ وقبِّلْه واخضعْ ... وَتَـوَسَّـد شَـريفَ تِلْك القبابِ
١٢٥- وتَضَرَّعْ والصِق بهِ القَلْبَ كَيمَا ... يَنْثَني عَـن وُلوعِـه ذَا انقلابِ
١٢٦- لا تُضَمِّخْ منك التّرائب طِيبًا ... بلْ تَضَمَّخْ بطيبِ ذَاكَ التُّرابِ
١٢٧- وتشفَّـع بِـهِ إلـى اللهِ تَسْلم ... مِـن عَـذابِ خِزيٍ وَخِـزيِ عَذابِ
١٢٨- عُـذْ بـهِ في النَّجاةِ فهو مَعاذٌ ... وتوسَّـل ولُـذْ بِـذَاكَ الجنابِ
١٢٩- وَتَـأَدَّبْ فَلا يكنْ منك إخلا ... لٌ وَزُمَّ الخـلالَ بـالآدابِ
١٣٠- إنَّ حبّـي لَـه لِـزامٌ ولَـمَّا ... يَـزَلِ الحـبُّ لازمَ الأحـبابِ
١٣١- واشتياقِي إليه شَوقُ مُعَنًّى ... مُـفـرطٍ في صَبابةٍ واكتئابِ
١٣٢- رَبِّ أَنعم عَيني برؤْيَـاه لا عن ... جُـنُبٍ مِـنْـه بَل بغَيرِ اجتنابِ
١٣٣- واشف بالقُرْبِ منه غلَّةَ شَوقي ... فَلبُعْدي عَنه لَقَدْ جَلَّ مَا بي
١٣٤- يا شفيعَ العُصاة كُن لي إلى اللـ ... ـه شفيعًا مِن الأَليمِ العذَابِ
١٣٥- فَبحَسبي بِأنْ تكونَ شَفيعي ... عندَ رَبِّ العبادِ يَوْمَ الحسابِ
١٣٦- جئتُ أَشْكُو بَثِّي لَعَلَّكَ تُشكي ... لِمـرزًا في دينِـه ومصـابِ
١٣٧- قدْ توالتْ إلى الخَطايا خُطاه ... وَأَقـلَّ الأَعْـبـاءَ مِـن كُـلِّ عـابِ
١٣٨- مُسْـرِفًا في ارتِكابها وَمُصِرًّا ... والجـا في الذُّنُوبِ مِن كُلِّ بابِ
١٣٩- فَـأَعِـنْـه بعطفةٍ لِـتُـقَـوِّي ... منه عَزْمًا عَلَى التُّقَى باحتسابِ
١٤٠- عَلَّهُ أَن يُنيبَ منْها إلى اللـ ... ـه بصِدْقٍ مُسْتَعْصِمًا بمتابِ
١٤١- وحنانٍ بـرأفةٍ منكَ تهديـ ... ـهَ وتُنْجيهِ مِن شَدِيدِ العقابِ
١٤٢- أرتجِي وَصْلَةً لَديك وما لي ... سَبَبٌ مُوصِلٌ مِنَ الأسبابِ
١٤٣- غيرَ حُبِّي له وأرجُو بحُبِّي ... ولآلِ النَّبِيِّ والأَصْحابِ
١٤٤- فاسألِ اللهَ لي صَلاحَ فَسادي ... وادعُ لي بالهدَى دُعَـاءَ مُجابِ

١٤٥- صَلواتُ الإلـه تَـثْرَى عَليه باقيات عَلى مَـدَى الأَحْـقاب
١٤٦- وعَـلى آلِـه الـذيـن تَـزكَّـوْا لَيسَ فيهم لعائب مِن مُعابِ
١٤٧- حبُّهم مَـذْهَبي بِغَيرِ غُلُوٍّ وإلـيهـم إمَّــا دعيتُ انتدابي
١٤٨- وَرِضَـــاهُ ورحـمـةٌ مِـن لَـدُنه تَتوالى عَلَى جَميعِ الصِّحابِ
١٤٩- يا إلاهـي وَأنت رَبِّي وَحَسْبي بكَ ربًّا أَحْسِـنْ إليكَ مَآبي
١٥٠- وَأَجِزْني عَلَى الصِّرَاط بِرُحْمى منْكَ أَنْجُو بِهَا وَيَسِّرْ حسابي
١٥١- لا كتابي تَنْشُرْهُ إيْ ربِّ واصفَح عَنْ طَوايا صَحائف الكُتّاب
١٥٢- فَذُنُوبي كَثيرةٌ لَيسَ تُحْصَى وعُيُوبيَ شَتَّى مَلأنَ عيَابي
١٥٣- فَأَقِلْ عَثْرَتي وَثَبِّتْ فُؤَادي لا يَـزِغْ فِي مَواطِن الإِرْهَـابِ
١٥٤-واعفُ عَنِّي وارحَمْ وسامح وأعتقْـ ـني مِن النَّارِ يومَ فكِّ الرِّقابِ

الشَّرح:

(١) نَعْمَانَ: هو نعمان الأراك، وهو واد ينبته ويصب إلى ودَّان، بلد غزاه النبي ﷺ، وهو بين مكة والطائف، وقيل: واد لهُذيل على ليلتين من عرفات. **معجم البلدان** ٢٩٣/٥، وكَساب: جبل في ديار هُذيل قرب الحزم لبني لحيان. **معجم البلدان** ٤٥٩/٤.

(٢) الرَّبابُ: السَّحابُ الذي فيه ماء، الواحدةُ: رَبابة، وأَرَبَّتِ السَّحابة بهذه البلدة: أدامت بها المطر. **العين** ٢٥٦/٨.

(٥) عماها: أي سحابها الكثيف الأسود. **تاج العروس** ١١١/٣٩.

(١١) السَّاطِرُ: القاطعُ، والفَلا: أي الفلاة، الأرض القفر، وحروف: جمع حَرْف: النَّاقَةُ الضَّامِرةُ الصُّلْبَةُ، شُبِّهتْ بحَرْفِ الجبل. **تاج العروس** ٢٥/١٢، ٢٥٠/٣٩، ١٢٨/٢٣.

(٢٢) المشعران: المزدلفة ومنى. **معجم اللغة العربية المعاصرة** ١٢٠٨،

والقَطِين: أَهْلُ الدَّار كالخَليطِ للواحد والجَمْع؛ أو هو الساكِنُ في الدَّار. **تاج العروس** ٣٦/٧.

(٢٣) أَلال: بفتح الهمزة واللام وألف ولام أخرى بوزن حمام: اسم جبل بعرفات، قال ابن دريد: جبل رمل بعرفات. **معجم البلدان** ١/٢٤٢.

(٢٨) الأَتْفَاث: جمع تفث، وهو في المناسك: ما كانَ من نَحْوِ قَصِّ الأَظْفارِ والشّارِبِ وحَلقِ الرَّأسِ والعانَةِ ورَمْيِ الجمارِ ونَحْرِ البُدْنِ وغَيْرِ ذلكَ، وفي التَّنْزيل العَزيز: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ سورة الحج، الآية رقم (٢٩). **تاج العروس** ٥/١٧٨.

والآرابِ: الحاجات. **تاج العروس** ٢/١٦.

(٣٣) العُذَيبُ: ماء لبنى تميم، كذلك بارق، وديار تميم إنما هي باليمامة... العُذَيْبة: تأنيث الذي قبله: موضع في طريق مكة، بين الجار وينبع. **معجم ما استعجم** ٩٢٨، وياج: وادٍ كان في عهد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بين مكة وينبع. **الجبال والأمكنة والمياه** ١٦٨، السّباب: موضع بمكة. **معجم البلدان** ٣/١٨٢.

(٣٥) تنصُّ: من النَّصّ في السَّيْرِ: وهو أقصى ما تَقدِرُ عليه الدَّابّةُ. والقبابُ: جمع قبة، بناء من أدم صغير مستدير. **تاج العروس** ٣/٥١١، ١٨/١٨٠.

(٣٦) لأْي: أي شدة واحتباسٍ ومعاناة. **تاج العروس** ٣٩/٤٢٧، والنَّجْدُ: الطَّريقُ الواضِحُ البَيِّنُ المُرْتَفِعُ من الأَرْض. **تاج العروس** ٩/٢٠١-٢٠٢، والحقاب: موضع بنعمان من منازل بني هذيل. **معجم البلدان** ٣/٣٣٨.

(٤٦) الطَّابُ: الطَّيِّب. **تاج العروس** ٣/٢٨٢.

(٤٧) الإغْبابُ: الفصل بين كل زيادة وأخرى تجنبًا للثقل. **تاج العروس** ٣/٤٥٢.

(٥٢) الخِيمُ: السَّجِيَّة والطَّبيعة. **تاج العروس** ٣٢/١٣٤.

(٥٤) القُرون: الأمم السالفة. **تاج العروس** ٢٣/٤٥٩.

(٥٥) الأنصاب: الأوثان. **تاج العروس** ٤/٢٧٥.

(٥٦) مَادَ: لان وأصبح ناعمًا، وأتلع: طويل، والوطفُ: كثافة شَعَرِ أَهْدابِ العَيْنَيْنِ. **تاج العروس** ٩/١٤٩، ٢٠/٤٠١، ٢٤/٤٦٣.

(٥٧) الحنادسُ: جمع حندس، وهو الليلُ الشَّديدُ الظُّلْمَة، ولم ترد كلمة الغيهاب في المعاجم، والوارد الغيهب، وهي هنا من تصرف الشَّاعر لمناسبة القافية، والغيهبُ: الليل. **تاج العروس** ١٥/٥٦١، ٣/٤٩٦.

(٦٠) السِّخَابُ: القلادة. **تاج العروس** ٣/٤٤.

(٦١) الشَّنَبُ: مُحَرَّكَةً: مَاءٌ ورقَّةٌ تَجْرِي على الثَّغْرِ، واللَّثات: لحمٌ على أُصُولِ الأَسْنانِ، والظَّلَمُ: مَاءُ الأَسْنَانِ وبَرِيقُهَا. **تاج العروس** ٣/١٥٧، ٣٦/٤٩٣، ٣٣/٤١.

(٧١) جُنُوح إلى جَنَاح العُقابِ: كناية عن الجنوح إلى السُّمُوِّ؛ إذ المعروف عن العُقاب الارتفاع في التحليقَ، والاعتصام بالأماكن الشاهقة. ينظر **حياة الحيوان الكبرى** ٣/١٢٥، والرابط الآتي:

http: //www.startimes.com/f.aspx?t=15571867

(٧٣) كررت كلمة خطابِ في هذا البيت والبيت التالي له، وتسمح قواعد الشعر بهذا إذا اختلف معنى الكلمتين، وإلا تحقَّق عيب الإيطاء، ومعنى الكلمة في هذا البيت: الدعاء، ومعناها في البيت التالي له: الأمر المشكل.

(٧٥) الرُّوح: جبريل عليه السلام. **تاج العروس** ٦/٤٠٩.

(٧٩) قاب: أي مقدار. **تاج العروس** ٤/٨٨.

(٨٢) أنبا: أي أنبأ، سهل الشاعر الهمزة.

(٨٣) الميزاب: قناة أو أنبوبة يصرَّف بها الماء من سطح بناء أو موضع عالٍ. **المعجم الوسيط** ١٥.

(٨٧) لا تحلئه: لا تمنعه. **تاج العروس** ١/١٩٩.

(٨٩) الرَّاه كذا وردت هذه الكلمة في مصدرها، وهي تخفيف الرّاءَةُ:

«شُـجَيرة تَرتفعُ على سـاقٍ، ثم يَرتفع لها وَرَقٌ مُدَوَّرٌ أَحْرَش... هي شُجيرة جَبليّة كأَنها عِظْلِمَةٌ، ولها زَهْرَةٌ بيضاءُ لينة كأَنها قُطْنٌ. وأَرْوَأَ المكانُ: كَثُرَ به الرَّاءُ، عن أَبـي زيدٍ، حكى ذلك أَبو علي الفارسـيُّ، وقال شـيخنا: قالوا: هي نَوْعٌ من شـجرِ الطَّلْعِ، وهي الشـجرةُ التي نَبَتَتْ على الغَارِ الذي كان فيه النبيُّ ﷺ وأَبو بكر رضي اللّه عنه». **تاج العروس** ١/٢٥٥.

(٩١) المُدْلجي سُراقة: هو سُراقة بن مَالك بن جُعْشُم الكِنانيّ المُدْلِجيّ (ت ٢٤هـ)، هو المذكور في هجرة النَّبيِّ ﷺ بأنْ سـاخت قوائم فرسه، أَسلم بعد غزْوة الطائف، وحسُنَ إسلامُهُ، وقيل: شَهِد حُنينًا. **تاريخ الإسلام** ٢/١٧٢، ٣٧٧.

(٩٤) تَخُدُّ: تحفر. **تاج العروس** ٣٧/٥٣٩.

(٩٧) المُدَغْفِقُ: المنهمر بشدة. **تاج العروس** ٢٥/٢٩١.

(٩٩) البُهْمَة: المعضـلة، والخطة الشـديدة، ورباطة الجأش والشجاعة. **تاج العروس** ٣١/٣٠٩.

(١٠٠) المرَمَّـل: مَن نفد زادُه. **تاج العروس** ٢٩/١٠١، والحَيْسُ، تَمْرٌ يُخلَطُ بسَمنٍ وأَقِطٍ فيُعجَن. **تاج العروس** ١٥/٥٦٨.

(١٠٥) النَّشيجُ: الصَّوت. **تاج العروس** ٦/٢٤٠.

(١٠٨) زينب: هي زينب بنت جحش التي أنزل اللّه فيها قرآنًا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾. سورة الأحزاب، الآية (٣٧).

(١١٢) سـابور: سـابور بـن هرمز: الملك بن نرسـي الملك بـن بهرام الملك، ويقال له الملك شاهنشاه بن بهرام الملك بن هرمز البطل الملك بن سابور الجنود الملك ابن أزدشـير بن بابك بن ساسـان بن بابك بن ساسان بن بابك بن ساسان بن بهمن الملك، وهو سـابور ذو الأكتاف،... وذكر غيره أنه سـابور بن هرمز بن نرسـي ابن بهرام بن سـابور، وأن بهرام شاهنشـاه أخو نرسـي بن بهرام، قيل:

إنه دخل الشـام وقصـد ملك الروم أبو إلياس إلى أنطاكية، فقبض عليه وحبسه بأنطاكية. **بغية الطلب** ٤٠٨٨/٩. والهرمزانُ: لقب رُسْـتم بن فَرُّح زاذَ صـاحب جيش العجم، قُتل يومَ القادسيّة على يد هلالٍ العُقيليّ. **تاج العروس** ٣٨٢/١٥.

(١٢١) كذا ورد البيت في مصدره.

(١٣٢) جُنُب: أي مجاورة. **تاج العروس** ١٨٥/٢، والمعنى: رَبِّ لا تحرم عيني رؤية الرسول ﷺ في المنام.

(١٣٧) أقلَّ: حمل ورفع. **تاج العروس** ٢٧٦/٣٠.

(١٥٢) العيـاب: جمع العَيْبَة، وهي: زَبيلٌ (زنبيـل) كأمِير، مِنْ أَدَم، مُحَرَّكة يُنْقَل فيه الزرْعُ المحصود إلى الجُرْن. **تاج العروس** ٤٤٩/٣.

التَّخريج:

**ملء العيبة** ١٩٤/٥-٢٠٠. ورد في البيت السابع والعشرين فيه هكذا: «بَجدا محسب»، ولعل الصواب: «بجدا محسن»، وورد البيت الثامن والثمانون فيه هكذا: «عين».

**(للبحث صلة)**

## الهوامش:

(*) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

(١) يقع الكتاب في جزأين، نشـره النادي الأدبي بمكة المكرمة عام ١٤٢٤هـ، وتردد اسـم أبي اليُمْن ابن عساكر في عدد من صفحاته، سيأتي ذكرها.

(٢) **الوافي بالوفيات** ٤٤٧/١٨، و**أبجد العلوم (الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم)** ١٠٤/٣.

(٣) تنظر ترجمته في المصادر والمراجع الآتية:

- **ملء العيبة** ١٤٥/٥.
- **درَّة الأسلاك في دولة الأتراك** ٤٣٧/١-٤٣٩.
- **العبر في خبر من غبر** ٣٦٢/٣.
- **المختار من تاريخ ابن الجزَري** ٣٢٤.
- **تاريخ الإسلام** ١٥/ ٥٧٢-٥٧٣، ٥١٤.
- **معجم الشُّيوخ الكبير** ٣٩٤/١.
- **برنامج الوادي آشي** ٥٢٦.
- **عُيون التواريخ** ٢١/ ٤٠٦- ٤٠٨، ومخطوطه ١٥٣/١١-١٥٤، ومخطوطه، نسخة متحف طوب قابو سراي، إستنبول، تركيا ،رقم ٢٩٢٢.
- **فوات الوفيات** ٣٢٨/٢.
- **الوافي بالوفيات** ٤٤٧/١٨.
- **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** ١٣٦/١.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان** ١٥٢/٤.
- **البداية والنهاية** ٣١١/١٣.
- **تاريخ علماء بغداد** ٧٨-٧٩.
- **الوفيات** لابن رافع السَّلامي ٣٢٢/١، ٣٥٩.
- **عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان** الورقة ١٤٤ (مخطوط عارف حكمت)، والورقة ١٧٧/١ (مخطوط مكتبة الفاتح).
- **إرشاد السالك إلى أفعال المناسك** ٥٥٨.
- **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ٤٣/١، ٦٤، ٨٠، ١٣٠، ١٧٢/١، ١٧٣، ٣٠٨، ٣٦٠، ٤٣٥، ٥٢٢، ٢٠/٢، ٢٧، ٣٨، ٦٩، ١٢٢-١٢٣، ١٤٥، ١٧٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٣٠٩.
- **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٢/٥-٤٣٩.
- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ٢٠٩/٢.
- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان** ٣٦٧/٢.
- **المعين في طبقات المحدثين** ٢١٩.
- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ** ٨١/١-٨٣.
- **المنهل الصَّافي والمستوفي بعد الوافي** ٢٦٦/٧-٢٦٨.
- **الدَّليل الشافي على المنهل الصافي** ٤١٣/١.
- **البلدانيات** للسخاوي ٢٦٩.

- **التُّحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ٣/١٨-٢٠، ٤٦٧.
- **الدّارس في تاريخ المدارس** ١/٧٨.
- **سبل الهدى والرشاد** ٣/٣١٥.
- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ٣/٢٦١
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ٧/٦٩٢.
- **أبجد العلوم** ٣/١٠٤.
- **هدية العارفين** ١/٥٧٤.
- **المجموعة النبهانية** ٣/٣٩٨
- **الأعلام للزركلي** ٤/١١.
- **معجم المؤلفين** ٢/١٥٣-١٥٤.
- **منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول** ﷺ ١/٥٧٩.
- الحجاز في القرن السَّابع الهجري على ما في رحلة ابن رُشَيد الأندلسي: لحمد الجاسر، **مجلة العرب**، ص ٩٤٤-١٠٤٣، ج١٠-١١، ١٣٨٩.
- **معجم ما ألف عن مكة** ١٥٦.
- أعلام بني عساكر من القرن السَّادِس الهجري وحتى نهاية القرن العاشر الهجري ٩٢-٩٣ لمحمد مطيع الحافظ، **مجلة التراث العربي**، ع ٢، ١٩٨٠م.
- شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر: لمصطفى عمار منلا، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢٠٠٤م.
- **الشعر في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرنين السَّابع والثَّامن الهجريين: دراسة موضوعية وفنية** د. مجدي محمد الخواجي، وتردد اسم أبي اليُمْن ابن عساكر في عدد من صفحاته، هي: ١/٢٣، ٦٩، ٧٣، ٨٣، ١٠٦، ١٠٨، ١١٣، ١١٨، ١٨٧-١٩٤، ١٩٨-١٩٩، ٢١٥-٢١٧، ٢٢٩-٢٣٢، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٣-٣٢٥، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٨٨-٣٩١، ٢/٥٠٣، ٥٠٥.
- **رحلة الرحلات** مكة في **مائة رحلة مغربية ورحلة** ٢٢٧، ٣٥٠-٣٥٢.
- **الفوائد المنتقاة من الجزء الخامس من رحلة ابن رشيد الفهري ملء العيبة:**

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-267369.html

مقدمات كتبه الآتية:

- **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي** ﷺ.
- **أحاديث السفر.**

- **جزء فيه أحاديث شهر رمضان في فضل صيامه وقيامه.**

(٤) **ملء العيبة** ١٤٥/٥، شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ١٨٦.

(٥) **الأعلام** ١١/٤.

(٦) **العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٣/٥، **ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨١، **وفي تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السلامي ٧٩، **وتاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥-٥٧٣ : أنه ولد ١٢ من ربيع الأول.

(٧) **تاريخ الإسلام** ٥١٤/١٥.

(٨) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**،ع٨، ١٨٩- ١٩٣.

(٩) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨١.

(١٠) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**،ع٨، ١٩١.

(١١) **العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥، والبلدانيات للسخاوي ٢٦٩.

(١٢) **العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥، وينظر في جهاده شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه **إتحاف الزائر، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ١٩٣- ١٩٥.

(١٣) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**،ع٨، ١٩٦.

(١٤) **تاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥-٥٧٣.

(١٥) **ملء العيبة** ١٤٧/٥.

(١٦) السابق،ع٨، ١٩٦

وفي بعض المصادر (٤٠) عامًا. ينظر **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ١٢٢/٢، **ولحظ الألحاظ** ٨٢، **والأعلام** ١١/٤.

(١٧) **العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥

(١٨) ينظر في شيوخه: **ملء العيبة** ١٤٥/٥-٢٣، حيث ذكر عددًا من شيوخه، وينظر **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السلامي ٧٨، **العِقْد الثَّمِين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥، **وفوات الوفيات** ٣٢٨/٢، **وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ١٢٢/٢، **ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨١/١-٨٣، **وتاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥-٥٧٣.

(١٩) **ملء العيبة** ١٤٥/٥، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥.

(٢٠) للوقوف على كل شيوخه ينظر البحث الموسوم بشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢٠٢- ٢٠٧.

(٢١) ينظر في تلاميذه: **ملء العيبة** ١٤٥/٥- ٢٣٠، حيث ذكر مؤلفُه عددًا منهم، وينظر **تاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥-٥٧٣، و**تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السّلامي ٧٩، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٣/٥،

(٢٢) **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السّلامي ٧٩.

(٢٣) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزّائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢١٠- ٢١١.

(٢٤) **إفادة التصحيح في التعريف بسند الجامع الصحيح** ١١٨.

(٢٥) ينظر البحث الموسوم بشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه **إتحاف الزائر**، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢١٢.

(٢٦) ينظر **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**تاريخ الإسلام** ٥٧٢/١٥.

(٢٧) **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق** ١٣٦/١

(٢٨) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٢/٥، و**سبل الهدى والرشاد** ٣١٥/٣.

(٢٩) ينظر التفصيل في اختلاف العنوان: البحث الموسوم بشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع١١٥، ٨.

(٣٠) **مِلْء العَيْبة** ٥/ ٢١٨- ٢١٩، و**العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٢/٥، و**أزهار الرياض في أخبار عياض** ٢٦١/٣، وشيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع١١٥، ٨.

(٣١) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**الأعلام** ١١/٤، و**معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٢) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**الأعلام** ١١/٤، و**معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٣) **تاريخ علماء بغداد** لابن رافع السلامي ٧٩، **معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٤) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥، و**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، و**الأعلام** ١١/٤، و**معجم المؤلفين** ٢٣٦/٥.

(٣٥) **برنامج الوادي آشي** ٥٢٦.

(٣٦) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٤٣٤/٥.

(٣٧) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ٨٢، ولعل مؤلفه يقصد **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي** ﷺ.

(٣٨) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٤، **والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** ٧/٢٦٦-٢٦٨.

(٣٩) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة**، ع٨، ٢٠٠م، **وفوات الوفيات** ٢/٣٢٨، **وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد** ٢/١٢٢، **ولحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ١/٨١-٨٣، **والوافي بالوفيات** ١٨/٤٤٧، **وفوات الوفيات** ٢/٣٢٨، **وتاريخ الإسلام** ١٥/٥٧٢-٥٧٣، **وتاريخ علماء بغداد** ٧٩. و١٥.

(٤٠) **العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين** ٥/٤٣٣.

(٤١) شيخ الحجاز ابن عساكر وكتابه إتحاف الزَّائر، **مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوَّرة**،ع٨، ٢١٣ - ٢١٤.

# دور بعض الخلفاء والسلاطين في عمارة المسجد الحرام في ضوء النقوش الإسلامية

د. فيصل عبدالله بني حمد(*)

**الملخص:**

يركز هذا البحث على جهود بعض الخلفاء والسلاطين في عمارة المسجد الحرام في ضوء النقوش الإسلامية المتوافرة التي ورد ذكرها في بعض المصنفات التاريخية والجغرافية، حيث يتتبع تاريخ تلك العمارة، ابتداءً بصدر الإسلام وحتى نهاية العصر المملوكي الثاني ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

**تمهيد:**

نالت النقوش الإسلامية في مكة المكرمة اهتمامًا كبيرًا من بعض المؤرخين قديمًا وحديثًا، فقلَّما تخلو المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحالة من إشارة إلى نقش أو أكثر عُثر عليه في هذه المدينة المقدسة، وبالذات في المسجد الحرام؛ نظرًا إلى مكانته الدينية في قلوب المسلمين.

ويظهـر من دراسـتنا للنقوش الإسـلامية أن البيت الحرام خـلا تمامًا من أي نقش يعود إلى صـدر الإسـلام (عصـر النبوة والخلفاء الراشـدين)، مع أن بعض المصادر التاريخية أشـارت إلى توسع عمراني ملحوظ في المسجد الحرام، وذلـك في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب[١] (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وعثمان ابـن عفـان[٢] (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) رضـي الله عنهما. ولا شـك أن العامل الديني كان له تأثير واضح في هذا الجانب، فلعل الخلفاء حرصوا على عدم وضع أسـمائهم على لوحات تذكارية حتى يكون عملهم خالصًا لوجه الله تعالى، بعيدًا عن الرياء.

أما في العصـر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، فأكدت بعض المصادر والدراسـات الحديثة وجود أكثر من نقش إسلامي يرجع إلى ذلك العصر. وكما يبـدو أن أقـدم نقش إسـلامي عثر عليـه في المسـجد الحرام يعود إلـى الخليفة الأمـوي عبدالملك بـن مـروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م)، وتحديدًا إلى سـنة (٨٠هـ/٦٩٩م). فالخليفة عبدالملك أمر برفع جدران المسـجد الحرام وسـقفه بالسـاج، ثم جعل في كل أسطوانة خمسـين مثقالاً من الذهب، ونقش على بعضها بخط ذهبي ما يأتي: «بسـم الله أمر عبدالله أمير المؤمنين بعمل هذه الأسـاطين على يدي ابن أبي الأزهر سنة ثمانين»[٣].

ونظـرًا إلـى اسـتقرار الدولـة العباسـية وازدهارهـا، ثـم انفتاحهـا علـى الحضـارات الأخرى؛ فقد شـهد العصـر العباسـي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٦م) نهضـة عمرانية واسـعة، كان للبيت الحرام نصيب وافر منها؛ فالخليفة أبـو جعفر المنصـور كلف أمير مكة زيـاد بن عبيدالله الحارثـي[٤] بالقيام بهذه المهمة الجليلة، حيث بدأ العمل في التوسـعة في شـهر (محرم سنة ١٣٧هـ / تموز (يوليو) ٧٥٤م)، وانتهى العمل في شهر ذي الحجة سنة (١٤٠هـ/ نيسان (إبريل) ٧٥٨م). فعلـى باب بني جُمَـح[٥] وُجِد نقشٌ مكتوبٌ يوثق تلك المنجزات المعمارية

التـي جـرت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصـور[٦]. مـع أن بعض تلك المنجزات لم تذكـر تواريخها؛ فمثلاً لم تحدد السـنة التـي كان فيها تجديد الحِجْر في عهد الخليفة المنصـور، حيث اكتفت بعض المصـادر بالقول إن ذلك التجديد جرى في السنة التي حج فيها المنصور، وهذا ما أحدث لَبسًا عند بعض المؤرخين؛ فالفاسي علق على ذلك بقوله: «وهذا لا يفيد معرفة السنة التي فعل فيها ذلك؛ لأن المنصور حـج وهو خليفة أربع حجات»[٧]. وفي رواية أخرى خمس حجات[٨]، فالأولى كانت سـنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)، والثانية سنة (١٤٤هـ/ ٧٦١م)، والثالثة سنة (١٤٧هـ/ ٧٦٤م)[٩]، والرابعة سـنة (١٤٨هـ/٧٦٥م)، والخامسـة (١٥٢هـ/٧٦٩م)[١٠]، وفي سـنة (١٥٨هـ/٧٧٤م) توجه المنصور لأداء مناسـك الحج، لكن أجله انتهى قبل التروية بيوم عند بئر ميمون[١١] خارج مكة[١٢]. وهذا دفع الفاسي للاجتهاد، فقـال: «والظاهـر ـ والله أعلـم ـ أن ذلك وقع في سـنة أربعين ومائـة؛ لأن في هذه السـنة كان الفراغ من عمارة المسـجد التـي أمر بعملها المنصـور على يدي زياد الحارثي كما ذكره الأزرقي في ذلك»[١٣].

كذلك يتبين من دراسـة بعض النقوش دور الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) في العناية بعمارة المسجد الحرام، ويبدو أن هذا الخليفة فاق غيره من الخلفاء العباسـيين في هذا المجال، فكما نلحـظ أن العمل بدأ بحفر بئر على باب البقّالين[١٤] سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، وجعلها وقفًا ينتفع بها الناس، فالفاكهي شـاهد نقشًا على طاقها وصفه بقوله: «وكتب على وجه الطاق كتابًا بالجِصِّ وهو قائـم إلى اليوم: بسـم الله الرحمن الرحيم، الملك الحق المبين، وصـلى الله على محمد سـيد العالمين، سقاية مباحة لبادي المسـلمين وحاضرهم، محرَّمٌ أجرتُها، رحم الله من دعا لمن أباحها بخير»[١٥].

ولم يكتف الخليفة المهدي بذلك؛ بل أمر بتوسـعة المسجد الحرام، فنفذ العمل علـى مرحلتـين: الأولى بـدأت سـنة (١٦٠هــ/ ٧٧٦م)[١٦]، وفي رواية ثانية سـنة

(١٦١هـ/٧٧٧م)[١٧]. وكما يبدو أن هذه المرحلة انتهت سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م)[١٨]. أما سبب الخلاف بين الروايات التاريخية حول بداية هذه المرحلة، فلعل ذلك يرجع إلى عدم عثورنا - لغاية اليوم - على نقش مؤرِّخ لذلك الحدث.

أما المرحلة الثانية، فلا يوجد تضارب بين الروايات حول بداية تاريخ هذه المرحلة، فعلى الجهة الغربية الشمالية للبيت الحرام شاهد ابن جبير نقشًا مكتوبًا في أعلى جدار البلاط نصُّه: «أمر عبدالله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحاجِّ بيت الله وعُمَّاره، في سنة سبع وستين ومئة»[١٩].

وعلى سارية خارج باب الصفا عثر ابن جبير على نقش مكتوب يؤكد توسِعة الخليفة المهدي للمسجد الحرام. وهذا نصه: «أمر عبدالله محمد المهدي أمير المؤمنين، أصلحه الله تعالى، بتوسعة المسجد الحرام مما يلي باب الصفا، لتكون الكعبة في وسط المسجد، في سنة سبع وستين ومئة»[٢٠].

وعلق ابن جبير على أهمية هذا النقش بقوله: «فدلّ ذلك المكتوب على أن الكعبة المقدسة في وسط المسجد، وكان يُظنّ بها الانحراف إلى جهة الصفا، فاختبرنا جوانبها المباركة بالكيِّل، فوجدنا الأمر صحيحًا حسبما تضمَّنه رسم السارية»[٢١]. وهذا يؤكد لنا مصداقية تلك النقوش وما ورد فيها من معلومات دقيقة ومهمة.

كما شاهد ابن جبير نقشًا آخر على سارية قرب باب الصفا يؤكد منجزات الخليفة المهدي في البيت الحرام، وفيما يأتي نصه: «أمر عبدالله المهدي محمد أمير المؤمنين، أصلحه الله، بصرف الوادي[٢٢] إلى مجراه على عهد أبيه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وتوسعته بالرحاب التي حول المسجد الحرام لحاجِّ بيت الله وعُمّاره». وأسفل السارية السابقة شاهَد ابنُ جبير نقشًا آخر يشير إلى قيام المهدي بتوسعة الباب الأوسط[٢٣].

لقد أثنى الفاسي على جهود الخليفة المهدي بقوله: «وليس لأحد من الأثر في النفقة في عمارته مثل ما للمهدي، فالله يثيبه، واسمه إلى الآن في سقف المسجد الحرام قريبًا من منارة الميل»[٢٤] أو ما تعرف بمنارة باب علي[٢٥].

ويظهر أن حالة الاستقرار في عهد المهدي كانت من العوامل الرئيسة في ازدهار العمران، فوالده قضى على أشد الحركات المناهضة للدولة[٢٦]، كما ترك المنصور - عقب وفاته - ثروة هائلة قُدرت بخراج عشر سنين[٢٧]. ولا شك أن الخليفة المهدي خصص جزءًا كبيرًا منها للإنفاق على تشييد المنشآت العمرانية وصيانتها، ومنها عمارة المسجد الحرام.

وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٦٥٦هـ/ ٨٤٦-١٢٥٨م) أشارت بعض النقوش إلى دور الموفق - ولي عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٦٩-٨٩٢م) - في رعاية المسجد الحرام سنة (٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)؛ فقد نقش على بعض الألواح التي غطت به سقفه ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر الإمام الناصر لدين الله أبو أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين - أطال الله بقاءه - بعمارة المسجد الحرام، رجاء ثواب الله والزُّلْفة إليه، وجرى ذلك على يدي هارون بن محمد ابن إسحاق بن موسى عامِله على مكة ومخاليفها[٢٨] في سنة اثنتين وسبعين ومائتين»[٢٩].

كما كتب على ألواح أخرى في سقفه وعلى بعض جدران المسجد الحرام ما يأتي: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أخو أمير المؤمنين - أطال الله بقاءهما - القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما رجا في ذلك من ثواب الله تعالى، وأُكْفِرَ به إليه، فأجزل الله ثوابه وأجره، وأجرى ذلك..... في سنة اثنتين وسبعين ومائتين»[٣٠].

ومن جهة أخرى تُشعر بعض النقوش مدى التنافس بين بعض الخلفاء الفاطميين والعباسيين في رعاية المسجد الحرام؛ فالرحالة ناصر خسرو

(ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) استند إلى بعض النقوش لإبراز دور الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) في العناية بالبيت الحرام. أما باقي الخلفاء الآخرين الذين ساهموا في عمارة المسجد الحرام، فيغفل ذكرهم، ويكتفي بالقول: «وحين يدخل السائر في الكعبة يجد على اليد اليمنى زاوية مربعة بمقدار ثلاث في مثلها، وهناك سُلَّم يؤدي إلى سطح الكعبة، عليه باب من الفضة له مصراع واحد، يُسمَّى باب الرحمة، وعليه قفل من الفضة، فإذا صار فوق سطح الكعبة يجد بابًا آخر، مثل الباب السابق، منقوش بالفضة على وجهيه. وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطى بالحرير الذي يحجبه عن الأنظار. وعلى حائط الكعبة الأمامي فوق العمد الخشبية كتابة ذهبية فيها اسم العزيز بالله سلطان مصر، الذي استولى على مكة من الخلفاء العباسيين. وعلى الحائط أربعة ألواح أخرى كبيرة من الفضة، متقابلة ومثبتة بمسامير من فضة. وعلى كل لوح منها اسم السلطان الذي أرسله من سلاطين مصر، وكان كل منهم يرسل لوحًا في عهده»[٣١].

ويظهر من دراسة النقوش أن التنافس ظل قائمًا بين الخلافتين العباسية والفاطمية حتى أواخر الدولة الفاطمية، فابن جبير شاهد نقشًا على باب الكعبة المشرفة مذهَّب ومكتوب بخط جميل نصه: «مما أمر بعمله عبدالله وخليفته الإمام أبو عبدالله محمد المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين، صلى الله عليه وعلى الأئمة آبائه الطاهرين، وخلّد ميراث النبوّة لديه، وجعلها كلمة باقية في عَقِبِه إلى يوم الدين، في سنة خمسين وخمس مئة»[٣٢].

من جانب آخر علق الفاسي على ما ورد في ذلك النقش وما سار عليه بعض المؤرخين من أمثال ابن الأثير[٣٣] الذين اعتقدوا أن الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) هو من أمر بعمل باب الكعبة، لكن حقيقة الأمر أن الفضل في ذلك إنما يعود إلى الوزير الجواد الأصفهاني[٣٤]، فهو الذي أمر

بصنع ذلك الباب سنة (٥٥٠هـ/١١٥٥م)[٣٥]. وبعد عام واحد أمر بوضعه في مكانه، وكان ذلك في سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) حيث كتب عليه اسم الخليفة «المقتفي العباسي، وحلاه الجواد حلية حسنة، بحيث كان يستوقف الأبصار لحُسن حليته»[٣٦].

ثم نلحظ أن الفاسي في كتابه **شفاء الغرام** حاول تصويب ما ورد ذكره في كتابه **العقد الثمين**؛ فهو لا يرى أيَّ تناقض بين رواية ابن الأثير وما ذكره ابن جبير بقوله: «وليس ما ذكره ابن الأثير من نسبة هذا الباب للمقتفي معارضًا لما ذكره ابن جبير من نسبته للجواد؛ لأن الجواد إنما صنعه بأمر المقتفي، وأضاف إليه هذا الباب بكتابة اسمه عليه، وإنما نبهنا على ذلك، لئلا يتوهم أن كلاً منهما صنع للكعبة بابًا؛ لأنه يبعُد أن يعمل كل منهما للكعبة بابًا في تاريخ واحد»[٣٧].

نلمس من كل ما ذكره الفاسي ضرورة أخذ الحيطة والحذر من بعض النقوش قبل اعتمادها، بل يجب علينا أن ننظر للأحداث التاريخية نظرة شمولية، لنكشف حقيقة محتوى تلك النقوش.

ويظهر كذلك من دراسة النقوش استمرار رعاية الدولة العباسية للمسجد الحرام حتى بعد زوال الدولة الفاطمية، فبعض الرحَّالة شاهدوا نقشًا يرجع إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م)؛ ففي الصفا ـ وتحديدًا مقابل باب علي رضي الله عنه ـ يوجد ساريتان خضراوان، على رأس كل واحدة منهما لوح منقوش بخط مذهب كتب عليه ما يأتي: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٣٨]، وبعدها: «أمر بعمارة هذا الميل عبد الله وخليفته أبو محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، أعز الله نصره، في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة»[٣٩].

ونلمس من دراسة النقوش غياب سلاطين الدولة الأيوبية عن إضافة أي منجز عمراني في البيت الحرام، ولا غرابة في ذلك؛ فقد كانت جهود معظم

حكام تلك الدولة تتجه إلى طرد الصليبيين من البلاد، واستعادة بيت المقدس من أيديهم[٤٠].

وبالمقابل أمدَّتنا النقوش بمعلومات غنية عن دور بعض السلاطين المماليك في رعاية المسجد الحرام؛ فالمماليك شعروا منذ إحيائهم للخلافة الإسلامية على يد السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) أنهم أصحاب الزعامة الدينية على العالم الإسلامي، لذا أولَوا الحرمين الشريفين عناية خاصة، ولقب بعضهم «خدام الحرمين»[٤١]؛ فالرحَّالة البلوي قدّم وصفًا جميلاً لما شاهده من منجزات بارزة في ذلك العصر بقوله: «... والميزاب في أعلى الصفح الذي على الحجر المذكور من صُفْر مذهب يغشى الأبصار، وقد خرج عن صفح البيت بمقدار أربعة أذرع، وسعته مقدار شبر، وهذا الموضع تحت الميزاب، وهو أيضًا مظنة استجابة الدعوة بفضل الله تعالى، وموضوع المقام الكريم وهو الذي يصلَّى خلفه يقابل ما بين الباب الكريم والركن العراقي، وعليه قبة خشب مركنة محدودة بديعة النقش، قد نُصبت على الموضع الذي كان فيه المقام. وبإزاء المقام الكريم منبران كبيران حسنان، فيهما ضروب من قطع الخشب الملون المتخيَّر المنتقى المستجاد، والجديد منها منقَّش من جميع جهاته، ووجوه درَجِه وتاجه المذهب بأبدع نقش وأحذقه، وصنائعه مقسومة على تصنيف وتشجير منطبعة كانطباع نسيج الديباج الهاشمي واليوسفي في الاعتدال والرونق، مسمر بمسامير الفضة الخالصة المذهبة، مقضب بصفائح الفضة المرفشة، منقوش عليه برسم الذهب ما نصه: مما عمل برسم الحرم الشريف في شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة»[٤٢].

وهي تعود إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون[٤٣]. وقبل ذلك عمل هذا السلطان على تجديد رخام الحِجْر، فاسمُه مكتوب على رخامة، وهو مؤرَّخ سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)[٤٤]. كما أمر السلطان الناصر بصنع باب للكعبة المشرفة من السنط الأحمر، وزخرف بكميات كبيرة من صفائح الفضة[٤٥]. وما زال اسمه

مكتوبًا على بابها كما يقول الفاسي[٤٦]. وبالاعتماد على بعض النقوش تبين دور الملك الظاهر برقوق في رعاية المسجد الحرام، فاسمه مكتوب في أعلى الحِجْر، وهو مؤرخ في (رمضان ٨٠١هـ/ أيار (مايو) ١٣٩٩م) [٤٧].

كذلك شاهَد الفاسي مجموعة أخرى من النقوش دلت على رعاية بعض السلاطين المماليك للبيت الحرام، لكن لم يذكر تاريخ تلك المنجزات، واكتفى بالقول: «واسم مولانا السلطان الملك الأشرف[٤٨] مكتوب بحائط الكعبة اليماني، بسبب ما أنفق في سلطنته من العمارة في الكعبة المشرفة»[٤٩]. وفي موضع آخر قال الفاسي: «واسم الأشرف شعبان بن حسين[٥٠] صاحب مصر مكتوب في أحد جانبي باب الكعبة في الفياريز[٥١] لتحليته لبابها في زمنه[٥٢]. واسم الملك المؤيد[٥٣] صاحب مصر ـ أبي النصر شيخ ـ مكتوب في أحد قيارين[٥٤] الباب، لتحليته في زمنه[٥٥]. وبين الركنين اليمانيين[*]، وهو موضع الرخامة في وسط هذا الجانب المكتوب فيها: «عمارة المنصور لاجين[٥٦] للمطاف»[٥٧].

كما استند الفاسي في كتابه **شفاء الغرام** إلى بعض النقوش لتوضيح دور بعض السلاطين المماليك في رعاية المسجد الحرام؛ فعلى العتبة العليا لباب الكعبة المشرفة مكتوب اسم السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٥م)، كما ظهر في ذلك المكان المقدس اسم والده الملك الظاهر، وأسماء بعض الأمراء المماليك؛ مثل: أيتمش[٥٨] ويشبك[٥٩] وغيره[٦٠].

وبالاعتماد على بعض النقوش، تبين جهود الملك الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) في العناية بالمسجد الحرام؛ إذ يعود إليه الفضل في عمارة عدة عقود، فاسمه ظهر على لوح مؤرَّخ في شهر (ذي القعدة ٨٢٥هـ/ تشرين أول (أكتوبر) ١٤٢٢م)[٦١]. كما شاهد إبراهيم رفعت اسم السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م) ـ آخر سلاطين المماليك الجراكسة ـ مكتوبًا على يمين باب إبراهيم[٦٢]، لكنه غير مؤرَّخ، وكان نصه: «أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري»[٦٣].

ومما زاد من قيمة هذه النقوش أن بعضها أشار إلى منجزات قام بها

بعض السلاطين لم يرد ذكرها في المصادر التاريخية الأخرى؛ مثل تجديد مقام إبراهيم عليه السلام سنة (٨٥٨هـ/١٤٥٤م) في عهد السلطان المملوكي إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٠م)[٦٤].

وأخيرًا نلحظ من بعض النقوش أن رعاية المسجد الحرام لم تقتصر على بعض الخلفاء والسلاطين فحسب، بل كان لبعض حكام الأقاليم والوزراء دور في ذلك؛ فعلى بعض مفاتيح باب الكعبة نقش اسم الملك المظفر[٦٥] صاحب اليمن[٦٦]. كما نُقش اسم المظفر على الرخام داخل الكعبة[٦٧].

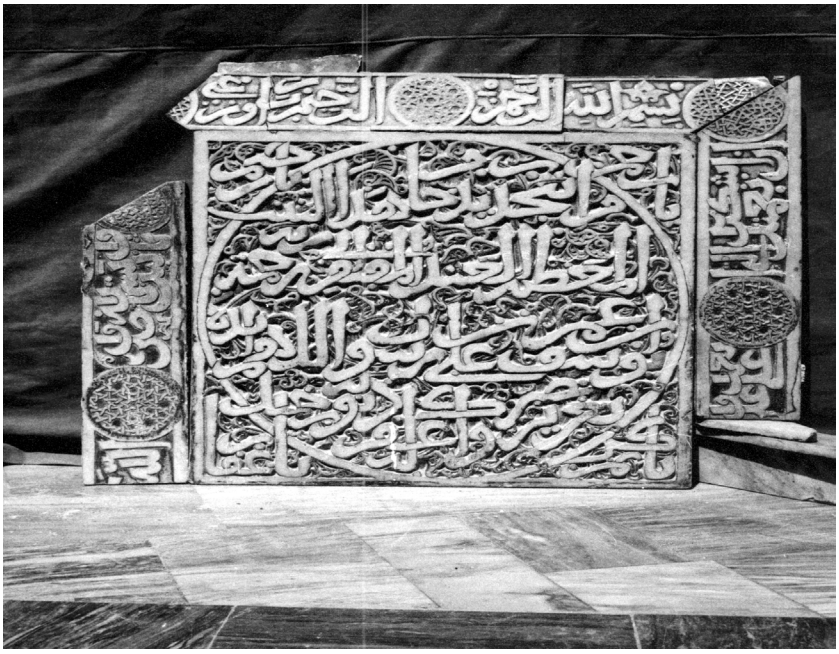

نقش إسلامي يؤرخ لتجديد رخام الكعبة المشرفة سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) بأمر من السلطان الرسولي الملك المظفر. مشلح المريخي، **مجلة الدارة**، الرياض، ع٣، ١٤٢٦هـ، ص٢٧٤.

## الهوامش:

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي- جامعة حفر الباطن.

(١) الأزرقي، محمد بن عبدالملك (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق رشدي ملحس، ط٨، مكتبة خياط، بيروت،١٩٦٦م، جـ١، ص٥٩٣.

(٢) الأزرقي، **أخبار**، جـ١، ص٥٩٣.

(٣) الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت بين سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م وسنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، كتاب **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٩٩٤م، جـ٢، ص١٦١.

(٤) زياد بن عبيد الله الحارثي (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م): هو خال الخليفتين العباسيين (أبي العباس وأبي جعفر المنصور). تولى إدارة المدينة ومكة والطائف واليمامة عقب وفاة داود بن علي سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٧م ج٧، ص٤٥٩. الصفدي، صلاح الدين، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢ م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١م، جـ١٥، ص٩.

(٥) باب بني جُمَح: ليس له أثر الآن كما يذكر الفاسي، ثم يضيف: «وموضعه فيما أظن بعض الأساطين المتقدمة في زيادة إبراهيم التي في وزان جدار المسجد من هذا الجانب، والله أعلم». أما البلادي فيرى أن مكانه مقابل باب بني هاشم، ثم أدخل فيما بعد ضمن المسجد الحرام. الفاسي، تقي الدين (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد مصر، ٢٠٠٨م، جـ١، ص٣٨٢؛ البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ط٢، دار مكة، ومؤسسة الريان، مكة المكرمة، وبيروت، ٢٠١٠م، ص١٦٠.

(٦) الأزرقي، **أخبار**، جـ١، ص٦٠١-٦٠٢ ؛ ابن فهد، عمر بن فهد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، **إتحاف الورى بأخبار أم القُرى**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القُرى، مكة المكرمة، ١٩٨٤م، جـ٢، ص١٧٥-١٧٦ .

(٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٨

(٨) المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م، ص٦٧.

(٩) ابـن خيـاط، خليفة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م، ص٤٢١، ٤٢٤ ؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٨.

(١٠) ابن خياط، **تاريخ**، ص٤٢٦ ؛ المقريزي، **الذهب المسبوك**، ص٦٧.

(١١) بئر ميمون: نسـبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضـرمي، وهو أخو العلاء بن الحضـرمي والي البحرين، جرى حفر البئر قبل الإسلام، وهو يقع في أعلى مكة. ياقوت الحموي، شهاب الدين (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، جـ١، ص٣٠٢.

(١٢) ابن خياط، **تاريخ**، ص٤٢٨ ؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٨-٣٥٩.

(١٣) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٩.

(١٤) بـاب البقّالـين: هو باب أجيـاد الكبير. مجهول مراكشـي (ق٦هـ/١٢م) **الاستبصـار في عجائب الأمصار**، نشره وعلق عليه سعد عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٥م، ص٢٥.

(١٥) الفاكهي، **أخبار مكة**، جـ٢، ص١٧٤.

(١٦) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق كامل سلمان الجبوري وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، جـ١، ص١٨٧.

(١٧) ابن فهد، **إتحاف**، جـ٢، ص٢٠٩.

(١٨) اليعقوبـي، أحمـد بـن أبي يعقـوب (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م)، **كتاب البلـدان**، طبعة ليـدن، ١٨٩٠م، ص١٠١؛ سـعاد ماهر، بعض الكتابات التذكارية في العصـر العباسي بمكة المكرمة، **مجلة الدارة**، الرياض، ع٢، رجب، ١٣٩٨هـ، ص٥٩.

(١٩) ابـن جبـير، محمـد بن أحمد الأندلسـي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، **رحلـة ابن جبـير**، بيروت، دار صـادر، دار بيروت، ١٩٦٤م، ص٦٨.

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) يقصـد به الوادي المنسـوب لإبراهيم عليه السـلام، ومجراه على باب الصفا المذكور، **رحلة ابن جبير**، ص٨٦.

(٢٣) **رحلة ابن جبير**، ص٨٦.

(٢٤) **الزهور المقتطفة**، ص١٣١؛ **العقد الثمين**، جـ١، ص٨٣

(٢٥) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥.

(٢٦) مثل حركة محمد النفس الزكية في المدينة المنورة سنة (١٤٥هـ /٧٦٢م)، ابن خياط، **تاريخ**، ص٤٢١-٤٢٣.

(٢٧) الطبري، **تاريخ**، جـ٨، ص١٠٣.

(٢٨) مخاليفها: يقصد بها قرى مكة، حيث اختلف عددها من عصر لآخر. الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٤٤.

(٢٩) الفاكهي، **أخبار مكة**، جـ٢، ص١٧٦.

(٣٠) المصدر السابق.

(٣١) خسرو، ناصر (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص١٤٨.

(٣٢) **رحلة ابن جبير**، ص٦٩.

(٣٣) ابن الأثير، عز الدين علي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبدالله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م. جـ٩، ص٤١٩.

(٣٤) يقصد به جمال الدين الأصبهاني: هو أبو جعفر محمد بن علي بن أبي المنصور، الملقب بجمال الدين، المعروف بالجواد الأصفهاني، لكرمه وبذله للمال، تقلد عدة مناصب في العصر السلجوقي؛ منها ديوان العرض للسلطان محمود بن ملكشاه، ثم أصبح وزيرًا، كما كلفه عماد الدين زنكي بإدارة الموصل سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م)، وحافظ على حكم آل زنكي للموصل، لا سيما بعد مقتل سيده عماد الدين عند قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وفي سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) اعتقل نتيجة لمؤامرة دُبرت له، حيث سجن في قلعة الموصل، فأصابه المرض وتوفي سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م). ابن خلكان، شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج٥، ص ١٤٣- ١٤٥.

(٣٥) **العقد الثمين**، جـ١، ص٥١؛ ابن فهد، **إتحاف**، جـ٢، صـ٥١٥ ؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، جـ١، ص٤٢.

(٣٦) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٢.

(٣٧) المصدر السابق، جـ١، ص١٧٣.

(٣٨) سورة البقرة، ١٥٨

(٣٩) **رحلة ابن جبير**، ص٨٤ ؛ البلوي، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠هـ/ ١٣٨٧م)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، (د. م، د. ت). ص١٠٧.

(٤٠) ابن شداد، بهاء الدين (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٥٣-٥٦، ١٢٦-١٦٩؛ سعيد عاشور، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٥٥-١٢٦.

(٤١) أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٩٦.

(٤٢) البلوي، **تاج المفرق**، ص١٠٦.

(٤٣) الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ تولى السلطنة ثلاث مرات: الأولى ما بين عامي (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م)، والثانية بين عامي (٦٩٨-٧٠٨هـ/ ١٢٩٩- ١٣٠٩م). أما الثالثة، فكانت ما بين عامي (٧٠٩-٧٤١ هـ / ١٣٠٩-١٣٤١م). المقريزي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، جـ٢، ص٢٤٩، ٢٥٩، ٣١٠، ٤٤٢، جـ٣، ص٣٠٦.

(٤٤) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٩.

(٤٥) ابن فهد، **إتحاف**، جـ٣، ص٢٠٣.

(٤٦) **العقد الثمين**، جـ١، ص٥٢؛ **الزهور المقتطفة**، ص٦٤.

(٤٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٥٩.

(٤٨) المصدر السابق.

(٤٩) الجزيري، **الدرر**، جـ١، ص٤٧.

(٥٠) يقصد به الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون؛ تولى السلطنة بين عامي (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٣٦٢-١٣٧٦م). المقريزي، **السلوك**، جـ٤، ص٢٦٧، جـ٥، ص١٤.

(٥١) الفياريز: كلمة معرَّبة، يبدو أن أصلها يوناني، وتعني نوعًا من الزينة تُحَلَّى بها جدران العمائر أو المباني. دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، جـ٨، ترجمة محمد النعيمي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧م، ص٤١.

(٥٢) الفاسي، **العقد الثمين**، جـ١، ص٥٢ ؛ الجزيري، **الدرر**، جـ١، ص٤٧.

(٥٣) يقصد به السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي؛ تولى السلطنة بين عامي (٨١٥-٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م). المقريزي، **السلوك**، جـ٦، ص٣٣٨، جـ٧، ص٢٧.

(٥٤) قيارين: لعل المقصود بها زوايا الباب.

(٥٥) في كتاب **شفاء الغرام** ذكر الفاسي أن ذلك العمل انتهى في ذي الحجة سنة (٨١٦هـ/١٤١٣م). الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٤.

(*) **العرب**: (الركنين اليمانيين) عبارة ملتبسة، وتكررت مرتين في الصفحة نفسها في **العقد الثمين**، ووجدنا لها توضيحًا في كتاب الفاسي الآخر **شفاء الغرام**، ١/١-٢٢٢، حيث قال: «... موضع مصلى النبي ﷺ بين الركن اليماني والحجر الأسود... في وسط هذا الجدار، فإذا هو موضع الرخامة البيضاء المكتوب فيها: أمر بتحديد المطاف الشريف العبد الفقير الراجي عفو ربه الغفور الملك المنصور لاجين» ع.هـ.

(٥٦) الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبدالله المنصوري؛ تولى السلطنة بين عامي (٦٩٦-٦٩٨هـ / ١٢٩٦-١٢٩٨م). المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص٢٧٤

(٥٧) الفاسي، الزهور المقتطفة، ص١٢٧؛ **العقد الثمين**، جـ١، ص٨٢.

(٥٨) أيتمش: جعله الملك الظاهر أتابكًا (أي مربيًا) لولده. الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٩؛ محمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٠م، ص١١.

(٥٩) يشبك: كان خازندارًا (صاحب بيت المال) للملك الظاهر ثم لابنه الملك الناصر، ثم أصبح دوادارًا (حامل دواة السلطان، أي إبلاغ الرسائل عن السلطان) للملك الناصر وأتابكًا له. الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٩-١٨٠ ؛ محمد دهمان، **معجم الألفاظ**، ص٦٨، ٧٧.

(٦٠) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص١٧٩-١٨٠.

(٦١) المصدر السابق، جـ١، ص٣٨٠.

(٦٢) باب إبراهيم: يعد من أكبر أبواب المسجد الحرام، واختلف بعض المؤرخين في سبب تسميته؛ فمنهم من نسبه لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ومنهم من نسبه لخياط كان يجلس عنده. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٥م، جـ١، ص٢٣٣.

(٦٣) إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، جـ١، ص٢٣٣.

(٦٤) محمد الفعر، **الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٩٨٦م، ص٢.

(٦٥) الملك المظفر: اسمه يوسف بن عمر بن رسول التركماني اليمني؛ ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن. ولد بمكة سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وتولى الحكم بعد مقتل والده سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، وظهرت في أيامه فتن وحروب، واستمر حاكمًا حتى وفاته سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، ١٩٩٨م، جـ١٧، ص٦٧٧-٦٧٨.

(٦٦) **الزهور المقتطفة** ص٦٤؛ **العقد الثمين**، جـ١، ص٥٢.

(٦٧) ابن فضل الله العمري، **مسالك**، جـ١، ص١٨١-١٨٢.

# مراجعة نقدية لتحقيق

## رسالة في توجيه قراءة ابن مُحيصن في الإستبرق لعبدالقادر البغدادي

(٢)

د.محمد جمعة الدِّربي(*)

١٧٤-ص٦٢=٩ب: «وهو جمع عند الأخفش»! لم يذكر الفاضلان الدليل على أنه الأخفش الأوسط، واكتفيا بالترجمة له، فذكرا أنه «عالم باللغة والأدب»!

١٧٥-ص٦٢=٩ب: (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لها طلع نضيد)! وفي المخطوطة (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) فقط؛ فهل تجوز تكملة الآيات في المتن؟!

١٧٦-ص٦٢=٩ب: «عليه.. .. ..»! وفي المخطوطة بخط واضح لا يحتاج إلى نقاط الحذف: «وعليه: ألا إن جيراني العشيةَ رائحُ»، وقد وضع المصنف حرف (ع) للدلالة على الشعر!

١٧٧-ص٦٢=١٠أ: «لأنه جنس عمومه من النحاة، وذلك اسم جنس عمومه من النحاة...»! الصواب: «لأنه جنس عمومه من الأداة، وذاك اسم جنس عمومه

من لفظه فلا قُبح مطلقًا». فانظر إلى السرعة في القراءة والاضطراب في عدد النقاط الدالَّة على الحذف!

١٧٨-ص٦٢= ١٠أ: «وجُرَّ إستبرق نسقاً على سندس»! القراءة الصحيحة «وجَرٌّ إستبرق نسقًا على سندس» لمجيئها في بعض المصادر بلفظ «وخفض إستبرق »، ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف!

١٧٩-ص٦٢= ١٠أ: «وأما الثالثة: فرفع خضر نعتاً لثياب، وجرَّ (!) إستبرق نسقاً على (سندس)»! والصواب: «وأما الثالثة: فرفع (خضر) نعتًا لـ (ثياب)، وجرٌّ (إستبرق) نسقًا على (سندس)». فانظر إلى وضع سندس وحدها بين قوسين، والإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٠-ص٦٢= ١٠أ: «قال الجعبري: وفيه فصل بين المعطوف، والمعطوف عليه بالصفة التي هي خضر»! والصواب: «قال الجعبري: وفيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالصفة التي هي خضر». فانظر إلى الفصلة مع عدم توثيق كلام الجعبري!

١٨١-ص٦٢= ١٠أ: «وأما الرابعة: فجرٌّ خضر نعتاً لسندس، ورفع إستبرق نسقاً على (ثياب)»! والصواب: «وأما الرابعة: فجرٌّ (خضر) نعتًا لـ (سندس) ورفع (إستبرق) نسقًا على (ثياب)». فانظر إلى وضع ثياب وحدها بين قوسين، والإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٢-ص٦٢= ١٠أ: «وفاقاً لأبي عبيد وأبي عليّ»! لم يترجم الفاضلان لأبي عبيد، ولم يوثّقا كلام أبي عليّ، مع الإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٣-ص٦٢= ١٠أ: ترجم الفاضلان لأبي علي الفارسي، فذكرا له «**التذكرة، والحجة والمقصور والممدود**، وغيرها»! ونذكّر الفاضلين بضرورة الفصل بين **الحجة والمقصور والممدود**؛ لأنهما كتابان.

١٨٤-ص٦٢= ١٠أ: «والعطف لا جمع وفاقاً للجمع عليه فـ ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا

خُضْرًا﴾»! والصواب: «والعطف بلا جمع وفاقًا للمجمع عليه في: ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾»، وانظر إلى السرعة في القراءة بلا فهم، مع عدم تخريج الشاهد، والإصرار على وضع التنوين على الألف!

١٨٥-ص٦٢= ١٠ب «والفصل، أي: بالصفة بين المعطوفين أسهل من الحذف»! والأفضل «والفصل - أي بالصفة بين المعطوفين - أسهل من الحذف».

١٨٦-ص٦٣= ١٠ب: ترجم الفاضلان لوَرْش، ولم يترجما لرُوَيْس!

١٨٧-ص٦٣= ١٠ب: ترجم الفاضلان لأبي البقاء العكبري، فذكرا له «التصريف في الترصيف»! والصواب: «**الترصيف في التصريف**»، كذا في **بغية الوعاة** جـ٢/ ٣٩.

١٨٨-ص٦٣= ١٠ب: «قال ابن السمين: هذا الكلام أحق بأن يكون سهواً، (!) لأنا لا نسلِّم أن هذه القراءة من حذف همزة القطع أعني (!) لها مُجرى همزة الوصل وإنما ذلك من ... نقل حركة الهمزة»! والصواب: كما في المخطوطة: «قال ابن السمين: هذا الكلام أحق بأن يكون سهوًا؛ لأنا لا نسلِّم أن هذه القراءة من حذف همزة القطع إجراء لها مُجرى همزة الوصل وإنما ذلك من باب نقل حركة الهمزة». والعجيب أن الفاضلَيْن رجعا إلى **الدر المصون** دون الإفادة منه، مع إصرارهما على وضع التنوين على الألف، وعدم التزامهما بعدد النقاط الدالّة على الحذف!

١٨٩-ص٦٣= ١٠ب: «فحركة النون حركة ثقل»! وما في المخطوطة بخط واضح، والسياق يطلبه «فحركة النون حركة نَقْل».

١٩٠-ص٦٣= ١٠ب: «ثم قوله: إلا في الأفعال والمصادر»! لم ينتبه الفاضلان إلى ما نقله المصنف آنفًا بلفظ: «لا يكون في الأسماء بل في المصادر والأفعال»!

١٩١-ص٦٣= ١٠ب: «ليس هذا الحصر بصحيح اتفاقاً لوجود ذلك في أسماء عشرة ليست بمصادر»! لم يذكر الفاضلان الأسماء العشرة، مع إصرارهما على وضع التنوين على الألف!

١٩٢-ص٦٣= ١٠ب: «الفصل الثاني في كونه عربيّاً»! لا يزال الإصرار على وضع التنوين على الألف حتى في العناوين البارزة!

١٩٣-ص٦٣= ١١أ: «اعلم أنه إذا كان عربيّاً يكون وزنه اسْتَفْعَل من بَرِق يَبْرِقُ بَرَقاً، بالتحريك، وبَريقاً وبَرَقاناً بمعنى اللَّمَعان»! ومن الواضح خلط الفاضلين بين الفعل برق من باب فرح، وبرق من باب نصر، مع إصرارهما على وضع التنوين على الألف، والانشغال بضبط ما لا يحتاج إلى ضبط!

١٩٤-ص٦٣= ١١أ: «إستبرق بمعنى برِق لمائه»! والصواب: «استبرقَ بمعنى برَق بمائه».

١٩٥-ص٦٣= ١١أ: «ومثله قول الشاعر: تستبرقُ الأُفُقَ الأقصى إذا ابتسمت»! قال الفاضلان في الهامش: «هذا صدر بيت بلا نسبة، وعجزه: لمعَ السيوف سوى أغمادها القضب»! وهذا ادِّعاء؛ لأن المصنف نسب الشعر إلى أبي وجزة، وأشار إلى مجيء «الأقصى» في إحدى نسخ الديوان بلفظ «الأعلى»، وذكر عجز البيت بلفظ: «لمعَ السيوف سوى أجفانها القضب». فما الداعي لهذا الادِّعاء؟!

١٩٦-ص٦٣= ١١أ: «فعلى الأول، فهيئة تستبرق أبصار أهل الأفق»! والصواب: كما في المخطوطة «فعلى الأول معناه: تستبرق أبصار أهل الأفق».

١٩٧-ص٦٣= ١١أ: «وعلى الثاني: تبرَقُه أي: تأتي بالبَرَق منه»! والصواب: كما في المخطوطة: «وعلى الثاني: تبرُقُه أي: تأتي بالبَرَق فيه».

١٩٨-ص٦٣= ١١أ: «فيكون ممنوعاً من الصرف للعلمية ووزن الفعل»! كانت الأمانة تقتضي الإشارة في الحاشية إلى مجيء الكلمتين الأخيرتين في المخطوطة بلفظ «ووزن الوزن». ومن الواضح إصرار الفاضلين على وضع التنوين على الألف!

١٩٩-ص٦٣= ١١أ: «وهذا مَجٌّ من صنع الزمخشري»! الصواب: كما في المخطوطة بخط واضح، والسياق يؤكده «وهذا أصحُّ من صنيع الزمخشري»!

٢٠٠-ص٦٣=١١أ: «حيث اعتبر العُجمة، والعلمية لمنع الصـرف»! لم يفطن الفاضـلان إلى استعمال المصـنف «اعتبر» بمعنى «عدَّ»، والترقيم يقتضي «حيث اعتبر العُجمة والعلمية لمنع الصرف»!

٢٠١-ص٦٣=١١أ: ترجم الفاضـلان للزمخشـري، فذكـرا أنه «محمود بن عمـر بن أحمـد... ... له: **الأنمـوذج في النحو**، و**المفصـل في النحو** و**الكشـاف في التفسـير**»! والصـواب: أنه محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، كما أن **المفصـل** كتاب مستقلّ عن **الكشاف**!

٢٠٢-صـ٦٣=١١ب: «اضـطرّ في القراءة»! عاد الفاضـلان إلـى التعليقات الغريبة الخاصـة بالرسم، فقالا: «في الأصـل: القرأة، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتوسِّـطة، والصـواب: ما أثبتناه»، والفاضلان يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط، ولا يعرفان الإملاء القديم، ولا حرص القدماء على تنسـيق الصفحة! وقد وردت الكلمـة بهـذا الرسـم في أكثر من موضـع لم يلفت نظـر الفاضـلين (انظر مثلاً ص٦٥=١٢ب، ١٣أ ، ٦٦=١٤أ ، ١٤ب، ٦٧=١٦أ،١٦ب، ٦٨=١٦ب)!

٢٠٣-صـ٦٣=١١ب: «اعتبـاره عربيًّا سُـمِّي باسـتفعلَ مـن البريق وهمزته همـزة قطـع»! فطن الفاضـلان هنا إلى موضـع التنوين، ولكـن خانتهم القراءة الخاطئـة وعلامـات الترقيم. والصـواب: «اعتباره عربيًّا مُسـمًّى باسـتفعل من البريق. وهمزته همزة قطع».

٢٠٤-ص٦٣=١١ب: ذكر الفاضـلان في ترجمة ابن الحاجب أنه الأسنائي! هل يعرفان أن الكلمة نسـبة إلى منطقة بجنوب صـعيد مصر تسمَّى إسنا، وأنها بكسر الهمزة؟ نعم يجوز الفتح، ولكنها رمية من غير رامٍ!

٢٠٥-ص٦٣=١١ب: «إذا سُمِّي بـ (اضرب) المنقول من (!) فعل الأمر، فإن سُـمِّي به، ولا ضـمير فيه قلتَه (!) بقطع الهمزة»! والصـواب: كما في المخطوطة

«إذا سُمِّي بـ (اضرب) المنقول عن فعل الأمر، فإن سُمِّي به ولا ضمير فيه (فإنه) بقطع الهمزة». فانظر إلى خلل القراءة والترقيم!

٢٠٦-ص٦٣=١١ب: «جاءني»! علَّق الفاضلان، فقالا في الهامش: «في الأصل: جأني، وهو خطأ في كتابة الهمزة المتوسطة، والصواب ما أثبتناه»!

٢٠٧-ص٦٣=١١ب: «وإن سمّيت به، وفيه الضمير، فهو إذن فعل وفاعل، وهمزته همزة وصل»! فانظر إلى كثرة الفصلات!

٢٠٨-ص٦٤=١١ب: «ووجه الفرق ظاهر ، وهو أنه صار ، كالأسماء»! انظر إلى الفصلات لا سيما الفصلة بعد الفعل صار!

٢٠٩-ص٦٤=١١ب: «كا[لا] نطلاق»! هكذا كتبها الفاضلان. وقالا في الحاشية يحسبان أن هذا من الأمانة: «سقط من الأصل، والكلمة تقتضيه، وقد استدركه الناسخ في الحاشية بين السطرين»!

٢١٠-ص٦٤=١١ب: «والعشرة الأسماء وهي: ابن ، وابنة، إلى آخرها»! هذه هي المرة الثانية التي يهمل فيها الفاضلان التعريف بالأسماء العشرة، وانظر التزيُّد في علامات الترقيم!

٢١١-ص٦٤=١١ب: «وعلى هذا قرأه ابن محيصن»! ونرجِّح أن القراءة الصحيحة «وعلى هذا قراءة ابن محيصن».

٢١٢-ص٦٤=١١ب: «من طريق المُبهج ،وإستبرق، بقطع الهمزة وفتح القاف عطفاً»! وقواعد الترقيم والإملاء تقتضي: «من طريق **المُبهج**: (وَإِسْتَبْرَقَ) بقطع الهمزة وفتح القاف عطفًا».

٢١٣-ص٦٤=١١ب: «سندس وعبارة **المُبهج**»! والصواب: «سندس. وعبارة **المُبهج**»، ولم يوثق الفاضلان كلام المؤلف من **المبهج** المحقَّق في أكثر من طبعة!

٢١٤-ص٦٤=١٢أ: «بالرفع والتنوين (!) وترك تنوينه ابن محيصن، وجرَّه

بالفتحة ونوّنه الباقون»! والترقيم هنا أفسد المعنى والصواب: «بالرفع والتنوين، وترك تنوينه ابن محيصن وجرَّه بالفتحة، ونوَّنه الباقون». ولعل الفاضلين يعرفان أن الجر بالفتحة لا يجتمع مع التنوين!

٢١٥-ص٦٤=١٢أ: «وكذلك قال في **لطائف الإشارات** في خضر، وإستبرق»! ولا معنى للفصلة بين الكلمتين القرآنيتين، ولم يوثِّق الفاضلان قول القسطلاني؛ لأنهما يظنان أن **اللطائف** هنا للقشيري!

٢١٦-ص٦٤=١٢أ: «قرأ نافع، وحفص برفعهما ووافقهما الحسن، لكنه بغير تنوين فيهما، وقرأ ابن كثير، وأبو بكر بخفض الأول، ورفع الثاني، ووافقهما ابن محيصن»! والفاضلان لا يحسنان التعامل مع علامات الترقيم. والأفضل: «قرأ نافع وحفص برفعهما، ووافقهما الحسن لكنه بغير تنوين فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بخفض الأول ورفع الثاني، ووافقهما ابن محيصن»، ولم يترجم الفاضلان للحسن!

٢١٧-ص٦٤=١٢أ: «ضمير التثنية في الموصوف سهو»! والصواب: كما في المخطوطة بخط واضح، والسياق يطلبه: «ضمير التثنية في الموضعين سهو».

٢١٨-ص٦٤=١٢أ: «وروى الأهوازي عنه في الإنسان أيضاً ضم القاف بلا تنوين عطفاً»! لم يترجم الفاضلان للأهوازي، ولم يوثقا كلامه من مفردة ابن محيصن، ولا يزال التنوين عندهما على الألف!

٢١٩-ص٦٤=١٢أ: «وثياب إستبرق،وأما قول الصفراوي»! والترقيم يقتضى «وثياب إستبرق. وأما قول الصفراوي».

٢٢٠-ص٦٤-١٢أ: ترجم الفاضلان للصفراوي، فذكرا له «زهر الرياض المفصح عند المقاصد والأغراض»! والصواب: **زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض**.

٢٢١-ص٦٤=١٢أ: «فيكون على هذه الرواية حالاً ينصرف»! والصواب:

كما في المخطوطة، ويطلبه السياق: «فيكون على هذه الرواية اسمًا لا ينصرف»، وانظر إلى التنوين!

٢٢٢-ص٦٤=١٢ب: لم يتحرَّج الفاضلان من التصريح بعدم العثور على قائل بيت:

**نبئتُ أخوالي بني يزيدُ ظلمًا علينا لهمُ فَديد**

مع وجود رواية في **ديوان رؤبة**!

٢٢٣-ص ٦٥=١٢ب: «وعلى هذا قرأه ابن محيصن أيضاً»! والصواب كما في المخطوطة: «وعلى هذا قراءة ابن محيصن أيضًا»، ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف!

٢٢٤-ص٦٥=١٢ب: ترجم الفاضلان لابن جني، فذكرا له **الخصائص في اللغة، واللُّمَع في النحو والمحتسب في القراءات**»! والفصلة توهم أن **اللمع والمحتسب** كتاب واحد!

٢٢٥-ص٦٥=ب١٢: «واستبرق بالوصل، وفتح الآخر»! والصواب: «(وَاسْتَبْرَقَ)، بالوصل وفتح الآخر».

٢٢٦-ص٦٥=١٢ب: «في هذه القراءة أيضاً»! حقُّ التنوين أن يكون قبل الألف.

٢٢٧-ص٦٥=١٢ب: «وإستبرق نصباً»! والصواب: « (وَإِسْتَبْرَقَ) نصبًا».

٢٢٨-ص٦٥=١٢ب: لم يفطن الفاضلان إلى اختلاف نص المطبوع من **الكشاف** للزمخشري عن النص الذي ينقله عنه المصنف!

٢٢٩-ص٦٥=١٣أ: «من الثياب وقرئ واستبرقَ»! والصواب: «من الثياب، وقرئ: (وَاسْتَبْرَقَ)».

٢٣٠-ص٦٥=١٣أ: «بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى بإستفعل من

البريق وليس بصحيح أيضاً»! والصواب: «بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى باستفعل من البريق. وليس بصحيح أيضًا». فانظر إلى أخطاء الكتابة والترقيم!

٢٣١-ص٦٥=١٣أ: «قال أبو حاتم: لا تجوز هذه القراءةُ والصواب: أنه جر(!) لا ينبغي أن يحمل ضميراً»! والصواب: كما في المخطوطة، والمصادر تؤكده: «قال أبو حاتم: لا تجوز هذه القراءة والصواب: أنه جنس لا ينبغي أن يحمل ضميرًا». فانظر إلى السرعة وخطأ الكتابة، ولم يترجم الفاضلان لأبي حاتم، ولم يوثقا كلامه! والفاضلان يضبطان كلمة (القراءة)، وكأنهما يعلِّمان القارئ الفرق بين البناء والإعراب!

٢٣٢-ص٦٥=١٣أ: «ويؤيد ذلك دخولُ لامُ المعرفة عليه»! وأستحيي من التعليق على رفع المضاف إليه!

٢٣٣-ص٦٥=١٣أ: «وإجراؤها على قراءة الجماعة»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «وإجراؤه على قراءة الجماعة»!

٢٣٤-ص٦٥=١٣أ: ترجم الفاضلان للبيضاوي، فذكرا له «تفسير القرآن المسمَّى **أنوار التنزيل وأسرار التأويل وشرح الكافية** لابن الحاجب، **والمنهاج في الأصول**»! ولا أفهمُ معنى الفصلة هنا؛ فهل **التفسير وشرح الكافية** كتاب واحد في مقابل **المنهاج**؟!

٢٣٥-ص٦٥=١٣أ: «ووجَّهها الإمام البيضاوي آخذاً من **الكشاف**»! والصواب: كما في المخطوطة: «ووجَّهها الإمام البيضاوى أخذًا من **الكشاف**» بالهمزة لا المدّ، مع وضع التنوين قبل الألف. وقد ترجم الفاضلان للبيضاوي، فزعما أنه توفي عام ٧٩١هـ! والصواب: - كما في مصادرهما - ٦٩١هـ.

٢٣٦-ص٦٥=١٣أ: «ولم يتعرّض لقراءته»، رجع الفاضلان إلى التعليقات الغريبة على الإملاء، فقالا في الحاشية: «في الأصل: لقرأته، وهو خطأ في كتابة

الهمزة المتوسطة، والصواب: ما أثبتناه». مع أنهما لم يعلِّقا على هذا الرسم في نماذج سبقت!

٢٣٧-ص٦٥=١٣أ: «إما لأنه يعرف ووجَّهها (!) بالقياس؛ وإمّا لأنه لم يثبُت(!) عنده»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «إما لأنه يُعرَف وجهُها بالقياس، وإما لأنه لم تثبت عنده».

٢٣٨-ص٦٥=١٣ب: «قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي، فقال: وقد قرأه(!) ابن محيصن بغير صَرْف وهو وهْم أن (!) جعله اسماً»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «قد سبق الزمخشريَّ إلى هذا مكيٌّ فقال: وقد قرأ ابن محيصن بغير صَرْف وهو وهَمٌ إن جعله اسمًا»، والفاضلان لم يترجما لمكيّ! ولم يلتزما بنص المصنف ولا بموضع التنوين وعلامات الترقيم!

٢٣٩-ص٦٥=١٣ب: «على جعْله فعلاً ماضياً»! وفي المخطوطة «بل جعَله فعلاً ماضيًا»، ولا يزال الفاضلان يكتبان التنوين على الألف! وسيأتي قريبًا ما يؤكد (بل).

٢٤٠-ص٦٥=١٣ب: «جائز في اللفظ ،بعيد في المعنى فقيل»! والترقيم يقتضي «جائز في اللفظ بعيد في المعنى فقيل».

٢٤١-ص٦٥=١٣ب: «فعل ماضٍ على اسْتَفْعَلَ من: برِق»! والفاضلان يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط، ولا يعرفان الفرق بين برِق، وبرَق!

٢٤٢-ص٦٥=١٣ب: «لأانه»! الصواب: «لأنه». فانظر إلى سوء المراجعة!

٢٤٣-ص٦٥=١٣ب: «فإنما دخل في أسماء مُغَيَّرة» ! علَّق الفاضلان فقالا في الحاشية: «في الأصل (دخلت) ، ثم استدرك الناسخ الصواب، وهو ما أثبتناه»! وهذا افتراء لا داعي له؛ ففي المخطوطة «دخلت»، والسياق يطلبه، والمصنف يؤنث الحروف، وسيقول بعد قليل: «قُطِعت ألفُه».

٢٤٤-صـ٦٥=١٣ب: وثَّـق الفاضـلان كلام مكّـي من **الـدر المصـون**، وكأن **مشكل إعراب القرآن** مفقود!

٢٤٥-صـ٦٥=١٣ب: «فدلّ قوله: قُطِعت ألفه ا.ه»! في المخطوطة «فدلّ قوله: قُطِعت ألفه ، إلى آخره»، وقد اسـتعملها المصـنف في أكثر من موضع، وكتبها هنا (إلخ).

٢٤٦-صـ٦٥=١٣ب: «بقطع الهمزة، وفتح القاف، ودل قولهن أولاً، وقيل: بل جعله فعلاً ماضـياً»! والصواب: «بقطع الهمزة وفتح القاف، ودل قوله أولًا: وقيل: بل جعله فعلًا ماضـيًا». وجاء هنا (بل) الذي قرأه الفاضـلان آنفًا في الصـفحة نفسها (على)، وانظر إصرارهما على الخطأ في كتابة التنوين!

٢٤٧-صـ٦٥=١٣ب: «من برِق أنه»! والصواب: «من برَق- أنه» لأن برِق بمعنى دهش وتحيَّر.

٢٤٨-صـ٦٥=١٣ب: «لا يُتصـوَّر أن نحُكُم (!) عليه بخطئه (!) غير منقول إلى الأسـماء. ويقول»! والصـواب، كما في المخطوطة: «لا يُتصـوَّر أن يَحُكُم عليه بالفعلية غير منقول إلى الأسماء ويقول».

٢٤٩-صـ٦٥=١٣ب: «فهـذا جهل للغـة»! وفي المخطوطة، والسـياق يوجبه: «فهذا جهل باللغة».

٢٥٠-صـ٦٥=١٤أ: «قطـع ا[لأ]لـف»! هكـذا كتـب الفاضـلان، وعلَّقـا في الحاشـية: «سـقط من متن الأصـل، والكلمة تقتضيه، وقد اسـتدركه الناسخ في حاشية الأصل بين السطرين»!

٢٥١- صـ٦٥= ١٤أ: «انتهى كلام ابن السمين»! لم يوثق الفاضلان كلام ابن السمين، وكأن **الدر المصون** مفقود!

٢٥٢-صـ٦٦=١٤أ: «أن يكون علماً»! التنوين يوضـع على الحرف الذي قبل الألف!

٢٥٣-ص٦٦= ١٤أ: «وهذا اسم جنس. انتهى»! أي انتهى كلام صاحب **الدر المصون**، ولم يوثق الفاضلان كلامه!

٢٥٤-ص٦٦= ١٤أ: «فهذا في تسليم عُجمته»! في المخطوطة «فهذا على تسليم عُجمته»!

٢٥٥-ص٦٦= ١٤أ: «واستبرق بالوصل، وفتح القاف معرَّب (!) كان لا يدري (!)»! ولا أفهم الطريقة التي يتعامل بها الفاضلان مع المخطوطة؛ ففيها: «(وَاسْتَبْرَقَ) بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه».

٢٥٦-ص٦٦= ١٤أ: «وإنما توجيه»! الصواب، كما في المخطوطة: «وأمَّا توجيه».

٢٥٧-ص٦٦= ١٤أ: «لابن مُحَيْصن وشعبة بوصل الهمزة»! في المخطوطة، والسياق يطلبه «ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) بوصل الهمزة». فمن أين أتى الفاضلان بشعبة؟!

٢٥٨-ص٦٦= ١٤أ: «فيجوز ابن مُحَيْصن الهمزة تخفيفاً»! وفي المخطوطة، والسياق يطلبه «فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفًا». فمن أين أتى الفاضلان بابن محيصن حتى حرصا على ضبط حروفه؟!

٢٥٩-ص٦٦= ١٤أ: «جعلها عربيّة خالصة من برِق يبرَق، فيكون وزنه اِستفعَل»! في المخطوطة بخط واضح «جعله عربيّة خالصة، من: برَق يبرُق فيكون وزنه استفعل»؛ أي: جعل لفظ استبرق كلمة عربية خالصة. ويؤكده عود الضمير بعد ذلك بالتذكير، ولا يزال الفاضلان يخلطان بين (برِق) بمعنى تحيَّر، و(برَق) بمعنى لمع!

٢٦٠-ص٦٦= ١٤ب: «عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة»! علَّق الفاضلان في الحاشية، فقالا: «في الأصل: في وصل في وصل مكرَّرة سهواً»! وتعليقهما أفحش من وضع التنوين على الألف!

٢٦١-ص٦٦= ١٤ب: «في الصرف والتنوين،. انتهى»! ولا معنى للنقطة بعد الفصلة! ولم يوثق الفاضلان كلام أبي الفضل الرازي!

٢٦٢-ص٦٦= ١٤ب: «فالمفهوم من قوله: فلما سُمِّي به ا.ه. أنه قرأ بالوصل والتنوين»! والصواب: «فالمفهوم من قوله: فلما سُمِّي به، إلى آخره. أنه قرأ بالوصل والتنوين». وقد استعمل المصنف (إلى آخره) في غير هذا الموضع، ولكن الفاضلَيْن لا يعرفان أنه يكتبها أحيانًا (إلخ)!

٢٦٣-ص٦٦= ١٤ب: «قرأ بالوصل والتنوين وهذه رواية»! والترقيم يقتضي «قرأ بالوصل والتنوين. وهذه رواية».

٢٦٤-ص٦٦= ١٤ب: «مع أنه يخالف قوله في الإنسان»! كذا كتبها الفاضلان وعلَّقا في الحاشية: «في الأصل: يخالفه، والأنسب ما أثبتناه»! وأستحيي من التعليق!

٢٦٥-ص٦٦= ١٤ب: «في الإنسان ابن محيصن واستبرقَ بوصل الهمزة وفتح القاف»! والصواب: «في الإنسان: ابن محيصن: (وَاسْتَبْرَقَ) بوصل الهمزة وفتح القاف».

٢٦٦-ص٦٦= ١٤ب: «مثل اسْتَفْعَلَ لفظاً ومعنى، ومعنى (!) في الكهف»! والصواب: كما في المخطوطة «مثل: استفعل لفظًا ومعنى. ومضى في الكهف»، وقد انشغل الفاضلان بضبط الفعل «استفعل»، ولم ينتبها إلى سقوط الواو، ولا إلى السياق، ولا إلى خط المخطوطة!

٢٦٧-ص٦٦= ١٤ب: «ولم يمكن حمل كلامه الأول على الثاني يؤتي زيادةَ قيد»! هل يفهم الفاضلان معنى المكتوب؟ والصواب، كما في المخطوطة: «ولم يمكن حمل كلامه الأول على الثاني بزيادة قيد».

٢٦٨-ص٦٦= ١٤ب: «لئلا يبقى التوجيه لغواً»! لا يزال التنوين على الألف!

٢٦٩-صـ٦٦= ١٤ب: «وقـد نقـل عبارتـه ابنُ السـمين وصـاحبُ **اللطائف** لتوجيه القراءة على صـورة الفعل، ولم يُثبِتها (!) على ما فيها»! والصـواب، كما في المخطوطة، والسـياق يطلبه: «وقد نقل عبارته ابن السـمين وصاحب **اللطائف** لتوجيه القراءة على صورة الفعل، ولم يتنبَّها على ما فيها. وربما تعجَّب الفاضلان من تعدية الفعل بـ (على)، وقد وضَّحتُ صوابه، وعلَّقتُ عليه في موضعه.

٢٧٠-صـ٦٦= ١٥أ: «ابنُ جني في **المحتسِب**»! والصواب، كما يعرف المبتدؤون: «ابنُ جني في **المحتسَب**».

٢٧١-صـ٦٦= ١٥أ: «إسـتبرق ليس منقولاً من الفعل»! والصواب: «الإستبرق ليس منقولاً من الفعل»، ولو رجع الفاضلان إلى **المحتسَب** - وليس المحتسِب - لتأكد لهما ما في المخطوطة.

٢٧٢-صـ٦٦= ١٥أ: «توهّمه فعلاً، إذا (!) كان على وزنه فتركه مفتوحاً، كما توهُّم (!) الآخر»! والصـواب: «توهّمه فعـلاً إذ كان على وزنه فتركه مفتوحًا كما توهَّم الآخر». فانظر إلى سـرعة القراءة، وموضـع التنوين، ولو رجع الفاضـلان إلى **المحتسَب** لتأكد لهما ما في المخطوطة.

٢٧٣-صـ٦٦= ١٥أ: «ملك الموت من معنـى المُلْك»! الذي في المخطوطة «ملك الموت من المُلْك»، فما الداعي إلى الزيادة مع عدم الإشـارة؟ ولو رجع الفاضـلان إلى **المحتسَب** لتأكد لهما ما في المخطوطة.

٢٧٤-صـ٦٦= ١٥أ: «قال الشاعر... «! لم يشر الفاضلان إلى وقوع (الشاعر) في المخطوطة بلفظ (ع) اختصـارًا، مع أنهما حذفا (ع) في موضع سابق! (راجع تعليقي على: صـ٥٩= ٦ب).

٢٧٥-صـ٦٦= ١٥أ: «فمالِكُ موتٍ بالقضاء دهاني»، علَّق الفاضلان على هذا الشـعر، فقالا في الحاشية: «صدر بيت بلا نسـبة»، وأحالا إلى **لسان العرب** لابن

منظور! وأقول: الشطر المذكور عجز بيت وليس صدرًا، وقد ورد العجز في **اللسان** نفسه (ل أ ك) جـ١٠/٤٨٢ منسوبًا إلى رُوَيْشِد.

٢٧٦-ص٦٦=١٥أ: «وهذا أسبق ما فيه إلى هذا كلامه»! والصواب: «وهذا أسبق ما فيه إليَّ، هذا كلامه»؛ لأن الكلام لابن جني، ولو رجع الفاضلان إلى **المحتسَب** لتأكد لهما ما في المخطوطة!

٢٧٧-ص٦٦=١٥أ: «واختار أبو حيان هذا ووجّهه»! وثَّق الفاضلان كلام أبي حيان (ت ٧٤٥) من **المحتسب** لابن جني (ت٣٩٢هـ)! ولعل هذا الموضع توثيق لكلام ابن جني السابق!

٢٧٨-ص٦٦=١٥أ: «ولما كان قوله: خضر دلَّ (!) على الخضرة»! والصواب: كما في المخطوطة، ويطلبه السياق: «ولما كان قوله: (خُضْرٌ) يدل على الخضرة».

٢٧٩-ص٦٦=١٥أ: «وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دُهْمةً وغُبشةً»! ونصب الكلمتين الأخيرتين أستحيي من التعليق عليه. والفاضلان أكبر من الخطأ في اسم كان وخبرها!

٢٨٠-ص٦٧=١٥أ: «أخبر أن في ذلك اللون بريقاً وحُسناً»! ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف! ولا أزال أذكّرهما بأنه قبل الألف.

٢٨١-ص٦٧=١٥أ: «أو على الاخضرار الدالّ عليه قوله: خضر»! في المخطوطة بخط واضح «أو على الأخضر الدالّ عليه قوله: (خُضْرٌ)».

٢٨٢-ص٦٧=١٥أ: خلط الفاضلان بين ما نقله المصنف عن أبي حيان وبين نسخة **البحر المحيط** التي رجعا إليها، ولم يشيرا إلى الفروق!

٢٨٣-ص٦٧=١٥أ: «هذا العطف إن كان على السندس أو على الأخضر»! ما قيمة الفصلة المنقوطة هنا؟! وكلمة الأخضر دليل على خطأ الفاضلين في قراءتها آنفًا بلفظ «الاخضرار»!

٢٨٤-ص٦٧= ١٥ب: «وإن كان معطوفاً على عاليهم»! والفاضلان لا يميزان الشواهد القرآنية، ويصرّان على وضع التنوين على الألف والصواب: «وإن كان معطوفًا على (عَالِيهِمْ)».

٢٨٥-ص٦٧=١٥ب: «أيضاً ،كما في حلِّ الرموز للقبابيي»! صاحب **حل الرموز** اسمه القباقبيّ، ولو ترجم له الفاضلان لعرفا ذلك! والتنوين لا يكون على الألف!

٢٨٦-ص٦٧=١٥ب: «كما لو جعلت الواو للحال». لم ينتبه الفاضلان إلى علامة الإلحاق، فقالا في الحاشية: «سقطت من متن الأصل، والسياق يقتضيها، وقد استدركها الناسخ في حاشية الأصل»!

٢٨٧-ص٦٧=١٥ب: «لا يتمثَّل في سورة الكهف»! والقراءة الصحيحة: «ولا يتمشَّى أيضًا في سورة الكهف».

٢٨٨-ص٦٧=١٥ب: «وفي الرحمن لعدم العاطف ، ولعدم ذكر السندس ، والأخضر ، ولدخول حرف الجرّ». فانظر إلى الإكثار من علامات الترقيم مع الاضطراب!

٢٨٩-ص٦٧=١٥ب: «في سورة الإنسان ،وغيرها فتح القاف». فانظر إلى خلل الترقيم!

٢٩٠-ص٦٧=١٥ب: «فقد جعله فعلاً ماضياً»! وفي المخطوطة «فقد يجعلُه فعلًا ماضيًا»، ولا يزال التنوين على الألف!

٢٩١-ص٦٧=١٥ب: «وقد نص الداني والمعدل على انه (!) فعل ماض انتهى»! والصواب: «وقد نصَّ الداني والمعدَّل على أنه فعل ماض، انتهى»، ولم يوثِّق الفاضلان كلام الداني والمعدَّل، ولم يترجما لهما!

٢٩٢-ص٦٧=١٥ب: «تأويل نصبهما»! وفي المخطوطة، والسياق يطلبه «تأويل نصِّهما».

٢٩٣-ص٦٧=١٦أ: «وأما قوله ،بعد هذا» ! ما قيمة الفصلة؟

٢٩٤-ص٦٧=١٦أ: «ويجوز أن يكون اسماً لا ينصرف معطوفاً»! محلّ التنوين قبل الألف.

٢٩٥-ص٦٧=١٦أ: «الفتحة علامة الخفض»! في المخطوطة «الفتحة علامة للخفض».

٢٩٦-ص٦٧=١٦أ: «لو كان ممنوعاً (!) من الصرف، لكانت الهمزة مقطوعة (!) فلما»! والصواب: «لو كان ممنوعًا من الصرف لكانت الهمزة مقطوعة فلما».

٢٩٧-ص٦٧=١٦أ: «سُمِّي بالجملة، فحكت»! ومن العجيب تعليق الفاضلين في الهامش: «كذا في الأصل»! والذي في المخطوطة بخط واضح «سُمِّي بالجملة فحُكِيت».

٢٩٨-ص٦٧=١٦أ: «إبقاء الهاء على أصلها»! والصواب: «إبقاءً لها على أصلها».

٢٩٩-ص٦٧=١٦أ: «ثم أقول في اعتراضهم على قراءة ابن مُحَيْصِن نظر عن وجهيها»! والصواب، كما في المخطوطة: «ثم أقول: في اعتراضهم على قراءة ابن محيصن نظر من وجهين».

٣٠٠-ص٦٧=١٦أ: «لا وجه لترك [توجيه] قراءته»! هكذا كتبها الفاضلان ولم ينتبها إلى علامة الإلحاق، فقالا في الحاشية: «سقطت من متن الأصل، والسياق يقتضيها، وقد استدركها الناسخ في حاشية الأصل»!

٣٠١-ص٦٧=١٦أ: «او شاذة»! الصواب: «أو شاذة ».

٣٠٢-ص٦٧=١٦أ: «وقرئت في الصلاة ،واستُدِلَّ بها في العربية وغيرها لا

تجوز بها، ولكنها»! والصـواب، والترقيم يطلبه: «وقرئت في الصلاة واستُدِلَّ بها في العربية. وغيرها لا تجوز بها، لكنها».

٣٠٣-صـ٦٧=١٦ب: «كما تُفْرَدُ في كتب الأصـول»! في المخطوطة، والسـياق يطلبه: «كما تقرَّر في كتب الأصول».

٣٠٤-صـ٦٧=١٦ب: «فردُّ القراءة، وتخطئة قارئها لا وجه له»! الأفضـل أن نكتب العبارة بدون فصلة؛ هكذا: «فردُّ القراءة وتخطئة قارئها لا وجه له».

٣٠٥-ص٦٨=١٦ب: «من نوّنه جعله معرَّباً، ومن قرأ بخلافه جعَله عربيًّا... ...لا يخلو إمّا أن يكون عربيًّا او مُعرّباً»! هكذا بإسقاط همزة (أو)! ووضع التنوين في كلمة (عربيًّا) في مكانه الصحيح، وفي كلمة (مُعرّباً) على الألف!

٣٠٦-صـ٦٨=١٦ب: «فما وجه جعلـه تارة من هذا وتارة مـن ذاك؟»، علَّق الفاضلان على كلمة (تارة) الثانية، فقالا في الحاشية: «ينبغي أن يقال: أخرى»! ولا وجـه لاعتراضـهما، مع أنهما لم يعترضـا على قول المصـنف (ص٥٧=٤أ): «تارة بالنسبة الاختصاصية وتارة بالنسبة اللازمة»!

٣٠٧-ص٦٨=١٦ب: «لا مانع من ذاك (!) ،فإنَّ عُمَيْرَ (!) من لم ينوِّنه جعله ممنوعاً»! وأرجو من الفاضلين تفسير (عمير)! والصواب: «لا مانع من ذلك فإن عزيزَ من لم ينوِّنه جعله ممنوعًا»، وانظر إلى الترقيم والتنوين!

٣٠٨-ص٦٨=١٦ب: «ومثل: (!) سـراويل، فإنه لما ورد ممنوعاً»! والصواب: «ومثله سراويل، فإنه لما ورد ممنوعًا»، وانظر إلى التنوين!

٣٠٩-ص٦٨=١٦ب: «وقالوا : في لغة الصرف إنه عربيّ محض»! والصواب: «وقالوا في لغة الصرف: إنه عربيّ محض».

٣١٠-ص٦٨=١٦ب: «ونظيره (!) ما ذُكر في باب ما لا ينصـرف. أمّا بعض الأسـماء المقصـورة فقد (!) جاء منوَّناً (!) وغير مُنوّن»! وهذا مثال صارخ على

السـرعة في القراءة. وقد أضاف الفاضلان الواو في أول الكلام، وجعلوه معطوفًا على ما قبله! وأضـافا الفاء قبل قد، وعلَّقا عليها في الحاشـية: «زيادة يقتضـيها السياق إذ الفاء لازمة في جواب أمّا الشرطية التفصيلية! ولا وجود لـ (أمّا) ففي المخطوطة «نظيره ما ذُكر في باب ما لا ينصـرف أن بعض الأسماء المقصورة قد جاء منوَّنًا وغير مُنوّن».

٣١١-ص٦٨=١٧أ: أحال الفاضـلان إلى **مغني اللبيب** لابن هشام، و**الجنى الداني** للمرادي! ومع عدم الحاجة إلى المصدرين هنا فالواجب البدء بالأسبق.

٣١٢-صـ٦٨=١٧أ: «ومن ذلك قولـه تعالى: ؟؟؟»! لم تُكتَب الآية، ووُضـعت طلاسـم فانظر إلى السرعة! والصواب: «ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾».

٣١٣-صـ٦٨=١٧أ: جاء عـن كلمة (تـترى) في الآية السـابقة: «وقرأه ابن عامر ونافع وقالون بلا تنوين»! والصـواب: «وقرأه ابن عامر ونافع والكوفيون بلا تنوين»، ولو رجع الفاضلان إلى كتب القراءات لعرفا الصواب.

٣١٤-صـ٦٨=١٧أ: «وقـد صـحَّ ثبوتهـا فعـدُّوا (!) الألف للإلحـاق (!)»! والصـواب: «وقد سُـمع تنوينها فقُدِّر الألف للإلحاق بـجُخْدَب». فانظر إلى خطأ القراءة، والسقط!

٣١٥-صـ٦٨=١٧أ: ترجـم الفاضـلان للزجاج، فذكـرا أنـه «إبراهيم بن محمد السـرّيّ (!) بن سهل، نحويّ ولغويّ، له **إعراب القرآن**، و**الأمالي**، و**معاني القرآن**، ت ٣٢٢هـ»! وأسأل الفاضلين: هل **إعراب القرآن** كتاب مستقلّ عن معاني القرآن؟ وهل تاريخ الوفاة في المصادر التي أحلتم إليها؟! وعلى أي أساس ضبطتم (السَّرِيّ) بتشديد الراء؟ ولماذا ترجمتم للزجاج دون توثيق ما نقله المصنف عنه؟

٣١٦-ص٦٨=١٧أ: ترجم الفاضلان للبغوي، فذكرا أنه معروف بابن الفداء!

والصـواب: أنه المعروف بالفرَّاء نسـبة إلى عمل الفراء وبيعها، كذا في المصـادر التي اعتمدا عليها، ثم تسـرَّع الفاضـلان فقرآ: «الإسـتبرق اسم للحرير للرقيق ترقق بحسن الخاصر للمرأة، والإستبرق الديباج للباسها»! وأسأل الفاضلين: هل تفهمان معنى هذا الكلام؟ ولا أنتظر منهما جوابًا؛ لأن الصواب: «الإستبرق اسم للحرير، وأُنشِد للمرقِّش:

**تـراهـنّ يلبسن المشاعر مـرَّةً وإستبـرق الديباج طورًا لباسها».**

٣١٧-ص٦٨=١٧أ: «وفي **القاموس**... ...أو ثياب حرير، والإستبرق من الديباج أو غيره خصّيصاً»! وهذا أيضًا كلام غير متناسق، ولو رجع الفاضلان إلى **القاموس** لاسـتطاعا قراءة النص قراءة صحيحة. والصـواب: «أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج، أو قِدَّة حمراء». وأودّ أن أذكِّر الفاضلين بأن كلمة (خِصِّيصَى) ممنوعة مـن الصـرف لانتهائها بألف التأنيث المقصـورة التي تكتب يـاءً إذا وقعت رابعة فأكثر.

٣١٨-ص٦٨=١٧ب: «و[السندس]، واستبر مارقّ (!) من الديباج»! ولا وجود في المخطوطة لكلمة (اسـتبر)! وإنما هو شـطب وضع المصـنف علامة الإلحاق، وكتب (والسـندس)، وعلى الرغم مـن وجود علامة الإلحاق قال الفاضـلان في الحاشية: «سقطت من متن الأصل، والسياق بقتضيها، وقد استدركها الناسخ في حاشية الأصل»! والذي في المخطوطة «والسندس ما رقّ من الديباج».

٣١٩-صـ٦٨=١٧ب: لم يفطن الفاضـلان إلى الفرق بين ما نقله المصـنف عـن البغوي والفيروزآبـادي وما هو في طبعتهما من **تفسـير البغـوي** و**القاموس المحيط**، ولم يترجما لأبي عمران الجوني!

٣٢٠-ص٦٩=١٧ب: «وقال شيخه (!) كما في **الإتقان**»! ومن العجيب الخطأ في قراءة الكلمة على الرغم من رجوع الفاضـلين إلى **الإتقان**! والصـواب: «وقال شَيْذَلَة كما في **الإتقان**».

٣٢١-صـ٦٩=١٧ب: «وذكره الجوهري في الثلاثيّ وجعل النون زائدة»! لم يوثق الفاضلان كلام الجوهري، واكتفيا بالترجمة له، فذكرا له **عروض الورقة** في العروض، و**المقدمة في النحو**!

٣٢٢-صـ٦٩=١٧ب: «وهما مفردان عند الجمهور، وهما: (!) إستبرقة وسندسة عن (!) الأخفش»! وفي المخطوطة، والسياق يطلبه: «وهما مفردان عند الجمهور، وجمعا إستبرقة وسندسة عند الأخفش».

٣٢٣-صـ٦٩=١٧ب: «والبُزْيُون (!) كجردحل ويُصْفُور (!) بمعنى السندس»! وأسأل الفاضلين عن وزن جردحل وعن معنى يصفور! والصواب: كما في المخطوطة، والمراجع تؤيده «والبِزْيَوْن كجِرْدَحْل وعُصْفُور بمعنى السندس».

٣٢٤-صـ٦٩=١٧ب: «اللِّين، مثل الإثمَد في تكبيره وتصغيره»! ولا معنى للجملة مطلقًا، ولو راجع الفاضلان المخطوطة لعرفا أن الصواب، كما في المخطوطة بخط واضح: «الفصل الثالث في تكسيره وتصغيره».

٣٢٥-ص٦٩=١٧ب: «أما في (!) كونه مُعرّباً (!) فتصغيره يتوقف على(!) الأصلي والزائد فيه»! والصواب، كما في المخطوطة: «أما على كونه مُعرّبًا فتصغيره يتوقف على معرفة الأصليّ والزائد فيه». فانظر إلى السقط وأخطاء الكتابة!

٣٢٦-ص٦٩=١٧ب: «قال المرزوقي في **شرح الفصيح**: «المعربات ما استعمله القوم ... المعرَّب يحمل عليها ما كان الفهم له أكثر عنها»! ولو دقق الفاضلان القراءة واستعانا بكتاب المرزوقي لعرفا أن الصواب: «قال المرزوقي في **شرح الفصيح**: المعربات ما كان منها بناؤه موافقًا لأبنية كلام العرب يحمل عليها، وما خالف أبنيتهم منها يراعى ما كان إلفُهم له أكثر فيُختار»، ولم يترجم الفاضلان للمرزوقي!

٣٢٧-صـ٦٩=١٨أ: «وكذلك قال الجاربردي في **شرح الشافية** في باب ذي

الزيادة عند الكلام على منجنيق إن (!) الأسماء المعرَّبة يُحكَم عليها بالأصلي والزائد؛ لأنها لمَّا تكلَّمت العربُ بها وصرّفتها في الجمع، والتصغير... العربي، فلذا حُكِم.....وأما يزعم با... لقولهم لجم مابازه (!) في يحكم له.... معنى أيها ثمّ كانت من كلامهم كان فامّا (!) أن تكون كذلك»! وهذا كلام غير مفهوم ولا معنًى له. والعجيب ادِّعاء الفاضلين أنهما رجعا إلى **شرح الشافية** للجاربردي. ولو رجع الفاضلان فعلًا لاستطاعا قراءة النص قراءة صحيحة، فضلًا عن العبث في استعمال النقاط الدالّة على الحذف. والصواب: «وكذلك قال الجارَبَرْدِيّ في **شرح الشافية** في باب ذي الزيادة عند الكلام على منجنيق: أن الأسماء المعربة يُحكَم عليها بالأصليّ والزائد لأنها لمَّا تكلَّمت العربُ بها وصرّفتها في الجمع والتصغير أَجْرَوها مُجرى العربيّ فلذا حُكِم على ألف لجام وياء إبراهيم بالزيادة لقولهم: لُجُم، وأباره، وأيضًا فيحكمون بذلك على معنى أنها لو كانت من كلامهم لكان قياسها أن تكون كذلك». ولم يترجم الفاضلان للجاربردي!

٣٢٨-ص٦٩=١٨أ: «فإستبرق فحُمِل (!) على ما يناسبه من الأبنية لمه (!) سوى..... الفعل فيحكم..... فيكون من بريق، كما وقال (!) صاحب **القاموس** والجوهري في مادة سرق أيضاً لأنهم... وحرفاً زائدة (!)، وأتى بحرف»! وهذا كلام غير مفهوم. والفاضلان يتسرَّعان في القراءة، ويسقطان كلامًا جاء في الحاشية؛ والصواب: «فإستبرق يُحمَل على ما يناسبه من الأبنية، ولا يناسبه سوى استفعل من الفعل فيُحكم بزيادة الثلاثة الأولى، فيكون من برق حُكمًا. وذكره صاحب **القاموس** تبعًا للجوهري في مادة سرق أيضًا، وهذا لا وجه له؛ لأن الهمزة المصدَّرة لا تزاد إلا مع ثلاثة أصول فقط، وأغربُ من هذا ذكره الأزهريّ في خماسي القاف على أن الهمزة وحدها زائدة».

٣٢٩-ص٦٩=١٨ب: «في ثلاثيّ مثله أن يحذف ماعدا (!) الزيادة الفضلى كمُخَيْرِج، ومُطَيْلِق في مستخرج، ومنطلق»! والفاضلان لا يحسنان استعمال

علامات الترقيم مع الكلمات الواضحة في المخطوطة. والصواب: «والقاعدة في مثله أن يحذف ما عدا الزيادة الفضلى كمُخَيْرِج ومُطَيْلِق في: مستخرج ومنطلق».

٣٣٠-ص٦٩=١٨ب: «وسبب المفضّل أمور»! والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «وسبب الفضل أمور». وإن تعجب فعجب حرص الفاضلين على ضبط الضاد!

٣٣١-ص٦٩=١٨ب: «كهمزة النداء، وياء يلث»! هل يفهم الفاضلان معنى يلث؟ والصواب، كما في المخطوطة، والسياق يطلبه: «كهمزة أَنْدَد، وياء يَنْدَد».

٣٣٢-ص٦٩=١٨ب: «مماثلتها لأحد الأصول كمُفَيْتِح»! والصواب، كما في المخطوطة، والتوثيق يقويه: «مماثلتها لأحد الأصول كعَفَنْجَج».

٣٣٣-ص٦٩=١٨ب: «عدم إيهامها خلاف الواقع كرُيميس، ولام يُوسيس في مرمريس»! هل يعرف الفاضلان معنى (يوسيس)؟! ولستُ في حاجة إلى جواب؛ لأن الصواب، كما في المخطوطة، والتوثيق يقويه: «عدم إيهامها خلاف الواقع كمُريميس لا مُريريس في مرمريس».

٣٣٤-ص٦٩=١٨ب: «كون غيرهما لا يحوج إلى حذف آخر، نحو: حُزَيْبِين ونُدَمْلين في: حَيزَبُون وندملان»! هل يعرف الفاضلان معنى ندملان؟ والصواب، والتوثيق يقوّيه: «كون حذفها لا يُحوِج إلى حذف آخر نحو: حُزَيبِين ونُدَيْلين في: حَيزبُون ونِئدِلان».

٣٣٥-ص٦٩=١٨ب: قال الفاضلان في الحاشية رقم (١١٦): «جاء في حاشية الأصل: لأن الهمزة المصدرية (!) لا تُزاد إلّا مع ثلاثة أصول فقط»! وهذه الإشارة في غير موضعها؛ لأنها خاصة بالصفحة (١٨أ) ولا معنى للهمزة المصدرية هنا. والصواب: «الهمزة المصدَّرة»، ولكن الفاضلين مشغولان بضبط ما لا يحتاج إلى ضبط!

٣٣٦-ص٦٩=١٨ب: «أن تكون محرَّكة ونظير (!) ساكنة كحُطَيْط (!) لا عليط في عُطَيْط»! هل يفهم الفاضلان العليط والعطيط؟ والصواب، كما في المخطوطة، والتوثيق يقويه: «أن تكون محرَّكة ونظيرتها ساكنة كحُطيِّئط لا حُطيِّط في حُطائط».

٣٣٧-ص٦٩=١٨ب: «أن لا يؤدي إلى... لا نظير الميزان تساوت عموم الزيادة فحذفا... في قلنسوة ،ففي إستبرق.. .. .. .. .. .. ..»! وانظر إلى سرعة القراءة وعبث استعمال نقاط الحذف! والصواب، والنسخة الثانية للمخطوطة تؤكده: «أن لا يؤدِّي إلى بناء لا نظير له. وإن تساوت حروف الزيادة فحذف أحدها بالخيار كقُلَيْنِسة، وقُلَيْسِيَة في قَلَنْسُوَة ففي (إستبرق) لا بد من حذف زيادتين وإبقاء واحدة، والألف».

٣٣٨-ص٦٩=١٩أ «.. .. .. .. .. .. .. هي الفضلى لتصدُّرها أو (!) ليست همزة وصل»! والصواب: «وليست همزة وصل»، ولا مسوِّغ للنقاط؛ لأن أول الورقة «هي الفضلى». فانظر إلى الخلط والاضطراب بين الصفحات!

٣٣٩-ص٦٩=١٩أ: «لئلا يلزم ما لا نظير له»! والصواب، كما في المخطوطة بخط واضح: «لئلا يلزم بناءٌ لا نظير له».

٣٤٠-ص٧٠=١٩أ: «فتقول: أبيرق، كما تقول: أُبيريه، وأسيميع في إبراهيم، وإسماعيل كما نقول (!) في تكسيره: إبيراق»! والصواب، كما في المخطوطة والمصادر: «فتقول: أبيرق، كما تقول: أُبيريه وأُسَيْميع في: إبراهيم وإسماعيل، كما تقول في تكسيره: أبارق». فانظر إلى خطأ القراءة وعلامات الترقيم!

٣٤١-ص٧٠=١٩أ: «وأمّا على كونه عربيًّا، ففيه ثلاث زيادات أيضاً»! أوشكت المخطوطة على الانتهاء، ولا يزال الفاضلان يضعان التنوين على الألف ما عدا كلمة (عربيًّا)!

٣٤٢-ص٧٠=١٩أ: «فإن كان سُمِّي (!) بالفعل وحده تثبت الهمزة لتصدُّرها،

ويُحذف (!) السين، والتاء لما تقدّم، فنقول: أُبَيْرِق أيضاً»! والصواب، كما في المخطوطة: «فإن كان مُسمًّى بالفعل وحده تثبت الهمزة لتصدُّرها وتُحذف السين والتاء لما تقدّم فتقول: أُبيرق أيضًا».

٣٤٣-ص٧٠=١٩أ: «وإن كان سُمِّي بالجملة»! وفي المخطوطة: «وإن كان مُسمًّى بالجملة».

٣٤٤-ص٧٠=١٩أ: «جميع ألفات الوصل يُحذف في التصغير، كفُقَيْقِر (!)، ونُطَيْلِق في افْتِقار (!) وانْطِلَاق»! وأسأل الفاضلين: كيف تكون فُقَيْقِر تصغير افتقار؟ وكيف يُكسَر ما قبل ألف المدّ؟ والصواب، كما في المخطوطة والمصادر: «جميع ألفات الوصل يُحذف في التصغير كفُتَيْقِر ونُطَيْلِق في: افتقار وانطلاق».

٣٤٥-ص٧٠=١٩أ: «فلو لم تسقط، لضُمّت. فكانت تسقُط في الدرج»! والصواب، كما في المخطوطة: «فلو لم تسقط لضُمّت فكانت تسقط في الدَّرَج». والفاضلان يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط!

٣٤٦-ص٧٠=١٩أ: «والتاء أفضل من السين لأن إثباتها، يقضي (!) إثبات سُتَفَيْعل (!)، ولا نظير له، والتاء تزاد أولاً (!)، نحو: تِمْثال وتَخْفاف (!) فنقول: تُبَيْرِق بحذف الألف، (!) والسين كما تقول في تكسيره تبارق»! والفاضلان لا يحسنان القراءة ولا علامات الترقيم! والصواب، كما في المخطوطة: «والتاء أفضل من السين لأن إثباتها يقتضي إثبات سُفَيْعِل، ولا نظير له، والتاء تزاد أولًا نحو: تمثال وتجفاف فتقول: تُبيرق، بحذف الألف والسين، كما تقول في تكسيره: تبارق».

٣٤٧-ص٧٠=١٩ب: «فإن قلتَ: السين تزاد أولاً (!)، نحو: سنبس (!) فإن السين الأولى زيدت للإلحاق بدَحْرَجَ»! والأفضل: «فإن قلتَ: السين تزاد أولًا نحو: سَنْبَس فإن السين الأولى زيدت للإلحاق بدحرج»، ولكن الفاضلين يضبطان ما لا يحتاج إلى ضبط!

٣٤٨-ص٧٠= ١٩ب: «فتغصيره سنيس»! والصواب: كما في المخطوطة «فتصغيره سُنَيْبِس».

٣٤٩-ص٧٠= ١٩ب: «وأيضاً (!) قد انفرد ابن مالك في إثباته»! تابع الفاضلان المصنف في القول بانفراد مالك، ولا يزال التنوين عندهما على الألف!

٣٥٠-ص٧٠= ١٩ب: «هذا كله سواء كان معرَّباً أو عربيًّا»! وصلنا إلى الصفحة قبل الأخيرة، وحتى الآن لا أعرف سبب وضع التنوين في كلمة (عربيًّا) في موضعه الصحيح، ووضعه في الكلمات الأخرى على الألف!

٣٥١-ص٧٠= ١٩ب: «فتقول على الثلاثة بُرَيْق، كما تقول: بُرَيْه، وسُمَيع في إبراهيم وإسماعيل، ونحو: حُمَيْد في تصغير أحمد، ومحمَّد ومحمود وحمودة، وحمدان، وحمّاد، وحامِد، والحمد. والحمد لله رب العالمين»! والصواب: «فتقول على الثلاثة: بُرَيْق، كما تقول: بُرَيْه وسُمَيع في: إبراهيم وإسماعيل، ونحو: حُمَيْد في تصغير: أحمد ومحمد ومحمود وحَمُّودة وحمدان وحمّاد وحامِد. والحمد لله رب العالمين». فانظر إلى العبث والاضطراب في علامات الترقيم! وانظر كيف كرَّر الفاضلان كلمة (الحمد)، ولم يفطنا إلى التكرار الذي تكشفه التعقيبة!

٣٥٢-ص٧٠= ٢٠أ: «والحمد لله رب العالمين، وصلواته، وتسليماته على أشرف الخلائق محمّد ،وآله، وصحبه (!) الطاهرين»! والصواب: «والحمد لله رب العالمين وصلواته وتسليماته على أشرف الخلائق محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين». فانظر إلى السقط وعلامات الترقيم!

٣٥٣-ص٧٧ حتى ص٧٩: لا يخلو ثبت المصادر والمراجع من الهفوات؛ فقد وضع الفاضلان كتاب **أمالي ابن الحاجب** في حرف الكاف بلا داعٍ أو تنويه! وأخطآ في بيانات بعض الكتب مثل **المعرب** للجواليقي؛ فقد زعما أن طبعة الشيخ شاكر صدرت في دار الكتب ببيروت! والصواب: أنها بمصر، كما أخطآ في كتاب

**الوجيز في شرح قراءات القرأَة الثمانية** للأهوازي، فوقع في تحقيقهما بلفظ (الوجيز في شرح قراءات القراءة العثمانية!)، وزعما أنه منشور في دار العرب (بالعين المهملة)!

ورجع الفاضلان إلى طبعات غير محقَّقة! وأكثرا - على الرَّغم من قلة مصادرهما - من الاعتماد على منشورات دار الكتب العلمية التي سطت في الفترة الأخيرة على منشورات غيرها فتأثَّرت سمعتُها! ويمكن التمثيل بكتاب **الإصابة في تمييز الصحابة** التي رجعا فيها إلى طبعة دار الكتب العلمية، وزعما أنها بدون تاريخ، على الرغم من صدورها عام ١٤١٥هـ، ولم يذكرا وفاة ابن حجر، وغفلا عن طبعة البجاوي! ومثل **الأصمعيات** التي رجعا فيها إلى تحقيق محمد نبيل طريفي في دار صادر ببيروت عام ٢٠٠٢م، وغفلا عن طبعة شاكر وهارون! ومثل: **البداية والنهاية** لابن كثير (على الرغم من وجود طبعة دار إحياء التراث العربي عام ١٩٨٨م!)، و**بغية الوعاة للسيوطي** (على الرغم من وجود طبعة محمد أبي الفضل إبراهيم!)، و**تفسير البحر المحيط** (على الرغم من وجود طبعة دار الرسالة العالمية عام ٢٠١٥م!)، و**تفسير البغوي** (وكان في إمكانهما الرجوع إلى طبعة دار المعرفة!)، و**تفسير البيضاوي** الذي سماه الفاضلان الشيارزي! (وقد تكون الطبعة القديمة أوثق!)، و**جمهرة اللغة** لابن دريد (على الرغم من وجود طبعة رمزي منير بعلبكي عام ١٩٨٧م!)، و**الدرر الكامنة** (على الرغم من وجود طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية عام ١٩٧٢م!)، والدر المصون (على الرغم من وجود طبعة دار القلم بتحقيق الخراط!)، و**طبقات الشافعية الكبرى** (على الرغم من وجود طبعة الطناحي والحلو!)، و**فوات الوفيات** (على الرغم من وجود طبعة الدكتور إحسان عباس!)، و**المصباح المنير** (على الرغم من وجود طبعة الدكتور عبدالعظيم الشناوي الصادرة عن دار المعارف، وقد سطت عليها الطبعة الدَّعية الصادرة عن المكتبة العلمية، فحذفت اسم المحقق ومقدمة

تحقيقه!)، و**وفيات الأعيان** (على الرغم من وجود طبعة إحسان عباس!).

٣٥٤-ختم الفاضلان تحقيقهما للكتاب بملخص إنجليزى يخلو من التماسك النصـيّ، ويعتمد على الترجمة الحَرْفيّة، ويكفي كتابة ابن محيصـن هكذا Ibn Muhasan !

وبعد، فهذه ملحوظاتي على التحقيق. وقد رأينا قصـورًا في جمع النُّسَخ، وأخطـاءً في القـراءة، وأخطاءً في الضـبط والإملاء، وسـقوطًا وزيادات في نص المخطوطة بلا داعٍ، وأوهامًا في التخريج، وتعليقات في الهوامش لا قيمة لها!

وأرجـو ألا تؤثِّر هذه الأخطاء في مكانة الأسـتاذين الفاضـلين، وما أظن أن أخطاءهما ترجع إلى الجهل؛ ولكن يرجع معظمها إلى الكسل وعدم الاهتمام وقلَّة الخبرة بأصـول التحقيق! فليس التحقيق تذييلًا للصـفحات بتراجم المشهورين، ولكنه جمعٌ للنسـخ، وتوثيق لنُقول المصـنِّف، وتعليق على آرائه، وتدقيق في النص مـن أولـه إلى آخـره، ومراجعة لتجـارب الطباعة حتـى لا يخرج النصُّ محرَّفًا مشوَّهًا، فنزيد من نسخ المخطوطات نسخة جديدة!

(*) باحث معجمي ومحقِّق لغوي - القاهرة.

# أحمد الشرقاوي إقبال
# العالم والمربي

أحمد متفكر(*)

**تقديم:**

هنـاك أناس يقفون أنفسـهم علـى الدرس والبحث، يولَعـون بهما، ويجدون فيهمـا لذة ومتعـة لا يعدلهما شـيء آخر، يبحثـون وينقِّبون، يقـرؤون ويطَّلعون، يحققـون ويراجعون، يشـرحون ويعلقـون، يكتبـون ويؤلفون، ذلـك همُّهم، وتلك غايتهم، لا يرجون وراءها جزاءً ولاشكورًا، وكأنما خُلقوا ليُعطوا.

والأسـتاذ أحمد الشـرقاوي إقبال واحد من هذا النفر القليل، قضـى حياته في الدرس والبحث، وتعقب كتب التراث واللغة، وحُببت إليه العربية وعلومُها منذ شرْخ الشباب، فعكف على دراستها واستكشاف خباياها وأسرارها، وقد أعد لكل هذا العُدة اللازمة.

ولسـت أعدو الحقيقة في شـيء إذا قلت بأن المرحوم بكرم الله السيد أحمد الشـرقاوي إقبال قـد فقدْنا فيه علَمًا من أعلام الفكـر، وحافظًا من حُفَّاظ هذا

العصـر، وباحثًـا واسـع الاطلاع، طويـل الباع، ولاسـيما في علم اللغـة العربية، والتراث العربي، بصيرًا بالكتب قديمها وحديثها.

كما كان وافر الذكاء، متَّقد الذهن، حاضـر البديهة، كريم النفس، لا يتطلع إلى شيء من أمور الدنيا، وإنما كانت الأشياء تأتي إليه بمقدار، ولا ينظر إلى ما عند غيره، بل كان غنيًّا بالذي عنده، راضـيًا بما قسـم الله له. وقد جاء في الأثر: «خيركم من طال عمره وحسن عمله».

وأستاذنا الشرقاوي إقبال ليس بغريب على أحد منا، ولا يجهل أحد من رجال الفكر شخصـيته الفذَّة التي مثَّلت أجمل تمثيل جانب النبل والمروءة والصـلاح، وحب الخير للجميع.

عرفتـه لا يتعمـل الدرهم، ولا يجري وراءه، ولا يلتمس أمـام أعتاب الوجهاء وذوي الثروات، كان شريف النفس، عفيف الجيب

**اسـمه الكامل ونشـأته**: أحمد بن العباس بن الجيلالي الشـرقاوي، ينحدر نسـبه من أبي عبد الله محمد الشـرقي، الذي يرتقي نسـبه إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واسمه العائلي: الشرقاوي إقبال.

ولد سـنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م بدرب المجاط من حي باب أيـلان، أحد الأحياء القديمة التي احتضـنت خِيرة علماء هذه المدينـة المعطاء، ويكفي أن نذكر منهم القاضـي عياض، ومحمد بن المعطي السـرغيني، والسـيدة للَّا محلة، التي كانت تحفظ **المدونة**، وغيرهم كثيـر.

لما بلغ الرابعة من عمره أدخله والده إلى كُتَّاب الحي عند الفقيه السيد علال التجاني، فحفظ القرآن الكريم حفظًا تامًّا.

ولما انتقلت الأسـرة إلى حي حارة الصـورة أدخله والده إلى مدرسـة سيدي بوحربة، التي كان يشرف عليها العلامة سيدي أحمد أكرام، فأعاد قراءة القرآن

على الفقيه الشريف مولاي سعيد المصلوحي الملقب بـ (السبيع) إلى جانب حفظ بعض المتون؛ مثل **المرشد المعين**، وطرفًا من **تحفة ابن عاصم**، و**ابن آجروم**، و**جمل المجرادي**، و**نظم الزواوي في الجمل**، و**لامية الأفعال** لابن مالك، و**شافية ابن الحاجب** في التصريف، و**خلاصة ابن مالك**، و**مقدمة ابن الجزري** في التجويد إلى غير ذلك من المتون.

ويعد هذا الفقيه الأول الذي ولّد فيه حب اللغة، بشرحه لكل لفظ غريب يحتويه نص من نصوص القرآن أو السيرة النبوية، إلى جانب الاستشهاد لهم بأقوال الشعراء. وكمثال على ذلك لما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1]، فيشرح للتلاميذ كل لفظة غريبة في القرآن أو السيرة النبوية، ويستشهد لهم بأقوال الشعراء، فمن إملاءاته التي بقيت عالقة في ذهن الأستاذ الشرقاوي قوله:

**إن الفتيل ما التوى في الشّقّ ... من النوى قاله ذو حذقِ**
**ونقطة في ظهرها النقيرُ ... والقشرة البيضا هي القطميرُ**

ولما تكلم لهم الفقيه على شَعره ﷺ أملى عليهم قول القائل:

**الوفرة الشعر لشحمة الأُذُن ... وجُمَّة إذ هي لمنكب تكُن**
**وسمي ما بينهما باللِّمةِ ... قد قال ذا جمهور أهل اللغةِ**

وتأتي سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م لتقض مضجع الناس، وتسلبهم متعة الحياة بالمجاعة وتفشِّي الأمراض كالتيفوس وغيره، مما اضطر معه والده إلى إدخال هذا الطفل إلى حرفة (الشكايرية) ليساعده بعض الشيء، ويخفف عنه بعض العبء، لكن الطفل الطموح المتعطش إلى المعرفة لم يكن راضيًا عن هذه الحرفة التي ستبعده عن مجالس العلم والعلماء، فاتفق مع والدته على صنع (الطواقي) التي كان لها رواج في هذه الأثناء من طرف النصارى، على أن يدفع لوالده أربعة صولدي يوميًّا، ويسمح له بمتابعة دروسه، وكان الأمر كذلك، فانهمك الطفل في صنع الطواقي ببراعة فائقة، وصنعة دقيقة، وتابَع دراسته بجد ومثابرة. وفي

السـنة نفسـها، والطفل لم يتجاوز تسـع سـنوات، يمر من حي الموقف الذي كان يقام فيه سـوق لبيع الأشياء المسـتعملة؛ إذ يقع بصره على رجل سوسي اضطرته الفاقة وقلة ذات اليد إلى بيع بعض متاعه، ومن ضـمنها كتاب اسـتهواه عنوانه، إنه كتاب **مجرَّبات الديربي**، فيشـتريه هـذا الطفل المتعطش إلى الثقافة، ويكون أول كتاب يقرؤه في حياته. ومن هذا السوسـي تعلم علم الاسـتنزال الذي أصـبح بارعًا فيه. ثم ثنَّاه بكتاب **تاج الملوك**، وهي منظومة في السحر والكيمياء وصناعة الحرف، ثم ثلَّثه بكتاب **الرحمة**. وربما سيلحظ البعض أن هذه الكتب التي وقعت في يده بالصـدفة ودون سـابق علـم أو اختيار، ودون أن يجد مـن يوجهه أو يأخذ بيده، فارتسمت هذه الصور في ذهنه، واختزلها في ذاكرته إلى كهولته، حيث نراه لايزال مشدودًا إلى هذا العلم، فخصص له كتابًا خاصًّا بالجن.

ثم انتقل إلى كُتَّاب آخر بحي درب ضباشـي عند الشيخ البركة السيد أحماد السوسـي، لكن إقامته لم تدم إلا بضـعة شـهور، حيث اقترح عليه هذا الشيخ أن يلتحق بالجامعة اليوسـفية عندما لمس فيه الطمـوح والرغبة والذكاء، فقرر هذا الطفل الالتحاق بالجامعة اليوسفية بعد أن تمكن تمكنًا كبيرًا من استظهار القرآن الكـريم غيبًا، ومعه طائفة من المتون العلمية التـي كانت تُدَرَّس على ذلك العهد، مثـل **التحفـة**، و**عبادات الشـيخ خليـل**، ومنظومات الـزواوي، و**جمـل المجرادي**، و**الخزرجية في العرروض**، و**المرشـد المعـين**، و**الجرومية**، و**مقدمة ابن الجزري**. ولا زالت هذه المتون عالقة بذهنه إلى آخر حياته.

وفي عـام ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م تقـدم لامتحان الالتحاق بالسـنة الأولى ابتدائي وهـو ابن اثنتي عشـرة سـنة، فيجتـاز الكتابي والشـفوي بتفوق. ومـن بين المواد الشـفوية التـي اختُـبر فيها مـادة الأدب التي يرأس لجنتها الرئيس محمد بن عثمان، والأسـتاذ جعفر الناصـري، وقد انبهرا لقوة ذكائه، وكثرة محفوظه من الشـعر والنثر، وأصـبح منذ هذا اليوم محطَّ أنظار شيوخه، وفي مقدمتهم رئيس

الجامعة اليوسفية العلامة محمد بن عثمان، الذي اختبره في محفوظه الشعري والنثري مرات عديدة.

وقد حدث أن قدَّم هذا الطفل، وهو في السنة الثالثة ابتدائي لرئيس الجامعة اليوسفية، دفترًا يضم مطالع عدد من القصائد والمقطَّعات وبجانبها عدد أبياتها، فكان مجموع ما قدم عشرة آلاف بيت من الشعر العربي مما استظهره، فاندهش الرئيس وتشكَّك في أمره، وأجرى عليه اختبارًا ليتيقن من أمره وحقيقة دعواه، فانبهر لقوة حافظته ونبوغه المبكر، وأصبح ينوِّه به في المحافل العلمية وجموع الطلبة، وفتح له خزانته التي قرأ منها بعض الكتب.

وربما سيستغرب البعض مما أقوله، لكن المثل العربي يقول: (ليس من رأى كمن سمع)، ولنا في كتب الطبقات والرجال الكثير من هذا على مر العصور، وفي كل زمان ومكان. ذكر أبو علي القالي عن شيخه أبي بكر بن الأنباري أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشعر، يستشهد بها على غريب القرآن.

ومن البواعث التي دفعت به إلى الاهتمام بحفظ النصوص الشعرية والنثرية كثرة ما قرأ وسمع عن الحفاظ، وما كانوا يستظهرونه من النصوص، فقوَّى عزيمته، وشحذ ذهنه، واقتفى أثرهم، وقد ساعده على هذا إرادة قوية، وحافظة واعية، وذاكرة محصلة وعت الآلاف من الشعر.

لقد وهبه الله صبرًا وجلَدًا على القراءة، فإنه يقرأ كما قال: «الثماني ساعات وِصالاً، والعشر ساعات وِلاءً فما فوق ذلك، دون ضجر ولا سآمة، لا يقطعني - كما قال - إلا فريضة دينية أو قضاء حاجة بشرية»

ولا نستغرب هذا الإدمان على القراءة، خصوصًا إذا عرفنا أنه ربط علاقته بالكتاب وهو ابن تسع سنوات؛ إذ كان أول كتاب قرأه بالصدفة - كما سلف - هو كتاب **مجرَّبات الديربي**، ثم ثناه بكتاب: **تاج الملوك**، وهو منظومة في السحر

والكيمياء وصناعة الحِبر، وثلَّثه بكتاب: **الرحمة في الطب والحكمة.**

كما اتسعت قراءته في أصناف العلوم وضروب المعارف، وكان حريصًا على أن يقرأ شيئًا عن كل شيء، فأمعن في القراءة إمعانًا بلغ به عدد مقروئه آلافًا من الكتب والرسائل في شتى أنواع العرفان.

لقد كان مسرفًا في القراءة، إن صح أن في القراءة إسرافًا، فما زرته إلا وألفيته منكبًّا يقرأ أو يكتب، وأكداس الكتب عن يمينه وشماله.

كما نشأ عصاميًّا بما حصل من العلم والأدب، والذين زاملوه في الدراسة، أو عاشروه في صباه يوم كان يأخذ العلم، عرفوا ما كان يحمل نفسه من تعب، وما كان يرهقها به من عناء، مما لا يطيقه إلا العصاميون الأفذاذ، وكأنه يردد مع الشاعر طه الراوي:

**يبكي الشبابَ أُناس كان دأبهمُ أن يرتعوا في رياض اللهو واللعبِ**

**أما شبابي فقد أبليتُ جِدَّتَه بين المحابر والأوراق والكتبِ**

**شيوخه :**

لم تدم مسيرته التعليمية في رحاب الجامعة اليوسفية طويلاً؛ إذ انقطع عن الدراسة سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، وطوال هذه السنوات كان يواكب حلقات الشيوخ، يتنقل من حلقة إلى أخرى، ومن مسجد إلى زاوية أو رباط، ليروي ظمأه، ويشبع رغبته، وليتزود بزاد العلم من أفواه الرجال. ومن شيوخه:

١- الفقيه سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب (ت ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م) ، قرأ عليه **تصريف العزي ولامية الأفعال.**

٢- العلامة محمد بن لحسن الدباغ (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، قرأ عليه التفسير من سورة الكهف إلى آخر القرآن مواظبة، كما قرأ عليه **العقائد النسفية وسلم الأخضري** في المنطق، **والألفية والشيخ خليل.**

٣- الفقيه العلامة علي السباعي رافع (ت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، قرأ عليه **قطر الندى** لابن هشام.

٤- العلامة سيدي أحمد أكرام (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، حضر عنده في **صحيح مسلم**.

٥- العلامة سيدي محمد بوستة، المعروف بالسي أمّان (ت ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، كان يحضر عنده في دروس السيرة النبوية.

٦- العلامة سيدي أحمد الكنسوسي (ت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، قرأ عليه **شرح لامية العجم** لبحرق، و**شرح بانت سعاد** لابن هشام، كما حضر عنده في العديد من الدروس بصفة اختيارية.

٧- العلامة الرحالي الفاروق (ت عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، قرأ عليه طرفًا من الشيخ خليل مع بعض الدروس الاختيارية في الدين والعربية.

٨- الفقيه السيد بلهاشمي محمد، قرأ عليه **مقدمة ابن آجروم** و**الألفية** وبعض الدروس في البلاغة.

٩- الفقيه السيد الهاشمي السرغيني بنميرة (ت ١٣٨٨هـ/ موافق ٢٩ دجنبر ١٩٦٨م)، قرأ عليه **الخريدة** بشرح الدردير.

١٠- الفقيه السيد المختار السباعي (ت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، قرأ عليه الحساب والفرائض.

١١- الفقيه العلامة السيد عبد الجليل بلقزيز (ت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، قرأ عليه **سلم الأخضري** بشرح القويسني.

١٢- العلامة الرئيس الأستاذ محمد بن عثمان (ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، قرأ عليه **عمدة الأحكام** لابن دقيق العيد.

١٣- العلامة السيد محمد المختار السوسي (ت عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، أخذ عنه بالمذاكرة.

**في ميدان التعليم:**

لما فكر العمل بالتعليم الابتدائي طلب من رئيس الجامعة اليوسفية آنذاك، العلامة الحافظ السيد عبد القادر المسفيوي، شهادة مدرسية تثبت مستواه الدراسي، جاء فيها:

إن الطالب السيد أحمد بن عباس الشرقاوي، من قدماء تلاميذ الكلية اليوسفية، انخرط في سلك نظامها تحت عدد ٤٥، أول سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف، وبقي يتابع بها دروسه حتى الثالثة من دورها الثانوي، حيث انقطع عنها آخر سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف، وقد كان من نجباء طلبة هذه الكلية وتلاميذها البارزين علمًا وذكاءً ومروءة، وقُيد له بطلب منه شهادة يدلي بها عند الاقتضاء. والسلام.

وحرر بتاريخ ٩ جمادى الأولى عام ١٣٦٦هـ/ موافق ٨ مارس ١٩٤٦م.

رئيس الكلية اليوسفية

عبدالقادر المسفيوي أمنه الله

على ضوء هذه الشهادة التحق سنة١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م بمدرسة الحياة للتعليم الحر، التي كان يرأسها الفقيه الأستاذ أمبارك الغراس المشهور (بالسي ابريك) بأجرة شهرية قدرها (٢٠٠٠ فرنك). ثم التحق سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م بالتعليم الحكومي (كما كان يسمى آنذاك) بمدرسة عرصة المعاش الصناعية، يدرس فيها العربية والدين، واستمر فيها إلى سنة١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م، حيث التحق بمدرسة المعلمين الإقليمية، وفي ١٨ ربيع الأول ١٣٧٨هـ، الموافق فاتح أكتوبر ١٩٥٨م عُين أستاذًا بالمدرسة نفسها، حيث دَرَّس مادة التربية مدة عشرين سنة، وطوال هذه

السـنين كان مثال الأسـتاذ، مطبوعًا على التعليم، يلذُّه ويتذوقه، تميل إليه نفسه ويوائمه طبعه، ويسـكن إليه ضـميره، بل أصـبح التعليم صـفته التي لازمته مدة أربعين سنة. وقد تخرج به أجيال وطبقات من المعلمين والمربين في المغرب.

كان قمـة المدرِّسـ الرصـين، المخلص في عملـه، المحيط بعلمـه، الحريص علـى تهذيـب طلابه وتثقيفهم، الغيـور على لغته، القدير علـى التأثير في نفوس الطالبـين، المتفنِّن في الأسـاليب التـي تحبِّب إليهم الدرس، وتحضـهم على بذل الجهود في سبيل العلم.

لقد حُبب الشـرقاوي إلى تلامذته والمعنيين بأحاديثه، فقد كان ليِّن العريكة في تدريسـه، ينفذ بشرحه وتبسيطه لا إلى عقول تلاميذه فحسب، بل إلى قلوبهم أيضًا، فقد كانت له مقدرة عظيمة في تبسيط المادة وتفسيرها وإغنائها بالفوائد والطُّرف اللغوية والأدبية، مما يضـفي على درسه نكهة متميزة عن باقي زملائه الأساتذة.

**شعره:**

حاول في غُرة شـبابه أن ينظم بعض الأشعار في مناسبات وطنية واجتماعية ودينيـة وإخوانيات... إلخ. ولكنه على حـد قوله: «نظرت فيها بعدُ، فوجدتها غير شـيء، فأتلفتها غيرَ آسـف، وهي ما كانت لتفيد شـيئًا إلا أن تدل على أن ناظمها ليس من الشعر في شيء». ورغم محاولته إتلاف هذه النفثات القلبية، والزفرات النفسية، استطعت أن أعثر على بعضها.

قـال في رثـاء العلامة السـيد محمد بن عثمان المراكشـي، رئيـس الجامعة اليوسفية، والأب الروحي لها، وقد حلاه بقوله: «مقيد الفضيلة والنُّسك، وصاحب المآثر الحميدة والمزايا الرفيعة، شـيخ العلم والعلماء بالمغرب عمومًا، وبالحمراء

خصوصًا، الأستاذ المقتدر المطلع رئيس المجلس العلمي بمراكش السيد محمد بن عثمان».

أودى المنون فيا فضيلةُ نوحي ... بالطّيِّب النفس الزكي الروحِ
أودى به فمضى أجلُّ موفَّقٍ ... من بعد ما قد عاش خير مديحِ
أودى فلا رَقـأَتْ مآقي مُقلة ... ضنَّت عليه بدمعها المسفوحِ
أوَّاه إن مصيبتي في هُلْكه ... قد برَّحت بي أيما تبريحِ
كيف السبيل إلى التصبُّر بعدما ... صنع الأسى بفؤادي المجروحِ
أسفي عليه وقد أشادوا نعشه ... وتلوه بالتهليل والتسبيحِ
أسفي عليه وما ترى يُجدي وقد ... واروْه بين جلامد وصفيحِ
إنْ أوحش القبر الذي استودعتَه ... يا خيرَ مدفون بخير ضريحِ
فلَيُؤْنِسَنَّكَ فيه ما قدَّمتَ من ... عملٍ إلى دار البقاء صلوحِ

ومما قاله في محمد الموقت، لما عالجه من مرض الجن الذي أصيب به سنة ١٩٤٤م.

قيل عني بأنني مجنون ... قلت هذا هو البلاء المبينُ
ويقول الطبيب إن فؤادي ... جِدُّ مضنًى وما هداه يقينُ
ويقولون بالسلال سقيم ... خَفيَ الداء والسقام فنونُ
فتبينته وكان خفيًّا ... حيث بيّنت أنني معيونُ
حُقَّ عني بأن أصوغ ثنائي ... فيك إذْ أنت بالثناء قمينُ

القصيدة طويلة، ولم يبق منها إلا هذه الأبيات.

## دمت للفن

قالها يوم تكريم شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم من طرف ثُلة من أصدقائه ومحبيه سنة ١٩٤٢م.

دمت للفن والعُلى بسلامِ ... يقظ السعد يا مليك الكلامِ
والذي يسحر النُّهى ببيان ... ينزل العصم من رؤوس الأكامِ
ومعانٍ تجْلى ويثمل منها ... سامعوها كفعل كأس المدامِ

تتمنى العينان لو عادتا سمـ ـعًا لتصغي لشعرك البسَّام
جمعنا ذا سماوة نحن فيها زاهـرات وأنـت بـدر الـتـمام
ونـهـار اجـتـمـاعنـا بـك هـذا ليلة القدر من ليالي الصيامَ
شاعـر الطبع شوقـنـا لمحيًّا ك كنبت الرُّبى لماء الغمام
دبَّ فينا هـواك مثل دبيب الـ بُرء في جسم ذي الضّنا والسّقام
ومـدى ما أقـول ما قلت بـدءًا دمـت للفـن والعُـلى بسـلام
ولـو أنـي أطيـق منـي قيـامًا بـأدا الشكر والحقوق اللزام
نفد النفس دون نظمي وضاق الـ ـطـرس عنه وكَـلَّ حـدّ القلام
وسلامًا يزري بريح الصبا لطـ ـفًا ويحكي ابتسام ثغر الكمام

في الثناء على الله

إلى من له الحمد أجزي الثنا مُسـرًّا بـه القـول أو معلنا
حمدتك لا يزدهيني القريض ولا أنـا أُحصي عليك الثنا
سبقـت بـآلائـك الضافيات فمنها الفرادى ومنها الثنى
وتـحسن للعبـد لسـتَ تُبالي أكان المسيءَ أم المحسنا
وتسمع دعـوته مصـرخًا أكـان الفـصيـحَ أم الألكنا
وتهـديه قصد سبيل الحياة أكـان الغـبـيَّ أم الأفطـنـا
وتـرزقـه كـافـرًا مـلـحـدًا وتـرزقـه مسلمًا مؤمـنـا
دعـوتَ لأرزاقـك الـجَفَـلى فلا ضيف يُقصى ولا ضيفنا
وينـتـابك المذنب المستقيل فيـا للحليم على من جنى
ويسـألـك الـراغب المستميح فيا خير سمْح يجيب المنى
سـألـتـك لـم أقـترح طلبـة فأحسِن كما شئت أن تحسنا

**مؤلفاته:**

**المطبوع :**

أما الأستاذ الشرقاوي الباحث والمؤلف، فإنتاجه كثير ومتنوع، منه ما هو في

اللغة، ومنه ما هو نشْرٌ أو تحقيق أو فهرسة، ومنه في الأدب وما إليه، وهي مصنفة كالآتي:

**اللغة والمعجم:**

- **معجم المعاجم العربية**: تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية والتراثية. صدر عن دار الغرب الإسلامي عام ١٩٨٧م.

**النشر والتحقيق :**

١- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن** : لابن الجوزي، نشر وصدر عن مطبعة النجاح بالدار البيضاء عام ١٩٧٠م.

٢- **تخريج المعيار**: لأبي العباس الونشريسي، بالاشتراك مع جماعة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور محمد حجي ، صدر عن مطبعة فضالة بالمحمدية، ١٩٨١م.

٣- **المحاضرات في الأدب واللغة**: الحسن اليوسي، تحقيق بالاشتراك مع الدكتور محمد حجي، صدر عن دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٢م .

٤- **البيان والتحصيل**: لابن رشد الجد، تحقيق الجزء الرابع، صدر عن دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٤م.

٥- **البيان والتحصيل**: الجزء (٨)، والجزء (١٠)، تحقيق بالاشتراك مع الدكتور محمد حجي، صدر عن الدار نفسها سنة ١٩٨٤م.

٦- **تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير**: للشيخ محمد مرتضى الزبيدي. نشر وتقديم، صدر عن المطبعة الوطنية بمراكش عام ١٩٨٦م.

٧- **ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم**: جمع وتحقيق، بالاشتراك مع جماعة من الأساتذة؛ هم السادة: علي بن المعلم التاورتي، محمد بنبين، مولاي

الطيب المريني دنيا، ومولاي أمبارك العدلوني. مرقون على الآلة الكاتبة[٢].

**الأدب :**

١- **شاعر الحمراء في الغربال**: صدر عن مطبعة الجامعة بالدار البيضاء عام ١٩٦٣م.

٢- **لعبة الشطرنج في ماضيها الإسلامي**: مطبعة النجاح بالدار البيضاء عام ١٩٦٩م.

٣- **مختارات من ديوان شاعر الحمراء**: بالاشتراك مع الأستاذ مولاي الطيب المريني، صدر عن المطبعة الوطنية بمراكش عام ١٩٧٩م.

٤- **في اللغز وما إليه**: مطبعة النجاح بالدار البيضاء عام ١٩٨٧م.

٥- **ما جاء في الضب عن العرب**: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م.

**الفهرسة :**

١- **مكتبة الجلال السيوطي**: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط ١٩٧٧م.

٢- **فهارس المعيار**: الجزء (١٣)، بالاشتراك مع الدكتور محمد حجي ومحمد العرائشي ١٩٨١م.

٣- **بانت سعاد في إلمامات شتى**: دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م.

**التربية والتعليم :**

**نصوص تربوية**: المطبعة الوطنية مراكش ١٩٧٨م.

**كتب في طور الإنجاز:**

**اللغة:**

١- **معجم ما استعجم من أسماء العلوم والفنون والمذاهب**: يحتوي شروح طائفة من الكلم الأعجمية التي تعبر عن مصطلحات اعتقادية، أو فلسفية، أو فنية.... إلخ.

٢- **الفصحى من أفواه البلغاء**: معجم بلاغي مستشهد على ما فيه من الكلم بشواهد شعرية ونثرية، يراعى فيها الوجازة وتمام السياق، على أن تكون الكلمة المستشهد عليها هي موضع الصنعة في الشاهد الشعري أو النثري.

٣- **قاموس أفعولة**: يحتوي على الكلم التي جاءت على وزان أفعولة، مشروحة لغة وصرفًا، مع إيراد الشواهد والنصوص المتعلقة بذلك.

٤- **قاموس مفعلة السببية**: يحتوي الكلم التي جاءت على مثال مفعلة التي تبين السبب في كون الشيء وحدوثه؛ مثل قولهم: الولد مبخلة مجبنة، أي: يجعل أباه بخيلاً جبانًا وإن لم يكن كذلك، بسبب حرصه على مصالحه، مشروحة شرحًا لغويًّا شافيًا.

٥- **قاموس الفعول**: دواءً وطعامًا ومرتفقًا.

٦- **قاموس الفعال في الأدواء**: دوَّن فيه ما جاء من أسماء الأمراض على فعال.

٧- **قاموس الفعالة في الصناعات والحرف والأعمال .**

**الأدب:**

١- **تعليقات على ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم.**

٢- **تخريج الأشعار السائرة.**

٣- **الأطباء في ألْسنة الشعراء**: مجموع شعري يتضمن ما قالته طائفة من الشعراء في الأطباء مدحًا وقدحًا.

٤- **ديوان التضمين**: يحتوي مختارات من التضمينات الجياد الحسان.

الفهرسة:

- **مكتبة الصلاح الصفدي**: فهرسة تعرِّف بمؤلفات الصلاح الصفدي منسوبة ومخطوطة ومطبوعة.

**القرآن:**

- **كشكول التفسير**: وهو عبارة عن مجموع ضمَّنه أشياء عن عربية القرآن، نحوًا وصرفًا وبلاغة، وأودعه أنماطًا من التفسير الخفيف، وضروبًا من الأخبار والأقاويل التي لها صلة بالتفسير، وأودع فيه نكتًا وتمثُّلات وتضمينات واقتباسات مما يدخل في الطرائف.

**منوعات:**

١- **سبع محاضرات في موضوعات أشتات**: يتضمن محاضرات أُلقيت في مناسبات.

٢- **يسألك الناس**: عبارة عن مجموع أجوبة على أسئلة في الكتب التراثية، وتوثيق الأشعار، والعبارات المأثورة، ومسائل شتى.

٣- **كتاب في الجن**.

**وفاته**: توفي يوم الثلاثاء ١٦ رجب ١٤٢٣هـ، موافق ٢٤ شتنبر ٢٠٠٢م، على الساعة ١٨,٣٠، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة العصر بمقبرة باب أغمات. وقد رثاه ثُلة من أصدقائه ومحبيه وعارفي فضله شعرًا ونثرًا.

## الهوامش:

(*) كاتب ومؤرخ ـ المغرب

(١) سورة النساء، آية ٧٧.

(٢) صـدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان سـنة ٢٠٠١م، ضبط وتنسـيق وتعليق الدكتور أحمد شوقي بنبين. وأعيد طبعه سنة ٢٠٠٣م طبعة مزيدة ومنقحة تحت إشراف الأستاذ نفسه.

**العقيلات، مآثر الأجداد على ظهور الجياد، تأليف عبداللطيف بن صالح بن محمد الوهيبي، المراجعة التاريخية: سليمان بن إبراهيم الجريش، عبدالكريم بن صالح الطويان، عبدالله بن سليمان أبا الخيل، عبدالله بن سليمان المرزوق، اختيار وترتيب الكشافات: محمد بن عبدالله الفريح، الرياض: العبيكان، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٨م، ٦ أجزاء.**

هذا الكتاب سفر كبير يحكي قصة رجال «العقيلات». وهم، لمن لا يعرفهم، «تجار من نجد، وبخاصة منطقة القصيم (معظمهم من بريدة)، تاجَروا بالإبل والخيول والأغنام، يصدرونها إلى بلاد الخليج، والعراق، وبلاد الشام: الأردن وسورية وفلسطين، ومصر. ويصلون بنشاطهم التجاري إلى السودان، وفي عودتهم إلى بلادهم يحملون معهم الأسلحة والقهوة والشاي والسكر والأرز والأواني والملابس إلى وسط الجزيرة العربية».

هذه الرحلات التي تشبه رحلتي الشتاء والصيف القرشيتين، لها في ذاكرة أبناء الجزيرة العربية تاريخ لم يدون، وقصص كثيرة لم تُجمع، وأدب لم يصادف الكتابة بعد.

يحاول هذا الكتاب الموسوعة أن يجمع كل شاردة وواردة عن (العقيلات)، مما أمكن جمعه من معلومات، معتمدًا على الوثائق التاريخية، أو ما حفظته الذاكرة، ووعته الأجيال عن هؤلاء الرَّحالة التاريخيين، سواء أكانت معلومات تتعلق بالنواحي المادية، من حيث وصف أسواق (العقيلات)، أو أنواع ما يتاجرون به من الأنعام والمواشي، وصفاتها، وأسعارها، وكيفية بيعها، ولما يلزم لذلك من

أدوات أو يتصل به من إجراءات، أو ما يرتبط بحياة (العقيلات) من وسائل الارتحال، أو أماكن السكن، وأنماط العيش، وأساليب الحياة، أو كانت تتعلق بالجوانب الثقافية تاريخيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وأدبيًّا وعلميًّا، ونحو ذلك.

ومع أن الرحلة في الغالب تنطلق من سوق الجردة في بريدة، الذي يتحدث عنه الكتاب بإسهاب، إلا أن الكتاب يؤرخ أيضًا لأسواق هذه التجارة في البلدان التي ارتادها (العقيلات)؛ كالأردن، والعراق، وسورية، وفلسطين، ومصر، في جهد فريد، لا نظنه وجد العناية الكافية في تلك البلدان.

ثم يضم الكتاب بعد ذلك تراجم لكل من أمكن ترجمته من رجال (العقيلات)؛ فيحوي تراجم عدد كبير من الشخصيات التي زاولت هذا العمل، وشاركت في هذا النشاط. وقد استغرقت التراجم أربعة أجزاء من أسفار الكتاب.

يزخر الكتاب بالوثائق الخطية، والصور القديمة، ويرصد وسم الإبل لكل تاجر ممن ذُكرت له ترجمة.

خُصص الجزء السادس لفهارس الكتاب وكشافاته، وهي من اختيار وترتيب عبدالله بن محمد الفريح، وقد ضمت ٣٣ كشافًا متنوعة الموضوعات، إلى جانب كشاف المصادر والمراجع. وهذه الكشافات ـ لضخامتها وتفاصيلها ـ تعد فريدة من نوعها؛ إذ قلَّما توجد فهارس تماثلها عدديًّا في الكتب العربية.

**أ.م.ض**